السيد الحراني



مركز الأهرام للنشر


مصرفون
MisrFone

السيد الحراني



مذكرات ماجدة الصباحي



إصدار مركز الأهرام للنشر

مركز الأهرام للنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون: ٢٧٧٠٣٤٤٥ - ٢٧٧٠٥٠٦٣
البريد الالكتروني: apc@ahram.org.eg

منذ إنشائه في ١٩٧٦ تحت اسم مركز الأهرام للترجمة العلمية وخلال مسيرته بعد أن أصبح مركز الأهرام للترجمة والنشر وصولا إلى وضعه الراهن، أصدر مئات العناوين التي حملت خلاصة عقول وأفكار وإبداع نخبة من المفكرين والكتاب في مصر والعالم العربي. ويرحب المركز باقتراحاتكم وأفكاركم.

الطبعة الأولى
ديسمبر ٢٠١٤

تصميم الغلاف: محمد عبد

قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

«كفى بالمرء إثم
ان يحدث بكل ما سمع»

صدق رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

المحتويات

المحتويات


مصر فون
MisrFone

إهـــداء

إلـــى ....

رحيــــق الشـــفق ..

المراهقة والمناضلة التي هزت قلوب الملايين كما هزت الاستعمار الفرنسي

(ماجدة الصباحي)

إلى ....

الراحلة «هند رستم» ملكة الإغراء التي رحلت وأنا على وشك كتابة مذكراتها.

الحراني


مصرفون
MisrFone

على الهامش

■ إن النفوس البشرية مثل بصمات الأصابع لا تتشابه أبداً ....

«جورج برناد شو»

* * * * *

■ لا تحكموا بالقانون بل احكموا بالعدل؛ لأن القانون أعمى لا يرى، لا يحس، ولا يشعر، ولا يقدر ظروف الآخرين ....

«الفريد فرج»

* * * * *

■ إن الخطيئة لا تولد معنا، بل يدفعها إلينا المجتمع ....

«إحسان عبدالقدوس»

* * * * * * * * * * *

■ رفضت أن أستلم جائزة نوبل لأني أعتبر نفسي أكبر من الجائزة ....

«جان بول سارتر»

* * * * * * * * * *

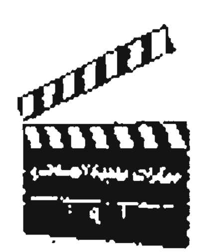
■ أنت لا تعرف امرأة قبل أن تعرف جسدها....

«أوسكار وايلد»

* * * * * * * * * *

■ الفن عالم لا ينتهي؛ لم يستطع شخص أن يمتلكه للأبد، وأقول للحاقدين لست خجولاً حين أصارحكم أن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم ....

* * * * * * * * * *



■ إن السم لا يُزرع ولا يُصنع ولكنه يخرج من حقدنا وحنقنا لبعضنا البعض، ولا يحين الموت إلا بعد أن ينتهي الأجل، فالموت قرار من الله وحده...

«المفكر الكبير الدكتور مصطفى محمود»

* * * * * * * * * * * * * *

■ سجل أنا عربي سلبت كروم أجدادي وأرضاً كنت أفلحها أنا وجميع أولادي..

«محمود درويش»

* * * * * * * * * * * * * *

■ قال الفيلسوف الألماني كارل ماركس أنا آكل إذن أنا موجود، وقال الفيلسوف الفرنسي ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود، وقال الشاعر بايرون أنا أحب إذن أنا موجود، وقال الأديب كافكا أنا خائف إذن أنا موجود، وقال تولستوى لن أكون حراً حتى تموت زوجتي!!

«من كتاب عاشوا في حياتي لأنيس منصور»

* * * * * * * * * * * * * *

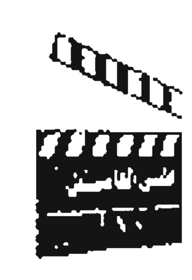
■ أنت لك وجهة نظر وأنا أيضاً، وأنت على حق وأنا أيضاً، الذي يعجبني فيك هو الذي أحبه لنفسي، والذي لا يعجبني فيك هو الذي لا أحبه لنفسي.

«أنيس منصور»

* * * * * * * * * * * * * *

■ إنك تستطيع أن تنزع البنت من الريف ولكنك لا تستطيع أن تنزع الريف من البنت..

"مثل إنجليزي"



* * * * * * * * * * * * *

■ من ذا الذي يعيب عن المدينة لأنها تغيرت وقد عدت إليها أنا نفسي وقد غيرت مني الأيام..

"تشارلز ديكنز"

* * * * * * * * * * * * *

■ إن نيلسون يضع يده على قبعته في ميدان الطرف الأغر في لندن لأنه ينتظر أن تمر أمامه عذراء فيرفع قبعته احتراماً لها ولكنه سيظل هكذا إلى الأبد لأنها لن تمر..

"محمود السعدني"

* * * * * * * * * * * * *

■ ليس معنى أني أضغط على مقبض الباب أنني أحاول أن أكسره ولكنني أحاول أن أفتح الباب لأعبر إلى ساحة جديدة...

* * * * * * * * * * * * *

■ الخيانة بالضبط مثل الطفل الذي يلقي فجأة بحجر على زجاج سيارة جميلة تعبر أمامه فيتحطم زجاجها...

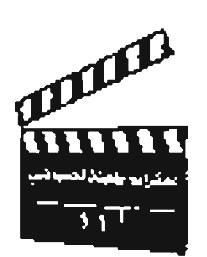
* * * * * * * * * * * * *

■ الكتاب مثل المرأة.. كلما تصفحته تعرفت على معلومات جديدة، بينما المرأة تكتشف أنها أكثر غموضاً...

* * * * * * * * * * * * *

■ الحب ضعف وخيانة للذات، فلا تحب أحداً أكثر من نفسك إلا والدتك ووالدك وأشقاءك، إذا تأكدت أنهم أشقاؤك...

* * * * * * * * * * * * *



■ إذا قرأت عشرة كتب في يوم واحد فاعلم أنك مؤهل لكي تكون أديباً، وإذا فشلت فحاول فإنها صفة تستحق المحاولة...

* * * * * * * * * * * * *

■ لا يستحق العيش من يولد لنفسه فقط، بل يستحق الخلود في دنيا تشجع هذا المبدأ...

* * * * * * * * * * * * *

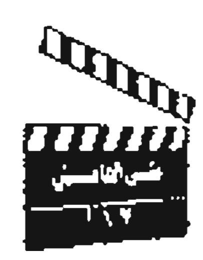
■ إن المرأة تفقد نصف جمالها حين تلمح بالزواج، وتفقد النصف الآخر حينما تتحدث عن الفلسفة والمنطق، خصوصاً إذا كان كلامها في محله...

* * * * * * * * * * * * *

■ إذا أردت أن تكون سفاح نساء فابدأ بزوجتك عملاً بالمثل القائل «جحا أولى بلحم توره»...

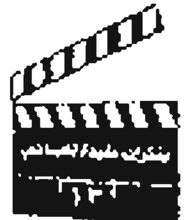
* * * * * * * * * * * * *

■ استمتعوا بالفوز لأنه لا يدوم كثيراً...



المقدمة والملاحظات

لكل شخصية عامة مذكراتها التي تتركها وراءها شاهدة على العصر، ترصد كل الكواليس وما كان يحدث خلف الستار، وهناك بعض الشخصيات التي تمتلك من الكاريزما والجرأة ما تمنحها الشجاعة في الاعتراف بالأخطاء التي وقعت فيها. مثلما فعل الرئيس الراحل محمد أنور السادات في مذكراته "البحث عن الذات"، التي كانت بمثابة المذكرات الحقيقية لأهم حقبة لمصر في تاريخها الحديث.. وهناك أيضاً في عالم المذكرات الفضائح الجنسية والسياسية كالتي نشرتها اعتماد خورشد في مذكراتها "انحرافات صلاح نصر"، حيث كانت تلك المذكرات هي السبب الرئيسي في تحول مسار صناعة المذكرات التي أصبحت من عهدها كلمة مذكرات مرتبطة دائماً داخل الأذهان بالفضائح الجنسية والسياسية والدعوى لخلق الأزمات والمشكلات، ولكنني عندما بدأت أشرع في تناول هذا الملف الخطير، وأن أجعله قبلتي الرئيسية؛ كنت أعلم مدى أهميته وخطورته على السواء، فمن أجل المذكرات ربما قتلت سعاد حسني، وأيضاً من أجلها ربما أعيد تسليط الضوء على أناس كانوا تاهوا في الزحام ومضوا مع الأيام، كما أن للمذكرات دوراً خطيراً؛ فهي بالنسبة لي ليست مجرد سيرة شخص بل هي سيرة مواطن ووطن تنعكس من خلاله الأحداث على المجتمع الذي كان يعيش



بداخله، نتعرف من خلالها على حقائق وأسرار أشخاص قد نعرفهم أو لم نكن نعرفهم ويقدمون للمرة الأولى، فهي تأريخ ولكن بشكل خاص وبرؤية مختلفة، ومن هنا انطلقت في هذا الملف أحاول فيه أن أنتقي الشخصيات، فبدأت بمذكرات المفكر الكبير الدكتور مصطفى محمود، وأستكمل معكم بما تحمل الأسطر والصفحات المقبلة...

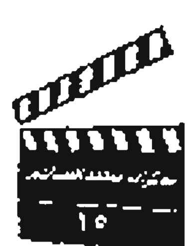
أما بعد ....

كانت ومازالت ودائماً هي صاحبة الابتسامة النقية.. والملامح الذكية.. والنظرات البريئة.. والأداء الباهر.. والخجل المثير، فهي صاحبة الألقاب المتعددة، بداية بـ"عذراء الشاشة"، ومروراً بـ"المناضلة والمراهقة"، وانتهاءً بـ"عذراء الشاشة" أم غادة.. الفنانة الكبيرة والقديرة "ماجدة"، أو كما يعرفها البعض باسم "ماجدة الصباحي"، تلك الممثلة المبدعة الرقيقة التي تنتمي إلى جيل الرعيل الأول من رواد الفن المصري في صناعة السينما المصرية في أوج قوتها، فدائماً كنا نجدها تجيد أداء أدوارها في أفلامها السينمائية المختلفة والمتعددة، ولكنها كانت تعيش في حالة من نشوة الأداء داخل مشاهد "أين عمري، والمراهقات، وجميلة بوحريد، والسراب، والغريب، وقيس وليلى، وثورة اليمن، وأنف ثلاث عيون، والنداهة، والحقيقة العارية، وهجرة الرسول، والعمر لحظة، وحواء على الطريق، وعندما يتكلم الصمت، ونسيت أني امرأة".. وأفلام أخرى كثيرة تنوعت أدوارها بداخلها ما بين تمثيل أو إنتاج أو توزيع أو إخراج أو كل ما سبق معاً، فهي كانت أصغر منتجة في العالم عمراً، حيث بدأت الإنتاج منذ أن بلغ عمرها العشرين عاماً، وتنبأت لها المنتجة الكبيرة "آسيا" بأن تصبح امتداداً لها..



كـنت....

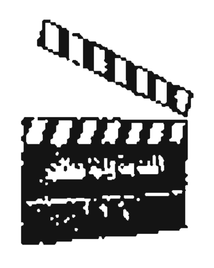
أتصور عندما بدأت صورها تطاردني في نومي ويقظتي وتزاحم خيالاتي وأنا أسير بالطرقات وأجلس داخل مكتبي، أو عندما أطل من شرفة غرفتي، "وهكذا الحال دائماً عندما أقدم على تناول مذكرات شخصية جديدة نسبة إلى أن صناعة المذكرات بالنسبة لي ليست حرفة بل هي رسالة جئت لأؤديها ثم أرحل كما رحل آخرون"، ولكني كنت أقابل كل ما يحدث لي وما يسوقني إليه القدر بالحيرة واليأس، وأؤكد لنفسي أن ما يجري مجرد خيالات لا أكثر ولن تتعدى تلك المرحلة؛ فقد كنت أعلم ما مدى حرص ماجدة في عدم التعامل مع الصحفيين الجدد، ورفضها للظهور في وسائل الإعلام؛ خصوصاً بعد أن أصبح وقود تلك المحطات الفضائية هو النميمة والفضائح والخوض في أعراض الآخرين، وكانت دائماً تنأى بنفسها عن ذلك، ولكني وجدت أنني أبحث بشغف عن وسائل الاتصال بها؛ وبعد أن عثرت عليها بمنتهى الصعوبة نظراً لعدم انتشارها داخل الوسط الصحفي، اتصلت بها وحددت لي مديرة مكتبها اللقاء معها، الذي جاء في شقتها بحي الدقي، وبعد دقائق من الانتظار أطلت عليّ ماجدة بملامحها الفاتنة، وعبيرها الوهاج، ورقتها المثيرة، وعرضت عليها أن تسمح لي بأن أسبح في بحار ذكرياتها؛ وأن تضمني بعنف إلى أحضان ماضيها، ولكنها وبلطف شديد رفضت الموضوع، متعللة بأن نؤجله لأجل قريب، وانتهى اللقاء الذي استشعرت منه أنه لن يكون الأخير بيننا، وأنه سيأتي الوقت الذي تكون مذكرات تلك الفنانة القديرة من نصيبي أنا وحدي؛ وبالفعل لم يعرف اليأس طريقاً إلى قلبي وداومت على الاتصال بها تليفونياً لتهنئتها في المناسبات والأعياد، وداومت على زيارتها وتكرار عرضي إلى أن وافقت؛ وعلى رغم



أن الموافقة كانت صاعقة قوية بالنسبة لي إلا أنني استوعبت الموقف سريعاً وبدأت في جدولة مواعيد مقابلتنا، واتفقنا على أن يكون لقاؤنا يومي "الاثنين والأربعاء" من كل أسبوع، وعلى مدار تسعة أشهر من الجلسات المنتظمة خرجت بحصيلة من التسجيلات الصوتية تصل لأكثر من أربعين ساعة، "تعد المصدر الرئيسي لهذا الكتاب"، تقص فيها وتحكي أدق أسرارها، وتفاصيل وشهادات تعد إطلالة حقيقية على فترة خصبة ومميزة في التاريخ المصري، سواء على الصعيد الفني أو السياسي..

ثــم....

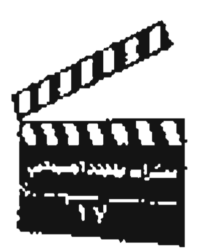
فاجأتني الفنانة الكبيرة ماجدة، كما ستفاجأون بعد قراءة المذكرات، أن حياتها لم تكن كتلك الحياة المعروفة مسبقاً لدى الجمهور التي تتكون في خيالهم من خلال ما تنشره الصحف وتعرضه البرامج التلفزيونية ضمن فقراتها عن معيشة بعض الفنانات والمنتمين للوسط الفني، التي تسوق لنا دائماً بأنها تتمتع باللهو والمرح، بل كانت رحلة حياة ماجدة مختلفة وفريدة في نوعها، صارمة إلى أبعد مدى، كما أنها كانت ولا تزال تحمل في مضمونها الجدية لما كانت تعتقده من أفكار تتواكب في أحيانٍ وتتعارض في أحيان أخرى كثيرة مع الحركة السياسية التي صاحبتها في تلك المرحلة، حياة لم تحمل في داخلها إلا تجربة زواج واحدة فقط، وتجربة إخراج واحدة فقط، وتجارب إنتاج متعددة، وتجارب تمثيل أدوار متنوعة، فلقد كان للفنانة الكبيرة ماجدة رأى سياسى تبنته في الكثير من أفلامها، وهي أنها تنحاز دائماً إلى جانب العدالة الاجتماعية وحصول البسطاء على حقوقهم الشرعية، ومن أجل ذلك كانت توجه لها دائماً الاتهامات بأنها شيوعية، ولكنها



كانت تؤكد دائماً على أن ما تنادى به هو مبدأ أصيل في الديانة الإسلامية التي تفخر بأنها تنتمي إليها، ولكن عندما سألتها في إحدى الجلسات عن حقها وحظها في التكريم، فعبرت بأسي عن مدى الظلم الذى كانت تتعرض له، وكانت كلماتها تقطر ألماً وحزناً وهى تشكو حالها بعد أن تنكرت لها الدولة وظلمتها ولم تكرمها بالشكل اللائق بها، وتشكو أيضاً من تجاهل الكثيرين لإنجازاتها، وكانت تظن أن الثورة المصرية الأخيرة جاءت لتصحح المفاهيم وتعطى كل ذى حق حقه، ولكن ازداد حزنها لما قام به بعض المنتمين لصفوف ثورة الخامس والعشرين من يناير بإدراجها ضمن أسماء المدرجين على القوائم السوداء، على رغم أن ذلك لن ينتقص من تاريخها الفنى والوطنى الذى يعلمه الجميع في مصر والمنطقة العربية والعالم أجمع، إلا أنها أكدت بأنها أول ما نادت بالثورة على الظلم والاستبداد من خلال عملها الخالد "جميلة"..

فــدائماً....

كانت ماجدة، إلى جانب المواقف الوطنية المصرية، في أصعب أحوالها فلقد ظهر رأيها وموقفها عندما كانت تبث قناة "الساعة" على مدار اليوم رسالة صوتية بصوتها تحاول خلالها تهدئة الأجواء بين الشعبين المصرى والجزائرى، وتدعوهم لنبذ التعصب والتحلى بالروح الرياضية، وتتحدث عن العلاقات الطيبة ومدى التعاون المستمر بين البلدين على مدار السنوات الماضية، على خلفية لقطات أرشيفية للرئيس جمال عبدالناصر والرئيس الجزائري أحمد بن بيلا، إضافة إلى لقطات أخرى للثورة الجزائرية، ولقطات من فيلمها "جميلة بوحريد"، التي جسدت فيه دور المناضلة جميلة بوحريد...



إن....

ماجدة كانت تحمل دائماً على كاهلها عبء الرسالة الوطنية من خلال ما تقدمه من أعمال سينمائية لا تزال راسخة بيننا حتى اليوم لتعرض لنا ماضينا وتعالج ما نمر به من أزمات، فأخيراً وبعد سنوات طويلة من الرفض "الذي كان يعلله البعض بأنه مرتبط بنظام رحل الآن ولكن ماجدة نفت ذلك"، تخرج مذكراتها التي تحمل بداخلها دليلاً واضحاً على أن حياتها لم تنحصر في ميدان الفن فقط بل امتدت لميادين أخرى أهمها ميدان العمل السياسي الذي كانت حريصة على أن تكون ضمن المنتمين إليه وأحد جنوده البواسل على الجبهة الفنية..

كما تكشف أنها كانت تعيش دائماً في كنف مدير سجون، وهو شقيقها اللواء مصطفى الصباحي، الذي لم يكن يسمح لها بالاقتراب من أحد، أو يسمح لأحد بالاقتراب منها، وربما ذلك ما كان يقف حائلاً في أن توافق على العروض التي تنهال عليها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً تحثها على كتابة مذكراتها، فقد كان ضمن أسباب رفضها عدم شعورها بالوحدة التي يملأ فراغها شقيقها الراحل، "وليس خشية أن تواجه المصير نفسه الذي واجهته الراحلة سعاد حسني، كما كان يتناقله البعض من مروجي الشائعات داخل الوسط الفني"، ولكن جاءت موافقتها بعد حالة الوحدة المرعبة التي تعيش فيها الآن بعد رحيل شقيقها ولرغبتها الشديدة في أن تشرف على كتابة مذكراتها حتى لا يتم تشويهها من الآخرين..



ولــم ....

أجد من الشعر ما يتناسب مع ما مررت به شخصياً في تلك التجربة الفريدة إلا ما كتبه الشاعر الكبير محمود درويش في موقف ربما كان يتشابه مع موقفي هذا، فكتب قائلا "ألا تستطيعين أن تطفئي قمراً واحداً كي أنام؟.. أنام قليلاً على ركبتيك فيصحو الكلام.. ليمدح موجاً من القمح ينبت بين عروق الرخام؟.. تطيرين مني غزالاً يخاف ويرقص حولي. يخاف ويرقص حولي ولا أستطيع اللحاق بقلب يعض يديك ويصرخ: ظلي لأعرف من أي ريح يهب على سحاب الحمام.. ألا تستطيعين أن تطفئي قمراً واحداً كي أرى غرور الغزال الأشوري يطعن صياده قمراً.. أفتش عنك فلا أهتدي أين سومر في وأين الشام؟.. تذكرت أني نسيتك فلترقصي في أعالي الكلام".



السـيد الحسراني

صيف 2013



القسم الأول

الفصل الأول

رحيق الطفولة

- لعائلتي تاريخ في النضال والوطنية، فشاركوا في ثورة عرابي، ونزعت ثروتهم لنضالهم ضد الإنجليز وتأييدهم لثورة ١٩١٩....
- طفولتي كانت طفولة الأمر وليس النهي أو الاستنكار أو المشاركة بالرأي ولكني دائماً أشتاق إليها....
- حاولت أمي كثيراً أن تتخلص مني، وأنا مازلت جنيناً في رحمها، ولكني صممت على البقاء حتى جئت لهذه الدنيا....
- وأنا في العام الأول من عمري تعرضت لحادث غرق كدت أفارق الحياة بسببه. وهذا هو السبب في أنني أخشى البحر....
- كانت تلاوتي لصلاة اليهود باللغة العبرية كل صباح، وأنا طفلة، سبباً في ثورة الأسرة وإحضارهم شيخاً يحفظني القرآن....



دائما أردد:

- لن تجدوني راضية عن نفسي لأني دائماً أطمع في المزيد
- حصيلتي التي اعتمد عليها في طموحي ليست الكبرياء ولا مجرد دعايات، إنما هي ثقتي في نفسي وإيماني بقدراتي الفنية وشجاعتي واحترامي الدائم لجمهوري واعتمادي على الله سبحانه وتعالى..

(ماجدة الصباحي)



وحدثت المعجزة أخيراً..!!

أخيراً وبعد أكثر من عشرين عاماً من الرفض والعصيان والصمت المفاجئ وغير المبرر.. تتكلم جميلة المصرية.. خمرية الشاشة العربية.. رائدة إنتاج الأفلام الوطنية والدينية.. التي سأل عنها الناس كثيراً.. وتكلموا عن رقتها طويلاً.. ثم صمتوا.. بعد أن اندهشوا.. فتعددت حولها الشائعات في الفترة الأخيرة نتيجة اختفائها وصمتها، وكان منها أنها تم إبعادها واختفاؤها لأسباب سياسية في فترة الرئيس السابق. أو أنها فضلت الابتعاد عن الساحة السينمائية لما تقدمه في الفترة الأخيرة من سفه وعدم احترام القيم، أو أنها مرضت مرضاً لعيناً أصابها وأجلسها في منزلها ومنعها من الحركة..

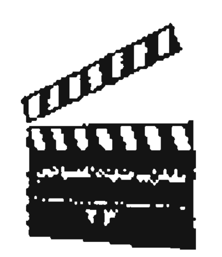
أخيراً وبعد أكثر من عشرين عاماً من الرفض الكامل لكل المحاولات التي أقدم عليها الكثير من الكتّاب الصحفيين الكبار والإعلاميين والأدباء البارزين المصريين والعرب وبعض الأوروبيين لإقناعها بتسجيل وكتابة مذكراتها ومشوار حياتها وسيرتها الذاتية معهم.. وبعد أعوام طويلة جداً من الرفض للعروض بالآلاف بل بملايين الجنيهات والدولارات لتبيع مذكراتها.. تتحدث وتطلع جمهورها العريض الموجود بشكل خاص داخل مصر وبشكل عام خارج مصر بالمنطقة



العربية، والمناطق السوفييتية سابقاً، والآسيوية والأوروبية بما سيذهلهم من أسرار وتفاصيل للمرة الأولى تظهر وتُنشر عن عذراء الشاشة "أم غادة"..

أخيراً وبعد أكثر من عشرين عاماً من الرفض.. تروي أكثر من أثارت الجدل في الوسط الفني المصري خلال القرن العشرين بما قدمته من ملاحم وطنية في شكل أفلام سينمائية.. وأكثر الشخصيات التي ناضلت ودافعت عن صناعة السينما، وكانت دائماً تعتز بمصريتها وعروبتها.. أكثر من حاربت احتكار السينما المصرية والعربية، وحوربت من هؤلاء المحتكرين. ورفضت ما تتعرض له المراهقات من الفتيات المصريات من قهر وظلم وعنصرية ذكورية داخل المنازل المصرية وخارجها، ورفضت الظلم والسجن للمناضلين، والاحتلال الفرنسي للجزائر والأراضي العربية.. التي تمتعت بثقة غير محدودة من نجلة الزعيم الروسي "خروشوف".. التي تزوجت من ضابط المخابرات الطيار الخاص للرئيس عبدالناصر الذي تزوج بعد ذلك من أرملة البطل المصري "رفعت الجمال"، أو كما يعرفه المصريون باسم "رأفت الهجان".. أخيرا تتكلم صاحبة أكثر وأكبر الأرصدة من الأفلام الدينية، تمثيلاً وإنتاجاً، وأكثر الأفلام الوطنية إثارةً للجدل في القرن العشرين (جميلة بوحريد).. فيلمها الذي تسبب في تهديد حياتها، وكان السبب في صدور قرار بمنع عرض أفلامها في فرنسا، ومطالبة بعض السياسيين الفرنسيين بإعدامها، ومحاولة اغتيالها في لبنان، الذي ظل حتى اليوم وثيقةً ودليلاً على وحشية العدوان والاحتلال على الأراضي العربية، الفيلم الذي أسهم في تحرير الجزائر، وصحت جملتها الشهيرة "لقد ذهب الاحتلال الفرنسي وبقي للأبد فيلمي "جميلة"...

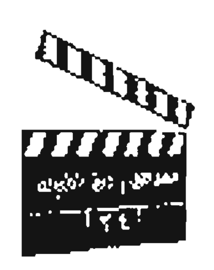
ماجدة الصباحي..... الممثلة.. المنتجة.. الموزعة.. المخرجة مرة واحدة فقط.. المناضلة.. الفدائية.. صاحبة الرسالة.. تلك البصمة الواضحة والبارزة في جدار



الزمن.. تتكلم بعد سنوات طويلة من الصمت لتخبرنا عن أيام زمن الفن الجميل.. تتكلم لتعلم الجيل الحالي من الفنانين والمنتجين.. جيل افتقد القدوة وبحث عنها كثيراً وحتى الآن لم يعثروا عليها.. جيل يجب أن يفتح عينيه ليرى ويستمع جيداً إلى أحد رواد الرعيل الأول الذي وضع أساس هذه الصناعة "صناعة السينما" التي تنحدر وتتقهقر الآن...

أنشر هنا حقائق للمرة الأولى ترى النور وتلامس رحيق الأحبار والأقلام والصفحات.. من خلال مذكراتها التي روتها وسجلتها معي - أنا وحدي - على مدار أكثر من تسعة أشهر من الجلسات المنتظمة والمطولة: استمتعت بصدق رواياتها وقصصها الممتعة، المتنوعة والكثيرة والمختلفة وأنا في حضرتها، حضرت حبيبة القلوب والمراهقة الكبيرة جميلة المصرية.. وهنا تجيب عن تساؤلات كثيرة ظلت بدون إجابات حول طفولتها ونشأتها في عائلة لها تاريخ طويل في النضال الوطني، وأيضاً ذات أصول أرستقراطية تركية، وكيف استطاعت أن تخرج على تقاليد العائلة وتحترف التمثيل وكيف أقدمت على الإنتاج السينمائي وهي لا تزال مراهقة في سن السابعة عشرة؟ وهل بالفعل هي راضية عما قدمته طوال مشوارها؟ وما الرسالة التي حملتها على أكتافها طوال هذه السنوات؟ وكيف كان لوالدتها التأثير الأقوى عليها؟ وكيف أصبحت غادة ابنتها هي كل حياتها؟ وهل كان الموساد الإسرائيلي سبباً في الفشل وعدم حصول فيلمها "أين عمري" على جائزة "مهرجان كان"؟ وهل كان له يد في تحريض السلطات الفرنسية ضدها؟ وهل حاول اغتيالها لعزمها بعد انتهائها من فيلم "جميلة" إنتاج فيلم عن مناضلة فلسطينية؟

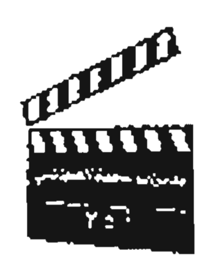
تكشف علاقتها بكل من (إيهاب نافع.. عبدالحليم حافظ .. أم كلثوم.. فريد الأطرش.. فاتن حمامة.. عبدالوهاب.. سعاد حسني.. رشدي أباظة.. زكي



رستم.. أحمد مظهر.. يحيى شاهين.. أحمد زكي.. نور الشريف.. محمود ياسين.. ميرفت أمين.. نجلاء فتحي.. ليلى طاهر.. حسن الإمام.. احمد ضياء الدين.. عز الدين ذو الفقار.. عمر الشريف.. تحية كاريوكا.. فريد شوقي.. شادية.. نادية لطفي.. كمال الشناوي.. شكري سرحان.. إسماعيل ياسين.. علي الزرقاني.. موسى صبري.. صبري العسكري.. إحسان عبدالقدوس.. يوسف شاهين.. يوسف إدريس.. حبيب مجاعص.. نجيب محفوظ.. توفيق الحكيم.. مصطفى محمود.. جمال عبدالناصر.. أنور السادات.. حسني مبارك.. وآخرون)

عن أزمة فيلم "العمر لحظة" تتحدث.. وأيضاً قصة فيلم "أين عمري" الذي رشحه مجلس قيادة الثورة ليكون أول فيلم يمثل الدولة الجديدة "جمهورية مصر العربية" في مهرجان عالمي، وهل بالفعل تم إعلان إفلاسها في أزمة مع الدولة في الستينات؟ وكيف تستطيع أن تشاهد خيال الجن والعفاريت في وحدتها؟ ولماذا تحوّلت حياتها الآن إلى السعادة الناقصة؟ وكيف عاش شقيقها اللواء مصطفى الصباحي عمره كله لم يتزوج بسببها؟ ولماذا تشجع نادي الزمالك،على رغم كل الخسائر التي يحرزها، وكيف استطاعت تصوير مشاهد "الحقيقة العارية" في درجة حرارة لا يتحملها رجال مفتولو العضلات، وهي الفتاة الرقيقة "القطة فوفة".. وما قصة الإنتاج المشترك مع الهند في أحد الأفلام؟ وما قصة مجنون ماجدة التي داومت على زيارته حتى شفي؟ وما الحقيقة في الحرب الباردة والمنافسة الطاحنة التي وقعت بينها وبين فاتن حمامة؟ وهل حسمت أم لا تزال موجودة حتى الآن؟

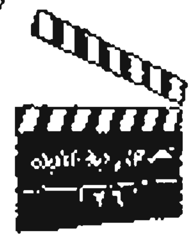
كيف استطاعت أن تتحمل خيانة مدير أعمالها التي استمرت لأكثر من عشرين عاماً؟ وهل حقاً جردها في هذه الفترة من ثروتها؟ وما حقيقة عزوفها عن الحب والزواج سنوات طويلة، حتى أطلق عليها البعض شائعات أنها سحاقية؟ وما



قصة حبها وزواجها بإيهاب نافع؟ ولماذا أدخلته الوسط الفني، ولماذا حدث الانفصال بينهما؟ ولماذا ظلت أكثر من أربعين عاماً بعد ذلك دون أن تتزوج؟ وما حقيقة مواظبتها على صلاة اليهود باللغة العبرية وهي طفلة؟

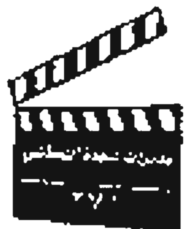
كيف تعيش ماجدة الصباحي الآن؟

لم يكن اقترابي منها سهلاً أبداً.. فهي تعيش وفق نظام وبرنامج يومي وضعته لنفسها لا تسمح لأحد بتغييره أو عرقلته.. وأيضاً غير مسموح لأحد بالتطفل أو الاختراق.. لذلك كان السماح لي بالاقتراب منها أمراً غير عادي، ومن المستحيل أن يحدث.. ظللت أكثر من عام ونصف العام أحاول إقناعها بتسجيل مذكراتها "لكوني أهتم بهذا الجانب الصحفي الذي لا يوجد أحد من زملائي أو أساتذتي تفرغ له وتخصص فيه غيري": وكانت هي كما هي لا تغير من إجاباتها بالرفض: لديها يقين بأن الوقت لم يحن بعد لتفتح قلبها وتُخرج أسرارها.. ولكن لم أصدق نفسي عندما رن جرس التليفون ذات صباح ووجدت محدثتي هي "رشا آدم" مديرة مكتبها تقول لي المدام ترغب في مقابلتك غداً، وأغلق الخط ولكن كانت الجملة تطاردني في كل مكان أتجول فيه داخل شقتي ورأسي يملؤه الأسئلة التي لا توجد لها أجوبة: وكنت أتمنى أن نكون غداً حتى أذهب إليها، ومرت الثواني والدقائق والساعات وكأنها سنوات ثقيلة لا تريد أن تتحرك، وفور رؤيتي لنور الصباح الذي كنت أنتظره. لم يجافيني النوم في تلك الليلة فارتديت ملابسي وذهبت إليها مسرعاً.. سبقني خيالي إلى هناك يحاول الاستكشاف ولكنه عاد إليّ مطأطأ الرأس خائب الرجاء يجر وراءه أذيال الخيبة والعار لعدم قدرته على التوصل لأي شيء يمكن أن يفيدني عن فحوى اللقاء.. وجدت نفسي فجأة أدخل إلى مكتبها لم أشعر بالمسافة بين مسكني ومكتبها.



فوجدتها تستقبلني وهي تبتسم في رقتها التي عودتني وعودت جمهورها عليها، وملامحها الخمرية التي ربما ظهرت عليها بعض التجاعيد ولكنها لم تختلف كثيراً عن الصورة التي تعودنا أن نشاهدها فيها.. وصوتها لا يزال يحمل نغم الرقة والنعومة التي لم أسمعها بشكل خاص، ولم يسمعها الجمهور المصري والعربي بشكل عام إلا منها هي وحدها "ماجدة".. ثم قالت "سيد.. أنا موافقة على تسجيل مذكراتي معك"، بالطبع طلبت أن أسمع الجملة مرات ومرات حتى أستطيع التصديق وأقنع نفسي بأني لست أعيش في لحظات من السراب داخل حجرات الخيال والأحلام المظلمة التي تنتمي لليلة الماضية، وربما يكون هذا يحدث لي لرغبتي الشديدة في التعرف على سبب طلب اللقاء المفاجئ.. ولكنها تابعت حديثها بجملة أخرى أكدت لي بأني مستيقظ وما اسمعه حقيقة وليس سراباً، فقالت "ربما نتيجة مقابلتنا وتحدثي معك طويلاً استطعت أن تفعل معي ما لم يفعله الآخرون، وهو أني اطمأننت لك وشعرت بأنني أستطيع أن أثق بك"، وهنا شكرتها كثيرا من صميم قلبي..

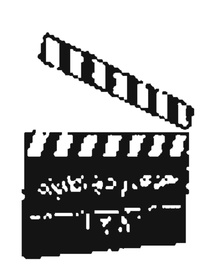
وكل ما أستطيع أن أعبر عنه أنها لا تزال ماجدة بوزنها المثالي، ورشاقتها المعهودة، ورقتها التي "تبطل الوضوء"، كما قال الشيخ عبدالحميد كشك في إحدى خطبه.. وجهها لا يزال ينبض بالحيوية، ولا تزال تتحرك بحيوية الشباب، فبداخلها طاقة وشعلة من النشاط تدفعها وتتفوق على نفسها دائماً.. لا تزال تتمتع بذاكرة قوية على المدى البعيد، ضعيفة بعض الشيء على المدى القريب.. لا يشغلها شيء عن قضاياها التي تفرغت لها منذ سنوات طويلة، وحاولت تقديمها في السينما تمثيلاً وإنتاجاً بأشكال متعددة.. كل ما استطاعت أن تفعله منذ سنوات عدة هو أنها ابتعدت عن المشكلات التي تشغل المصريين والساحة السينمائية في الفترة الأخيرة.. فالفنانون دائماً يحبون المعيشة في أجواء تملؤها الهدوء والسكينة، وكانت تعلل دائماً طوال قربي منها أن مصر والأمة



العربية والإسلامية تتلخص معاناتها الآن، من وجهة نظرها، في جملة واحدة (الجهل.. الذي خلفه الفقر والحرمان الذي أوقعنا فيه النظام السياسي الذي كان)، وكل شيء يعاني المصريون منه الآن يندرج تحت تلك الجملة..

اقتربت منها في يوم علامة في تاريخها، ذكرتني وأذكركم بتجربتي السابقة في "مذكرات المفكر الكبير مصطفى محمود"، لقد وجدت أن وجه التشابه بين لقائي به ولقائي بها في نواحٍ كثيرة متقاربة، ربما يرجع لأن كلاً منهما أخلص كثيراً فيما خلق له.. فاليوم الذي شهد مولدها، والعائلة تحتفل بعيد ميلادها في اليوم السادس من شهر مايو ٢٠١٠ من عمرها.. شاهدتها.. راقبتها.. حاورتها.. جادلتها واستمتعت بالخصوصية التي خصتني بها هي وعائلتها الكريمة، التي تتكون من ابنتها الوحيدة الممثلة "غادة نافع"، وحفيدها الوحيد "أحمد"، واستغليت انشغال الأسرة معها لأطوف في شقتها الخاصة التي توجد في عمارة تملكها هي وأسرتها، والموجودة بحي الدقي، سحرتني تلك اللوحات الزيتية التي ربما ترجع لأكثر من أربعين عاماً. التي رسمها فنانون كبار، لوجه الفنانة ماجدة، تستطيع تلك اللوحات أن تشعرك وأنت تقف تتأملها بأنك داخل أحد أفلامها الرائعة، وأيضاً أيقنت مدى حسها الفني العالي مما تقتنيه من تحف وزخارف ربما لن تراها إلا عندها، وأيضاً وجدت لديها مكتبة ضخمة جداً من الأفلام الأجنبية والعربية الخاصة بها، التي تعتبر أنها رفيقتها الوحيدة في وحدتها هذه الأيام..

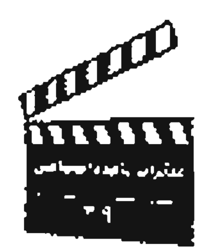
لم يتغير برنامجها طوال فترة اقترابي منها، فهي بعد الاستيقاظ في العاشرة صباحاً تتناول وجبة إفطار خفيفة في السرير "شاي بحليب وبسكوت"، ثم تحصل على حمام دافئ، وبعد ذلك تبدأ بقراءة الجرائد، خصوصاً الجرائد الخاصة، وهي تتابع بعض الأخبار عبر شاشة التلفاز، ثم تذهب إلى مكتبها في



عمارة الإيموبليا، وتصل في حوالي الساعة الثانية عشرة وتظل به تتابع عملها لا تتوقف إلا في تمام الساعة الخامسة، لتعود إلى منزلها مرة أخرى وتصل في الساعة السادسة، وهناك تتناول الغداء في السادسة والنصف، الذي يتكون من "سلطة خضراوات وأرز وقطعة صغيرة جداً من اللحم أو الدجاج أو السمك"، ثم تذهب في رحلة لقضاء بعض احتياجاتها وتؤدي بعض الزيارات الخاصة، "وهذا لا يكون في أغلب الأحوال، وتعود لتتناول وجبة العشاء في العاشرة مساء وتكون عبارة عن "قطعة جبن خفيفة وثمرة واحدة من الفواكه"، ثم تصعد إلى ابنتها الوحيدة غادة، وهي تسكن في الطابق العلوي لها لتقضي معها ومع حفيدها بعض الوقت.. وهذا البرنامج يتم تطبيقه من دون أي تغيير أو خلل طوال أيام الأسبوع، باستثناء ليلة الخميس والجمعة والسبت، فلها برنامج آخر، فهي تقضيها في فيللتها الخاصة بمدينة ٦ أكتوبر، حيث تفضل الابتعاد عن الضجيج والزحام الذي تضج به القاهرة، خصوصاً بعد الثورة، وتخصص يوم السبت للمقابلات العائلية والأسرية، وأيضاً تستقبل فيه مدير أعمالها "أحمد شوقي" ليعرض عليها بعض أعمالها الخاصة بمجمع ماجدة الوجود في أكتوبر.. إنها تفضل في نهاية كل أسبوع أن تنعزل عن العمل والتفكير في مشاكله التي لا تنتهي وتجلس داخل فيللتها في هدوء وسكينة، تستمتع وتتأمل وتستعيد الذكريات الجميلة، وتتصفح ألبوم الصور الذي يسجل بداخله كل لحظات العمر الذي رحل، وتتذكر مواقف كثيرة ومختلفة، تضحكها أحياناً وتبكيها في أحيان أخرى...

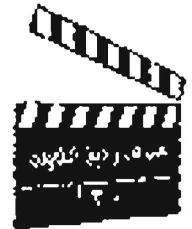
كان هذا الجو داعياً ومشجعاً بأن تُخرج ماجدة الصباحي ما في حقيبة ذكرياتها، وتتكلم في كل ما صمتت عنه طوال الأعوام الكثيرة التي مضت، وتفتح دفاتر أسرارها التي وجدت أخيراً أنه آن الأوان أن تعلنها...

فحياتها سلسلة من التحديات.. حلم يتحول إلى حقيقة.. مشاريع تتحول إلى نجاح.. عاشت الفن.. وأعطته أجمل سنوات عمرها.. وأعطاها أجمل ذكرياتها..



إنها حالة خاصة من النجوم الذين عاشوا الفن بكيانهم ووجدانهم.. أشهر فاتنات الشاشة في مصر والعالم...

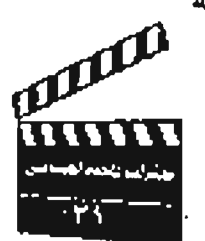
في هذه النقطة تقول عفاف علي كامل الصباحي، الشهيرة بـ"ماجدة الصباحي": في البداية كانت عائلة الصباحي من العائلات الكبيرة التي تقطن وتعيش داخل قرية موصطاي مركز قوسينا التابعة لمدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية، وكانت تمتلك الضياع والقصور الفخمة، فجدي لأبي هو المرحوم "عبدالرحمن باشا الصباحي"، عضو مجلس شورى القوانين في عهد الخديوي إسماعيل، ونفي معه، وكان هو المؤسس الرئيسي لعائلة الصباحي في ذلك التوقيت، وكان يروي لي أبي كثيراً حول أن أساس العائلة بدأ باثنين من الأشقاء أحدهما ذهب ليعيش في جبل الدروز بلبنان، والآخر - وهو جدي - أتى ليعيش في مصر، واختار المنوفية مكاناً لإقامته، وكان في الماضي للعائلات أوضاع مختلفة عما نحن فيه الآن، وكانت ممتلكات عائلتي من الأطيان والأراضي حوالي إثني عشر ألف فدان، وكان أفراد العائلة جميعاً يعيشون داخل البيت الكبير، وهو "قصر الصباحية"، الذي لا يزال موجوداً حتى الآن في قريتنا، وكان يوجد داخل هذا القصر، وبحسب التقاليد المتعارف عليها في ذلك الوقت، الأغوات وهم "الرجال الذين تم خصيهم ونزعت منهم ذكورتهم"، وكان لابد ألا يدخل القصر من الرجال الغرباء أو من يقومون بحراسته غير الأغوات، وذلك لكثرة نساء القصر وللحفاظ على شرفهن وعدم مساسهن بأي سوء، وكان ضمن نساء القصر أمي وجدتي ونساء أخريات من العائلة، ومساحة هذا القصر شاسعة، وكان يُفرش بأفخم أنواع الأساس الذي أتى به الجدود الأوائل من باريس واسطنبول، وكان يعيش بداخله الكثير من الخدم، وكان أكثر أبناء العائلة يشغلون أكبر المناصب في الدولة، فأخبرني أبي أن جدي الصباحي باشا كان يعتز بمصريته إلى حد الهوس، وعندما قامت الثورة العرابية كان جدي وكل أفراد عائلة الصباحي من



بين ثوار عرابي وجنوده.. ثم ازداد تنكيل الإنجليز بأفراد العائلة، وبالتحديد بعبدالرحيم الصباحي، ويوسف الصباحي، اللذين كانا من كبار المناضلين ضد الاستعمار الإنجليزي، وفي أعقاب ثورة ١٩١٩ استطاع الإنجليز أن يجردوا "آل الصباحي" من بعض أملاكهم وضياعهم الواسعة؛ إلا أن هذا لم يؤثر على الإطلاق في حماسهم الوطني وعدائهم الشديد للاستعمار الإنجليزي آن ذاك، (وهنا أخرجت لي الفنانة ماجدة بعض تلغرافات التعزية في جدها، التي تعود لعام ١٩٤٣، التي كانت مرسلة من مصطفى باشا النحاس وأحمد تيمور وفؤاد سراج الدين وعلي ماهر وآخرين؛ وذلك لتكون توثيقاً لمكانة العائلة)...

كانت أمي تروي لي دائماً عن المدرسات اللائي كن يأتين إليهن في القصر؛ فكان هناك أولويات لتعليم أبناء الأثرياء من الإناث اللغات الأجنبية، وكان تأتيهن مدرسات لتعليم اللغة الفرنسية، وعلى رغم ذلك فالجميع داخل العائلة يراعي التقاليد والأعراف المتوارثة، التي لا يُقبل في تطبيقها تهاون أو جدال ونقاش، فكانت أشبه بدكتاتورية.. واللغة السائدة في تلك الفترة هي تقديس واحترام منقطع النظير لرب الأسرة، الذي ينتفض الجميع لحضوره أو ذهابه؛ فكان أشبه "بسي السيد" وأكثر بكثير، وكل هذه الصفات لم يكن يتمتع بها أبناء الطبقات الشعبية فقط، كما صور نجيب محفوظ وكتاب آخرون في رواياتهم وكتاباتهم المختلفة؛ ولكنها كانت أيضاً سمات وصفات عائلة الصباحي وعائلات أخرى كثيرة ومختلفة من الأثرياء الذين تعرضوا لأبشع أنواع الهجوم والافتراءات والأكاذيب من بعض الروائيين والسينمائيين في الخمسينات في أعقاب ثورة ٢٣ يوليو التي ربما تكون وجهتهم إلى هذا لنبذ الطبقات الأرستقراطية...

كان نساء العائلة يتمتعن بجو من الحب والتفاهم نتيجة تعايشهن في وحدة المكان الذي افتقدته العائلات في وقتنا الحالي؛ فدائماً كانت تقام جلسات التسلية



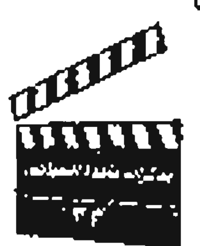
والسمر وصالونات التعارف وتبادل الثقافات التي كانت لا تنقطع أبداً باستضافة وضيافة نساء العائلات الصديقة والمجاورة لعائلة الصباحي، مثل عائلات "الخادم والعلايلي والهرميل وأبو مصطفى".. وهناك قصص كنت أسمعها من جدتي وظلت راسخة بداخلي طوال سنوات عمري؛ فمنها أن القصر في قريتنا كان له عظيم الاحترام والإجلال الذي يعبر عنه أهل القرية لكونه ينتسب لعائلة الصباحي. فكان الجميع يظهرون هذا الأدب والاحترام في كيفية المرور أمامه، فلا يمكن لأحد أن يمر من أمامه وهو على ظهر دابته، ولكن لابد أن ينزل عنها ويسير بجوارها على قدميه كنوع من إظهار الاحترام والتقدير، فهذه كانت مكانة العائلة وأخلاق أهل قريتنا..

ولم يكن يوماً أبي وأمي مجرد زوجين فقط؛ بل تربطهما صلة الدم الواحدة والعائلة الواحدة، فكل منهما ينتهي لقبه للصباحي، فهما أبناء عمومة؛ جمعتهما قصة حب عنيفة؛ ولكن كان موعدها في توقيت غير مناسب؛ حيث كانت هناك بعض المشاكل والخلافات التي نشبت بين الأسرتين، "أسرة جدي لوالدي وجدي لأمي"، وفي ذلك الحين كان والدي غير عابئ بالثروة والمال، وأصبح موظفاً؛ على رغم انتقاد الأسرة لقبوله الوظيفة ولكنه قبلها وأقدم عليها إيماناً منه بأن العمل هو قيمة الإنسان، وهو القادر على تحقيق ذاته، وعندما أعلن أبي وأمي عن قصة حبهما ورغبتهما في وضع نهاية لهذا الحب بالارتباط والزواج وجدا الرفض القاطع من الأسرتين لما كان بينهما من خلاف. وأيضاً معترضين على نشوب مثل هذا الحب بينهما في الخفاء، معتبرين هذا خروجاً على التقاليد المتوارثة، وقالوا "تقاليد العائلة لا تسمح بأن تحب الفتاة من وراء أهلها". ولكن أبي وأمي؛ التي كان اسمها "ناهد يوسف الصباحي"؛ قررا أن يتزوجا؛ على رغم إرادة عائلتيهما. وتوسعت فجوة الخلاف بين الأسرتين بسبب هذا الزواج، وبالفعل أتفق أبي وأمي على الهرب وقررا الذهاب إلى مدينة طنطا بمديرية الغربية



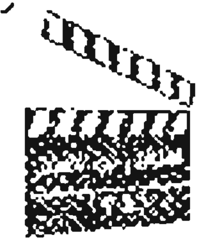
"محافظة الغربية الآن". وأتما هناك مراسم الزواج وعقد القران. وكان اختيار اللجوء إلى طنطا لسببين، الأول أنها المحطة الأقرب لهما. والسبب الآخر أن أبي كان حصل على شهادة البكالوريا وتم تعيينه في الديوان العام بطنطا، وعاشا داخل هذه المدينة العطرة في رحاب مقامات الأولياء والصالحين. وعندما اكتشفت الأسرة هروبهما وزواجهما حدثت حالة من الثورة والصراع والخلافات. وترتب على ذلك مقاطعة الأسرتين لهما وحرمانهما من الميراث وحرمانهما من مساعدتهما وإعطائهما أي مبلغ مالية تساعدهما في المعيشة ومواجهة الحياة الصعبة، ولكن الأمر لم يكن يعني أبي في شيء. وقرر أن يتحمل تبعات قراره ويعمل بجد واجتهاد لقد كان حبهما أشبه بقصة "قيس وليلى" التي قدمتها في فيلم سينمائي بعد ذلك. وانقسمت العائلة وكان يسيطر عليهم شعور بأن ما حدث هو بمثابة تعدٍ على وضعهم العريق. ولكن في النهاية استمر الزواج الذي كانوا يتمنون ويتوقعون له جميعا الفشل، ولكنهما أكدا نجاحه الذي أثبته ثماره الطيبة بمولد أخوتي قبلي وتأكد أكثر بمولدي وقدومي...

كنت أنا أصغر أبناء الأسرة، وجاء مولدي في "[illegible] مايو ١٩٣٦". وعند ولادتي صادف أنه كان يوم احتفالات "شم النسيم" مما جعل أخوتي يتفاءلون بي وبابتساماتي الدائمة، فقد تم نقل أبي بعد ولادتي بشهور إلى وظيفة أكبر في وزارة المواصلات. وانتقلنا إلى القاهرة في منزل صغير به حديقة، فجميعنا من أبناء المنوفية. وولدت في طنطا. وعشنا حياتنا كاملة في القاهرة بحي السكاكيني، وبعد ذلك انتقلنا إلى سكن في الهرم.. كان ترتيبي الرابعة والأخيرة بين أخواتي، فكانوا بحسب ترتيبهم "عايدة وتوفيق ومصطفى" ثم أنا، ولقد حدثت لي مجموعة من النوادر والقصص في طفولتي ترويها لي أمي، أولها أن أمي حاولت كثيراً وبشتى الطرق أن تسقطني وتتخلص مني، وأنا مازلت جنيناً في رحمها



أثناء فترة الحمل، وكان أسباب ذلك أنها كانت لا ترغب في إنجاب أكثر من ثلاثة أبناء فقط، وكانت تعتبر حملها الرابع غلطة يجب أن تصححها بالتخلص من الجنين...

"ضحكت الفنانة الكبيرة ماجدة" قائلة: لكني صممت على البقاء حتى جئت لهذه الدنيا، وأيضاً كنت أكثر تصميماً عندما تعرضت لحادث، غرق كدت أفارق الحياة بسببه، وأنا مازلت في العام الأول من عمري. وهذا تسبب في أنني أخشى مياه البحر، وتسبب بعد ذلك وحتى الآن في أن الصيف كان ومازال يُقبل ويولي ولا استمتع إلا بأيام قلائل أمضيها على شاطئ البحر في رأس البر أو الإسكندرية دون أن أسبح في الماء مثلما تفعل المصيفات السعيدات، لأن العداء بيني وبين ماء البحر قديم، عمره أقل من عمري بعام واحد، لقد صاحبني هذا العداء طوال حياتي، فلم نفترق ولم نتوار عن بعضنا البعض أبداً، فكان مجرد رؤيتي للبحر وهو يمتد أمام ناظري كافياً لأن يجعل نفسي تنقبض ويولي المرح مسرعاً بالهروب، فقد روت لي أمي هذه القصة عن تاريخ عدائي للماء التي لا أستطيع أن أعيها أو أتذكرها، فقالت موجهة الحديث إلي: كنت في عامك الأول صغيرة خمرية يطل من عينيك الذكاء "هذه شهادة أمي ولا يؤخذ بها!"، وكنا كأسرة نذهب إلى رأس البر كل صيف ونختار مكاناً بعيداً من أعين الناس لنسبح فيه، وكنا نحن السيدات نختار الصباح الباكر قبل أن يستيقظ الرجال من نومهم، ويحاول فضولي منهم أن يتسلل إلى حيث نسبح. وقد تركتك على الشاطئ بينك وبين الماء أكثر من عشرة أمتار، وهي مسافة كافية تماماً لأطمئن عليك وأتوغل في الماء، وكان معنا جارات لنا في رأس البر فتسابقت معهن وعدنا إلى الشاطئ متعبات ويصيبنا الإرهاق، ووقفنا وأقدامنا تغوص في الماء نتسامر. وفجأة أحسست أن شيئاً ما يصطدم بقدمي، وأصابني الذعر، ونظرت إلى الماء وكان صافياً بحيث أرى منه قاع البحر فوجدتك.. نعم وجدتك تحت قدمي،



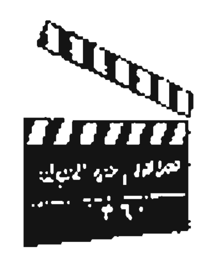
فانحنيت واختطفتك من الماء الذي كان يجرفك أمامه إلى داخل البحر، وهرولت بك مسرعة نحو الشاطئ وأنت في أحضاني. وأنا أبكي وأربكني الموقف فلم أستطع أن أفعل شيئاً وأنا أراك فارقت الحياة، أما الصديقات اللواتي كن معي فقد اختطفنك من أحضاني، وقامت إحداهن بعملية إفراغ الماء من معدتك، كل هذا وأنا أراقبك من خلال دموعي. وفجأة بدأ صدرك يعلو ويهبط وبدأت عيناك تنفرجان لأرى فيهما وميض الحياة. وبدأ صوتك يخرج صرخات وبكاء، فسارعت لاختطافك مرة أخرى وأغمرك بقبلاتي.. فكانت معجزة، والذي حدث طبعاً أنني جعلت أحبو إلى أمي التي كانت في الماء، ولما وصلت إلى الماء جرفني، والمعجزة أنني اصطدمت بقدمي أمي، وبمرور الوقت صارت عندي عقدة من الماء، وأصبحت أخاف من البحر وأمواجه، وأصبحت أقنع من المتعة التي قد يجدها كل إنسان بالمرح على الرمال وبين الأمواج، بقراءة ذكريات الصيف، وقصائد الشعراء عن البحر، وجمال الشمس وهي تغرب فوق...

أتذكر أيضاً أن طفولتي كانت طفولة الأمر وليس النهي أو الاستنكار أو المشاركة بالرأي، وهذا كان يعود لأني أصغر أفراد الأسرة كما ذكرت. فكنت دائماً المأمورة من الجميع، وكنت دائماً أتلقى الأوامر والتعليمات في صيغة الأمر "افعلي.. نفذي"، ففي أسرتي كان الكبير يأمر والصغير يطيع، ولا يوجد شيء يدعى التعبير عن رأي لصغار السن بها، والعائلات الكبيرة كانت دائماً تتبع تلك السياسات الصارمة في تربية أبنائها.. فكنت دائماً أنا وحدي الضحية لتلك التقاليد: فالجميع يأمرون وأنا أطيع.. وعلى رغم ذلك كانت طفولة أشتاق دائماً إليها، لأنها كانت طفولة غنية بالتفاصيل مترامية الأبعاد...

فعندما لم يكن عمري تجاوز الخامسة دخلت مدرسة "جابيس"، وكانت مدرسة يهودية في جاردن سيتي التي كانت تديرها سيدة يهودية، وأتذكر حادثاً مثيراً



وقع لي في بداية التحاقي بالمدرسة، حيث كانت السيدة المديرة تصر على أن يتعلم كل الأطفال الموجودين بالمدرسة، أياً كانت ديانتهم، صلاة اليهود، وذات يوم كنت أجلس في منزلنا مع جدتي لأمي وتذكرت فجأة أنني لم أؤدِ صلاة الصباح التي تعودت أن أؤديها في المدرسة، وصليتها أمام جدتي. ولم تفهم شيئاً مما أقوله بالعبرية طبعاً، فسألتني عن معنى الكلمات التي أرددها، فأخبرتها أن هذا الذي أردده صلاة اليهود الصباحية، وثارت جدتي من هول الصدمة التي كنت لا أعيها في هذه السن الصغيرة، وامتدت الثورة إلى كل أفراد الأسرة، ووجد كلاً من أبي وأمي نفسيهما في موقف حرج جداً لأنهما أدخلاني مدرسة يهودية مصرية، ولم تنتهِ الثورة إلا عندما أحضر أبي لي أحد الشيوخ الأجلاء ليحفظني القرآن ويعلمني الصلاة، وقد أفادني هذا جداً، فعلى يدي هذا الشيخ تلقيت الكثير من أصول الثقافة العربية وآداب لغتنا العربية حتى أجدتها إلى جانب اللغات التي أتقنها منذ الطفولة "الفرنسية والعبرية والإنجليزية" التي تعلمتها بعد ذلك، وحفظت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة وأصول الدين، ومضت الأيام بي، وبعد سنوات التحقت بمدرسة الراهبات "البون باستير" وكانت في شبرا، ومعناها الراعي الصالح، وكان اسمي الحقيقي، كما ذكرت، "عفاف"، وكانت العادة في المدرسة أن تحمل كل تلميذة اسم دلع، وسألتني إحدى الراهبات عن اسمي فقلت لها "قطة"، وهكذا كانوا يسمونني في البيت أيامها، ولكنها هزت رأسها قائلة لا سيكون اسمك من الآن "فوفة"، وأصبح هذا الاسم علماً في المدرسة والبيت على السواء، وكانت الراهبة التي اختارت لي هذا الاسم معجبة بشخصيتي جداً، ولم أكن وصلت بعد إلى سن العاشرة، كانت تقول لي دائماً أنت فتاة طموحة وسيضعك طموحك هذا على القمة ذات يوم، وكنت لا أرضى بالقمة بديلاً، حتى وأنا في هذه السن، وذات مرة انتزعت مني تلميذة زميلة الأولوية على الفصل فظللت أبكي حتى تورمت



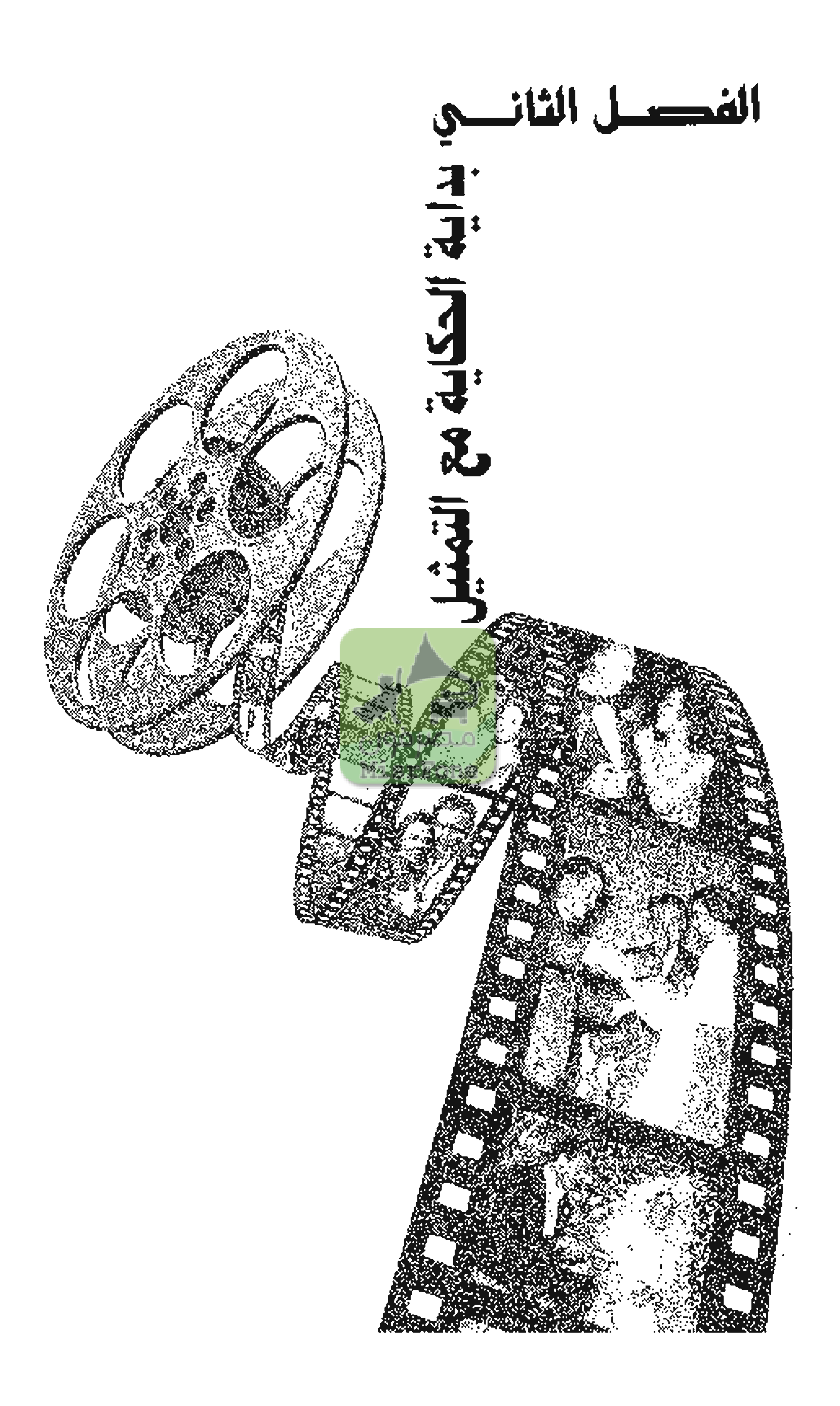
عيناي، وأمرني الطبيب بالراحة خوفاً من المضاعفات، ولكني لم استرح أبداً إلا بعد أن استعدت أولويتي لفصلي الدراسي، وبعد ذلك تخرجت في "البون باستير" وعملت بالسينما وحققت النجاح المنشود، والتقطت لي صور عدة وأنا أحيي الجماهير التي توليني حبها وإعجابها؛ وحملت هذه الصور وذهبت بها إلى "البون باستير" وسألت عن الأخت الراهبة التي تنبأت لي ذات يوم بالمجد والشهرة: ولكنني حزنت جداً عندما علمت أنها غادرت الدنيا واختارت جوار ربها....





الفصل الثاني

بداية الحكاية مع التمثيل



- كنت أهرب في الحمام من الصحفيين، وطلبت من المخرج تغيير اسمي لـ"ماجدة" لخشيتي من الأسرة عندما يُنشر في الصحف....
- توقف تصوير فيلمي الأول مع إسماعيل ياسين "الناصح" أياماً عدة بسبب إعطاء فستاني للخادمة...
- حصلت على أجر ١٠٠ جنيه بالفيلم الأول، ورفضت استئجار البواب ليمثل دور والدي...
- هربت من اختبار الغناء بالإذاعة. وجميع الظروف خدمتني لتصوير الفيلم الأول من دون أن تشعر الأسرة ....
- أمي كانت تقرأ الفنجان وتنبأت بأن يكون لي شأن عظيم بالداخل والخارج..

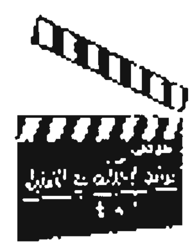
- إن مهنة التمثيل كمهنتي المحاماة والصحافة، لها رسالة خالدة في تاريخ المجتمعات
- الواجب يحتم علينا تطعيم المسرح والسينما بالعناصر المختارة من بنات الجامعات
- يجب أن نحارب كل فكرة الغرض منها محاربة المسرح الجامعي أو الانتقاص منه
- لا شك أن وجود الطالبة والطالب على المسرح أمر حيوي يتطلبه العمل الفني ولابد أن نشجعه.

(ماجدة الصباحي)



لا تزال ذكريات الطفولة حاضرة بكل تفاصيلها الدقيقة ومعانيها الكبيرة وكأنها كانت بالأمس.. فمازالت الفنانة الكبيرة ماجدة تحكي وتقص كواليس وأسراراً مضى عليها خمسون عاماً وهي داخل خزينة أسرارها التي كانت تكتب عليها دائماً ممنوع الاقتراب أو التصوير. فالطفولة هي العامل الأول لتكوين الشخصية وهي الراسخة دائماً في الوجدان بكل ما فيها من مواقف كثيرة وتصرفات تبدو لنا جميعاً في الكبر غريبة. وهنا تقول الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي...

كنت أدرس في مدرسة "جابيس": كما ذكرت من قبل. وكانت مدرسة يهودية، وكان اليهود المصريون موجودين بأماكن كثيرة ومختلفة داخل مصر، ولهم مدارس وتجارة كبيرة. واليهود المصريون كانوا يتمتعون بسمعة طيبة، وكانت تلك السمعة ناتجة عن معاملتهم الملتزمة. وكان التجار منهم يتمتعون بقدر عالٍ من الذكاء والنجاح. وكان لنا أصدقاء كثيرون من بينهم، ولقد تلقيت التعليم الأول في إحدى مدارسهم الداخلية، وانتهت دراستي بها بعد ثلاثة أعوام كاملة. وكان كل من أمي وأبي يداومان على زيارتي ويسمح لي بزيارتهما يوم العطلة الأسبوعية، فجابيس كانت مدرسة أرستقراطية لا يرتادها إلا أبناء الطبقات العليا في المجتمع. وفيها كان يطبق نظام صارم جداً في الدراسة والمعيشة، "فوجبة الإفطار تكون عبارة عن ساندوتش وشاي بلبن، والغداء وجبة كاملة مغذية، والعشاء زبادي وفواكه"، والنوم والاستيقاظ يكون مبكراً، وتعلمت في



هذه المدرسة كيف أستطيع تنظيم وقتي واستغلاله حتى آخر دقيقة، وكنا نتلقى الدراسة باللغة الفرنسية، وعلى رغم أنني في البداية كنت أرفض بشدة مدرسة "جابيس" لأنها ستتسبب في أن أبتعد عن أسرتي طوال مدة الأسبوع إلا أنني عشقتها بعد ذلك واعتدت عليها، وأصبح من أهم الأشياء التي تميزني داخل المدرسة قدرتي على استيعاب كل ما يدور حولي، ولقد كان اختيار الأسرة لتلك المدرسة أن ذاك بسبب كثرة الخلافات بين أبي وأمي، فكانوا لا يحبذون أن أتواجد في هذا الجو المتوتر، ولكن ظل أشقائي بينهم لكونهم في سن تتيح لهم تحمل واستيعاب ما يجري..

وهنا قرأت الفنانة ماجدة ما يموج في عينيّ من أسئلة أريد طرحها لأتعرف على إجاباتها حول والدها ووالدتها اللذين كان لهما التأثير الأول عليها، فقالت.. لقد كان أبي يتمتع بخفة ظل منقطعة النظير ويحافظ دائماً على ممارسة الرياضة، ومازلت أتذكره وهو يمسك بقطعتين صغيرتين من الحديد يومياً فور استيقاظه من النوم في الصباح، ويؤدي بهما بعض الحركات والتمرينات الرياضية، وكنت استمتع بمشاهدته أيضاً وهو يقوم بالغناء - باللغة الإنجليزية - ودائماً كنت أجده يتمتع بقدر عالٍ من الأناقة والجسد المتوازن والبشرة البيضاء والوسامة نتيجة لجذوره التركية التي تعود لوالدته. وأمي كانت هادئة الطباع وتتمتع بقدر كبير من الشفافية التي أهلتها لرؤية وقراءة الفنجان للأقارب والأصدقاء من الجيران، ولقد قرأته لي وأنا طفلة وأكدت أني سأكون من المشاهير، ومن أصحاب المكانة الرفيعة في مصر والعالم، وبالطبع في حينها لم أصدق ذلك، وكنت أشاهد في جلساتها مع صديقاتها لقراءة الفنجان شغف الجميع الملتفين حولها يترجونها لكي تقرأ لهم الفنجان، فالجميع يريدون الاطمئنان على مستقبلهن مع أزواجهن، كما أنها كانت تتمتع بصفات الطيبة والكرم والعطاء التي كانت تظهر في معاملتها مع الجميع، "الجيران والأصدقاء والبائعين"، وكنت وأنا طفلة وعند عودتي للمنزل في الإجازة الأسبوعية أنزل من أتوبيس المدرسة فأجد



بسطاء ومتسولين يجلسون على الرصيف فأصطحب أحدهم معي للمنزل بعد أن أعلم أنه لم يتناول الطعام منذ يوم أو يومين وتجدني أمي أدخل عليها أناديها بأعلى صوتي فرحة وسعيدة بما أصنع، وكان يهلل وجهها بالسعادة وتبتسم لي ولضيفي وتضع له كل ما يكفيه من الطعام. فكانت أمي دائماً عطوفة وحنونة وتساعد غير القادرين قدر استطاعتها، وكانت هذه طبيعتي في الطفولة، فلابد أن أطعم أحداً حتى أشعر بلذة وطعم ما أتناول. فهذه هي الطباع التي نشأت عليها وتوارثتها عن أمي التي كانت أول من تعلمت منها وتأثرت بها فعاشت في وجداني حتى الآن.. وعلى رغم أن أمي كانت تنتمي للأسرة الأرستقراطية والعائلة الثرية ودائماً كان يوجد من يعمل على خدمتها داخل قصر الصباحية. إلا أنها عندما تزوجت استطاعت أن تتعايش مع واقعها الجديد وتتحول من البنت المرفهة إلى الزوجة المثالية، وتعلمت كل احتياجات الحياة الزوجية. وذلك كان نتيجة لظروف أبي المادية التي لا تسمح بوجود من يعاونها "شغالين" في السنوات الأولى من الزواج. وأصبحت في النهاية سيدة منزل ممتازة..

وأتذكر جيدا أن صديقات والدتي كانوا جميعا من الأجنبيات "اليهوديات واليونانيات والإنجليزيات" ولكن كانت اليهوديات المصريات من جيراننا الأقرب إليها دائما، وأتذكر أنهم "روز وفورتيني وراشيل"، وكانوا دائما يأتين لزيارتنا ونذهب لزيارتهن ويتبادلن ويتهادين الأطعمة مع أمي - تضحك الفنانة الكبيرة ماجدة وتقول - فأمي لم تتخلص من الطباع الريفية التي ورثتها، فكانت فلاحة أصيلة وكان التهادي بالطعام جزءاً أصيلاً من طباع الفلاحين في دلتا مصر .. فلقد تعلمت منها الكثير وتأثرت بها حتى وأن أقف بعد ذلك أمام عدسات كاميرات التصوير...

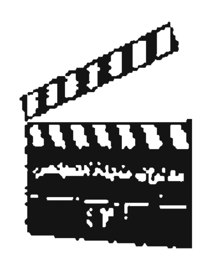
كان والدي دائماً لا يصادق إلا الشباب من أبناء العائلة، وممن هم أصغر منه عمراً. فيجلس معهم ويتعرف على مشاكلهم، مردداً بأنه لا يطيق مجالسة كبار السن



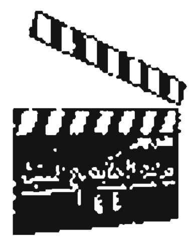
لأنهم يشعرونه بالعجز والشيخوخة، وكان مطلعاً وقارئاً جيداً، وعلى قدر عالٍ من الثقافة ويعشق الضحك والنكتة ويستمع إلى موسيقى أم كلثوم وعبدالوهاب وبعض الموسيقى القديمة "الشيخ زكريا أحمد وعبده الحمولي وسيد درويش"، ولا يشغل باله أي هموم غير أن يتمتع بمعيشة محترمة ولا يجعل نفسه عرضة للغضب أبداً. ويعشق السفر والرحلات ويردد دائماً بأن في الأسفار خمس فوائد "معرفة ناس: والاختلاط بناس، ومعاشرة ناس، ومكسب ناس: وخسارة ناس"، وأتذكر حادثة طريفة كنت في حينها طفلة صغيرة لا أعي نتيجة أفعالي وتصرفاتي، فغضب مني أبي عندما حضر لمقابلته بعض الأقارب من قريتنا "مصطاي" ولكنه كان مرهقاً ويريد الراحة فأخبرهم الخادم أنه غير موجود. وعندما هموا بالرحيل سمعوا صوتي وأنا أناديه أن يخرج من حجرته، فضحك الضيوف الراحلون لما سمعوا مني. وخرج أبي بعد رحيلهم غاضباً بشدة لتصرفي الذي وضعه في موقف حرج ولكنه سرعان ما نظر لبراءتي وغمرني بقبلاته...

ولكن رغم هذا الجو العائلي الدافئ إلا أنه كان يصاب في بعض الأحيان ببعض العصب والمشكلات. وذلك منذ أن بدأ أبي اعتياد زيارة صالات القمار وممارسته، وهنا وبدأت الخلافات بينه وبين أمي التي كانت رافضة بشدة لهذه العادة "التي تمكنت منه فيما بعد"، ولكنه دائماً كان يسوق لها الأسباب والأعذار التي ترجع لوضعه الاجتماعي الذي أصبح مادياً أفضل بكثير بعد أن حصل على ميراث أربعين فداناً من العائلة، وبعد أن تدرج في وظيفته حتى وصل إلى منصب وكيل وزارة، ولكونه أصبح من كبار المضاربين في بورصة القطن فكل هذه يتطلب في أحيان كثيرة مسايرة الجو العام في الحفلات التي يتم دعوته إليها ولكن أمي كانت لا تتقبل منه أي أعذار..

انتهت دراستي في مدرسة "جابيس" ثم التحقت بمدرسة الراهبات في شبرا، وأتذكر أن القاهرة في هذا التوقيت كانت جميلة وهادئة. وسكانها يتمتعون

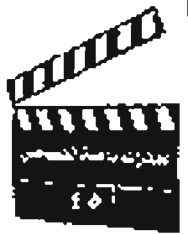


بصفات الطيبة على عكس ما أصبحت عليه الآن، وعلى رغم أن "جابيس" كانت مدرسة راهبات لكنها كانت تقبل التحاق المسلمات، فلم يكن هناك فرق بين مسلم ومسيحي، وكنا جميعا نتمتع بمعاملة متساوية داخل هذه المدرسة، ولم يكن يشغلنا على الإطلاق ديانتنا، فكنت كل ما أعرفه هو أن "تريزا" صديقتي وهي تعتبرني أفضل صديقاتها، فدين كل منا لا يتحكم في علاقتنا لأن الدين لله وهذا الوطن لنا جميعاً، لنعيش بداخله نحمل مشاعر الحب والسلام، وكان أعز صديقاتي داخل المدرسة في ذلك التوقيت "جريج يونانيون"، وكانت أسماؤهم "فورتيني وكاليوبي"، وفي نهاية الدراسة داخل مدرسة الراهبات أتذكر أحد المواقف التي تتعلق بحبي للتمثيل، فكانت لي صديقة أخرى داخل المدرسة من هواة الفن وتوطدت الصداقة بيننا بعد أن جمعتنا هواية واحدة، ونظمنا برنامجنا اليومي على أن نتخلف بعض الأيام عن المدرسة ونطوف بشركات السينما ولكن هذه الشركات كانت ترحب بنا لا كوجوه جديدة تصلح لأدوار البطولة بل كوجوه صالحة لأدوار ثانوية. الأمر الذي لم يرضِ هوايتنا ورغباتنا الفنية، وذات يوم كنا نسير بالقرب من دار الإذاعة وتوقفت صديقتي فجأة ونظرت إليّ ونظرت إليها وقالت على الفور: ما رأيك؟ ودون أن اعرف عما تسألني قلت لها موافقة ودخلنا دار الإذاعة وطلبنا مقابلة المدير، وقادنا موظف الاستعلامات إلى مكتب المرحوم "عبدالوهاب يوسف" الذي رحب بنا وسألنا ولماذا تريدان المدير .. وتولت صديقتي الإجابة لأننا نرغب في العمل في السينما، وضحك المرحوم عبدالوهاب يوسف قائلا وما علاقة مدير الإذاعة بالسينما، وأجابت صديقتي وعلامات الدهشة بادية على وجهها، نرغب منه الموافقة على طلبنا، وضحك عبدالوهاب يوسف قائلا اذهبا إلى أستوديو مصر وقابلا المدير فهو المختص بهذه الشئون، ولكن هذه الإجابة لم ترضنا، وقلت لصديقتي إن الرجل الذي قابلناه لا يفهم شيئاً، وبينما نحن نتحدث سويا إذا بشخص يتقدم نحونا ويسألنا عما نريده وأجبت أنا في هذه المرة نريد أن نعمل في الإذاعة. وأجاب هذا الرجل هل

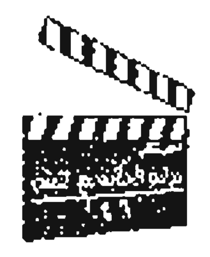


تجيدون الغناء وأجبت أنا قبل أن تفتح صديقتي فمها بنعم. وأنا صوتي مثل أم كلثوم فوافق وطلب منا اصطحابه لنجري اختباراً. وسألته عن هويته فأجاب بأنه "حافظ عبدالوهاب" وكنت أعرف من متابعتي لبرامج الإذاعة مكانة الأستاذ حافظ عبدالوهاب في الإذاعة، ووجدت أن الأمر سيتطور وتصبح المسألة جد وفي حيز التنفيذ، فهمست في أذن صديقتي أن نسرع بالخروج وخرجنا مهرولين من دار الإذاعة هرباً من امتحان الغناء...

وبعد هذا الموقف اكتشفت أن محاولتي لدخول الوسط الفني غير نابعة من داخلي، وأن صديقتي هي التي شجعتني على البحث، وقررت أن ما فعلته خطأ يجب ألا يتكرر، وبالفعل أخفيت كل ما جرى وانتبهت إلى دراستي، ولكن حدث أن نظمت المدرسة رحلة إلى استوديو شبرا للتصوير السينمائي، وكانت مثل هذه الرحلات من المزايا التي تمنحها المدرسة للطالبات كنوع من اكتشاف ما يجري في المجتمع وترفيه عن الطالبات. وذهبنا جميعاً لزيارة استوديو شبرا، وكان يمتلكه شخص يدعى "مسيو سابو"، وكانت شقيقته إحدى جيراننا، وبالفعل استمتعنا كثيراً بالزيارة وما شاهدناه داخل الاستوديو، وتعرفنا بعض الشيء على عملية تصوير الأفلام، وأثناء تجولي ومعي صديقتاي "كاليوبي رفورتيني" فوجئت بالمخرج سيف الدين شوكت - وهو كان حضر للتو من المجر ليعمل على إخراج أفلام مشتركة بين مصر والمجر - يشير إليّ صارخا ويقول أنا أريد هذه الفتاة، ففزعت من الصدمة وقلت في نفسي هذا الشخص أكيد مجنون، وأصابني الرعب عندما وجدته ومعه مسيو سابو يتقدمان تجاهي فقلت لهما ماذا تريدان، أنا لم أفعل أي شيء خطأ، فضحكا وقالا لي اهدئي ولا تخافي، فنحن نقوم بتصوير فيلم اسمه "الناصح"، بطولة إسماعيل ياسين ولم نقم ببدء التصوير لأننا نبحث عن فتاة تجسد دور البطولة أمامه، ونقوم بعمل الاختبارات لمن نجد فيها مواصفات الدور، ووجدنا لديك تلك المواصفات المطلوبة وهي الوجه "الشرق آسيوي" ونريد أن نجري لك اختباراً "تيست" أمام



الكاميرا لنتأكد من أنك النجمة المطلوبة.. فكان هذا العرض بالنسبة لي بمثابة الصدمة، وأفقدني تقييمي للأمر فوجدت رفضي لعرضهم رد فعل سريع، ولكن كلا من "كاليوبي وفورتيني" صديقتاي كانا يهمسان لي محاولتان تنبيهي لقيمة العرض ويحرضاني على الموافقة وتأثرت برأيهما، وأمام الحاج سابو وسيف الدين شوكت وافقت على العرض، وبالفعل لقنني سيف الدين شوكت جملة أقولها أمام الكميرا التي كانت جاهزة للتصوير، وأشرق وجها سابو وسيف الدين شوكت بعد انتهاء الاختبار معلنين عثورهما على البطلة التي كانا يبحثان عنها منذ أشهر، مهنئينني بنجاحي في الاختبار بعد أن أخبرني سابو أن أزوره في مكتبه ومعي والدي ليوقع العقد، وغادرنا الاستوديو والجملة الأخيرة عالقة في أذني، ووجهت تساؤلاتي إلى صديقتيّ اللتين اعتبرتهما السبب فيما تورطت، وأخبرتهما أنه من المستحيل أن أطلب من والدي الحضور، أو أن أخبره بما جرى، فطمأناني قائلتين بأننا سنعتذر عن عدم حضوره بحجة أنه مريض، وأكدا أنهما سيكونان معي دائما لتوجيهي ومساندتي، وقتنعت بما قالا ثم تركتهما ذاهبة إلى المنزل وأنا في حالة من المشاعر المختلفة والمتقلبة، فخليط بين السعادة الغامرة والذهول والخوف، ولاحظ أبي وأمي أنني في حالة غير طبيعية وسألاني ليطمئنا عليّ وطمأنتهما ودخلت حجرتي أتخيل ما سيحدث، فقد كانت كل معرفتي بالسينما وأفلامها من خلال تلك الحفلات التي كنت أذهب إليها أحيانا وأنا طفلة بصحبة أختي في سينما "استرند"، التي هدمت وأقيمت مكانها بعد ذلك "سينما ديانا"، وكانت لا تعرض سوى الأفلام الأجنبي ولكني كنت أعرف أسماء وأشكال الممثلين المصريين من خلال أفيشات الشوارع والسينمات. وكان اشهرهم في ذلك التوقيت "يوسف وهبي وإسماعيل ياسين وحسن فايق وأمينة رزق ومديحة يسري وليلي فوزي وزكي رستم"، ثم جاء اليوم التالي وبعد انتهاء اليوم الدراسي ذهبت لمكتب سابو بعمارة الايموبيليا ومعي صديقتاي، وفور أن شاهدني سألني عن السبب وراء عدم حضور والدي وتعذرت بحجتي وقبلها



يوافق على أن أوقع على العقد ولكنه أكد أنني مازلت صغيرة ومن الممكن أن أتسبب في مسألة قانونية له، فوالدي يجب أن يحضر ليقر أنه موافق على عملي بالسينما، وكان عمري في حينها لا يتعدى الثالثة عشرة، وطمأنته وأكدت له ما أراد ووقعت العقد وحصلت على مبلغ مائة جنيه، كان أول أجر لي بالسينما، وفي تلك اللحظة كانت بداية مشواري في الفن واحتراف التمثيل.. وخرجت من المكتب تغمرني السعادة والخوف، فقالت كاليوبي سنقوم بتأجير البواب ليمثل دور والدك أمام سابو إذا ألح في طلب حضوره، فرفضت ذلك بحجة أن والدي لن يكون عليه القيمة "فضحكتا" ولكنني أصررت على رفضي لهذا الحل، ولكنني سألتهما عن كيفية حضوري مواعيد التصوير التي تتعارض مع مواعيد الدراسة، فقالت فورتيني بالطبع ستتخلفين عن المدرسة ولكي لا يكتشف أحد ذلك ستغيرين عنوانك بالمدرسة وتعطيهم عنواني وهكذا ستأتيني خطابات الغياب التي سأخفيها عن أعين الجميع، أما نحن فستحضر كل منا معك يوماً وتتخلف عن المدرسة اليوم التالي، حتى ينتهي تصوير الفيلم، فكان لصديقتيّ الفضل الأول والأخير في تشجيعي ومساعدتي لدخول الوسط الفني، وبالفعل بدأت أذهب إلى التصوير وسلموني السيناريو الخاص بدوري وملابس الشخصية التي سأجسدها داخل الفيلم، وكانت عبارة عن فستان وطلبوا مني أن أحتفظ به لدي، وكنت أقوم بارتدائه تحت المريلة وأخفيه فور وصولي إلى البيت، وظللت أياماً عدة أغادر البيت صباحاً حاملة كتب وكراسات الدراسة ومعي إحدى صديقاتي ونذهب إلى الأستوديو وظللت على هذه الحال عاماً كاملاً...

وأستطيع أن أقول إن جميع الظروف والعوامل خدمتني ودفعتني وثبتت أقدامي في طريق الفن، فلا أعرف حتى الآن كيف تم كل هذا، على رغم أنني لم أتعمد أن أفعل شيئاً واحداً مما ذكرت ولكن كانت الظروف الأسرية في هذه الفترة مساعداً رئيسياً وكبيراً في أن أداوم على حضور التصوير لهذا الفيلم على مدار عام كامل دون أن ينتبهوا لأي شيء، فقد كانت أمي مريضة وترقد طريحة الفراش

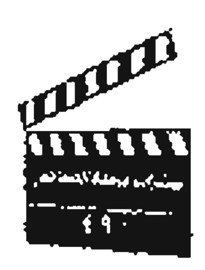


داخل أحد المستشفيات بعد أن أجري لها عملية جراحية، وأبي في عمله طوال الوقت، وأخي توفيق دائما في الخارج بسبب أعماله التجارية، وأخي مصطفى كان طالباً بكلية الشرطة "مدرسة البوليس"، ولا يأتي للبيت إلا في إجازات شهرية، وأختي الكبيرة مشغولة مع خطيبها "أحمد عثمان" وكان من الأبطال السياسيين البارزين في تلك الفترة.. فالجو كان مهيئاً تماما أن أقوم بتمثيل هذا الفيلم بدون أن يعلم احد من الأسرة، ولكن هذا ما أراده لي الله. ومن ضمن الأشياء التي خدمتني وأسهمت في التزامي بالتصوير أن الفنان الكبير إسماعيل ياسين بطل الفيلم كان يعمل في فيلمين ومسرحية بالإسكندرية، ولظروف عرضها ليلاً وتصوير الفيلم بالقاهرة صباحاً كان يعطي لتصوير الفيلم الذي أشاركه فيه ساعتين فقط، وكان هذا كافياً لأن أؤدي دوري وأعود إلى بيتي كل يوم دون أن يشعر أحد بما يجري... وكان أول مشاهد لي في الفيلم بسيطة ومشجعه ألا أرتبك أو ينتابني الخوف مثل "أني بنت مسكينة وأقوم بتفصيل ملابس، وآخر أقوم بفتح باب أو شباك وإغلاقه". وكان سابو والمخرج ومساعدو المخرج دائما يوجهونني وكنت أقف أمام المرآة داخل حجرتي بالاستوديو وأقوم بتدريب نفسي بترديد دوري الموجود بالورق، وحقا كانت بدايتي فرصة كبيرة لم تتح لفنانة من قبل، فأول فيلم لي أقف أمام العملاقين إسماعيل ياسين وفريد شوقي ولكني استطعت أن أتحمل تلك المسئولية فكنت ملتزمة دائما بحجرتي ولا أخرج منها إلا أمام الكاميرا، وكان فريد شوقي لطيفاً معي للغاية، ولكن حدثت كارثة كبرى عندما أعطيت الفستان الذي تسلمته منهم لخادمة كانت تعمل لدينا ظناً مني بأني لن احتاجه مرة أخرى، "فلم يكن لدي الخبرة في العمل الفني". وعندما ذهبت بدون الفستان سألني مساعد المخرج عنه فقلت له ما حدث فصرخ وكأن الدنيا تنهار من حوله وطلب مني أن أستعيده، لأن العمل به لم ينته ولن يصلح أن يأتوا بغيره لأنهم لا يتذكرون ألوانه، وذهبت مهرولة إلى المنزل أبحث عن الخادمة ووجدت أنها رحلت وجاءت غيرها نتيجة مشكلة حدثت



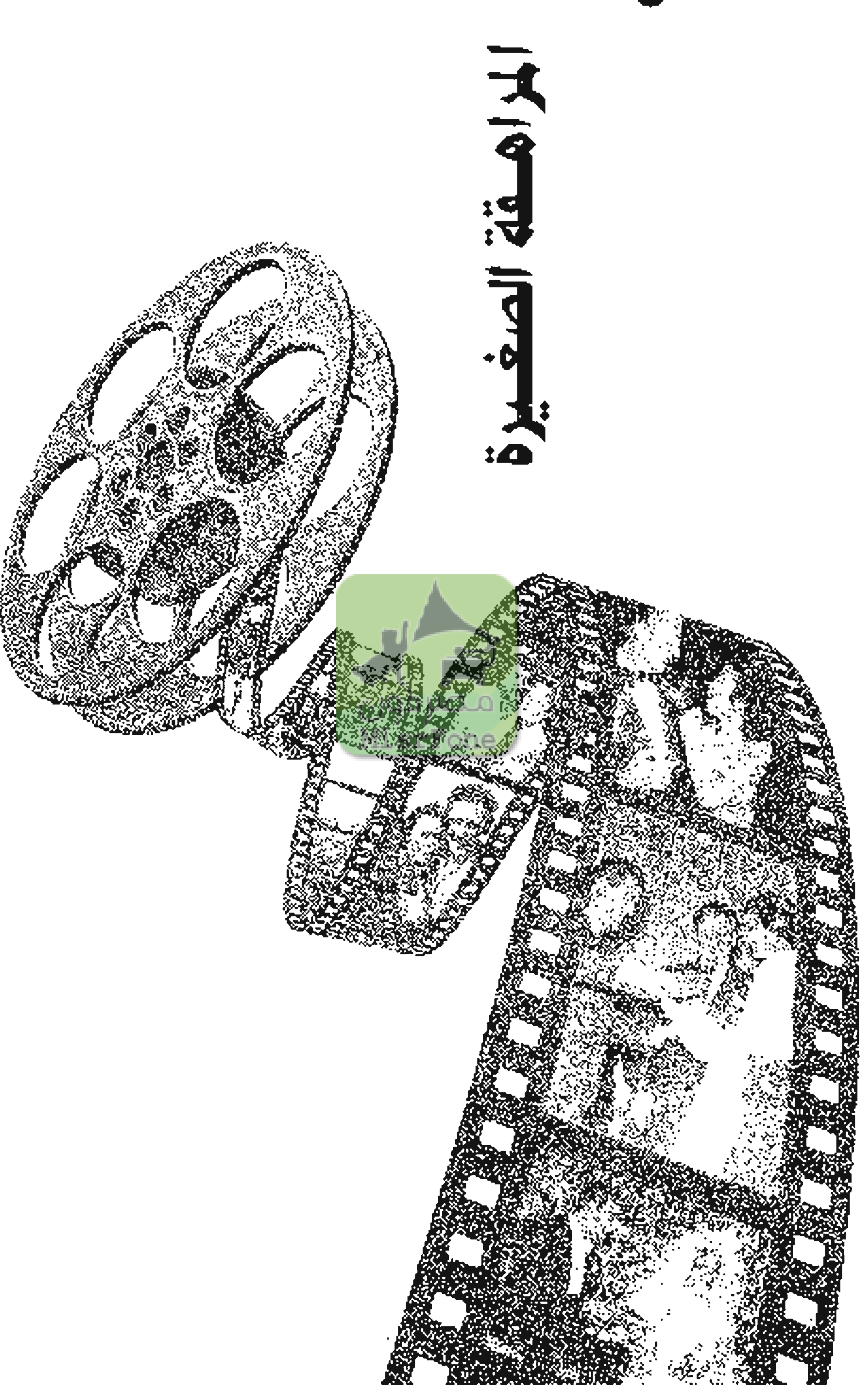
بينها وبين أمي، فعدت إليهم بعد أن بحثت عنها في كل مكان ولم أعثر عليها فقاموا جميعا بتعنيفي وبكيت مما يحدث لي وتوقف الفيلم وأخرجوا النيجاتيف ليتعرفوا على ألوان الفستان وصنعوا فستاناً جديداً أكملت به تصوير مشاهد الفيلم وبعد ذلك تعلمت أني لا أفرط في أي شيء استخدمه داخل العمل الفني...

وحدثت مواقف طريفة أخرى: فدائماً كنت أهرب إلى حجرتي أو الحمام عندما أشم رائحة صحفي داخل الاستوديو وكانوا يحضرون كثيراً لتصوير إسماعيل ياسين وعمل الحوارات الصحفية كنوع من الدعاية للفيلم، حتى أنهم كانوا يسألون عني كثيراً وبدأ سابو يغضبه هذا الاختفاء عن الصحافة، ويؤكد لي أنني البطلة ويجب أن أجري حوارات مع الصحف لكونها تعتبر دعاية مناسبة للفيلم ولي كوجه جديد، ولكني كنت أتعلل له دائماً وكان يتقبل عللي بحنق شديد: وفي إحدى المرات لم يتقبل مني أي علل أسوقها إليه: وأكد أنه سيعطيهم تصريحات عني ولم أجد أي مفر من إصراره فوافقت ولكن باسم مختلف رغبة مني في تغيير اسمي، فتعجب من الطلب ولكن أمام إصراري رضخ واقترح عليّ أسماء عدة اخترت من بينها "ماجدة"، وكان رفضي لظهور اسمي الحقيقي "عفاف" خشية أن ينشر بالصحف وتتعرف عليه الأسرة وينكشف أمري: ومنذ ذلك التوقيت أصبحت "ماجدة"...



الفصل الثالث

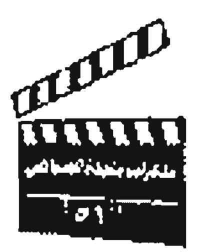
المراهقة الصغيرة



- صمم والدي على قتلي وطلق أمي وترك المنزل ولم يعد إليه مرة ثانية عندما علم أني دخلت الوسط الفني من دون علمه....
- سجنت في المنزل عاماً كاملاً حتى أقنعتهم بقيمة الفن والفنان، وظللت أذهب للتصوير بمرافق من الأسرة لمدة خمس سنوات....
- كنت أتمنى تمثيل فيلم "ميرامار" ولكن كبريائي منعني، ونجيب محفوظ قال لي يا ماجدة رواياتي لا تناسبك...
- مراهقتي كانت بين حبيب من وهم، وابن صديقة أمي، وابن الجيران، ثم استكملتها على الشاشة أمام الجمهور...

- نعم كنت لفترة كبيرة محرومة من الحب.
- الحرمان من طبيعته أن يفجر القوة داخل الإنسان ويجعله يتفوق ويبرز في حياته العملية، فكيف الحال إذا اجتمع الحرمان مع الحب
- الحب صنعه الله وأنبته في قلوبنا فهو عاطفة نورانية مقدسة يجب أن نرعاها ونقدسها، لكن المؤلم أن كثيراً من الناس أصبحوا يطلقون اسم الحب على كل عاطفة عابرة
- الحب معنى كبير له احترامه والتزاماته التي يستمدها من قدسيته.

(ماجدة الصباحي)

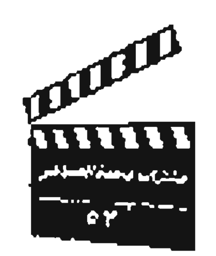


لم تبخل فاتنة الشاشة العربية الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي في سرد أدق تفاصيل حياتها فهي تعلم جيداً أنه آن الأوان أن يتعرف الجميع على تجربتها الشخصية والفنية التي دائماً كانت محل شغف الصحفيين ومحل ترقب من الرأي العام وها هي تستكمل حديثها قائلة..

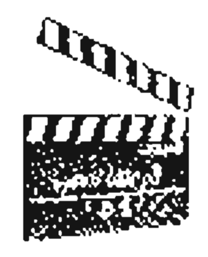
بالفعل تلقت صديقتي خطابات مدرسية تنذر بتكرار غيابي عن حضور المدرسة أكثر من المدة المسموح بها، وحمدت الله أن هداني لهذه الطريقة و إلا كان فضح أمري من الخطاب الأول حتى أنني كان تنتابني بعض الأفكار التي تلح عليّ بأن أترك العمل بفيلمي الأول "الناصح" ولكني كنت أتراجع عنها. وكانت تلك الهواجس ناتجة من الخوف الشديد والرعب الذي أعيش فيه: فكنت أشعر بأني أرتكب جريمة كبرى، وانتهى التصوير بعد ذلك وفوجئت بكارثة كبرى عندما تصفحت جريدة روز اليوسف ذات صباح فوجدت إحسان عبدالقدوس يكتب "رحيق الشفق.. انتظروا بنت أحد كبار موظفي الدولة تقوم ببطولة فيلم سينمائي بجوار إسماعيل ياسين"، وبدأ القراء يسألون من تكون هذه الفتاة ويرسلون لإحسان بعض الأسئلة والاستنتاجات. وفي هذا التوقيت نفسه بدأ صناع الفيلم يقومون بالتحضير للحملة الإعلانية وتجهيز الأفيشات التي ستنتشر في الشوارع وعلى دور العرض "السينمات" وجاءوا لي بالمصورين والصحفيين لكي يلتقطوا بعض الصور التي سيستخدمونها في هذه الدعاية ولكني رفضت



وصرخت وبكيت ولكن هذا لم يرضِ منتج الفيلم "سابو" وأعلن ثورته التي كان يحاول إخمادها طوال فترة التصوير، مؤكدا أن رفضي من عدمه لن يغير مما يقدم عليه لأنه في النهاية أنتج سلعة يجب الإعلان عنها حتى يتعرف عليها الجمهور المستهدف، خصوصا بعد أن تحمل رفضي كثيراً. وهنا لم أجد أي سبيل للهروب مما فعلت ورضخت لرغباتهم. وقام المصورون الصحفيون بالتقاط مجموعة من الصور لي، وانتابتني مشاعر متقلبة ومختلفة وأفكار وهواجس جميعها تصب في مصب الخوف ولكني في النهاية استقررت على شيء واحد وهو أن أعترف بكل شيء لأسرتي بدلا من اكتشافهم ما قمت به عند نشره بالصحف، وكنت في حالة من التفكير والحيرة والتمزق وأنا أقدم على تلك الخطوة الخطرة فكيف أخبرهم؟ وماذا سيكون رد فعلهم؟ وهنا أيقنت حجم الجريمة الكبرى التي اقترفتها دون تقدير لعواقبها، واستقر تفكيري في النهاية على أن أمي ستكون أكثر أفراد الأسرة رأفة ورحمة بي، وبالفعل ذهبت إليها حيث كانت طريحة الفراش داخل أحد المستشفيات على إثر عملية جراحية أجريت لها. ودخلت إليها وأنا في حالة خجل شديد وأتلعثم في الكلام وكأني مقبلة على الموت وأتراجع في كل لحظة أنوي لها الاعتراف بما فعلت، ولكني أخيراً استجمعت كل قوتي وأخبرتها بسري الذي أخفيته عنها شهوراً طويلة، وأنا لا أملك سوى البكاء، ففقدت الوعي من هول الصدمة، وجاءها الطبيب والممرضات يحاولون إفاقتها وشعرت بالذنب الكبير الذي اقترفته في حقها، وبعد محاولات الأطباء استردت وعيها وهي تصرخ وتبكي وتردد عبارة من قبيل "ماذا سأقول لوالدك وأشقائك"، ثم خرجت من المستشفى بعد ذلك، وفي المنزل كان لقاؤها مع جميع أفراد الأسرة الذين ثاروا فور علمهم وضربني شقيقي مصطفى الذي كاد يُجن وصمم أبي على قتلي ولكن أمي أنقذتني من يده وأقنعته أن موتي ليس هو الحل، وأنه يجب أن نعقل التفكير والتدبير لحل تلك المشكلة، وهنا دب الخلاف بينه وبين أمي ووجه لها اللوم والاتهامات وحملها نتيجة ما حدث



بغفلتها عن رعايتي، وكان خلافي هو الحد الفاصل في سلسلة الخلافات التي كانت نشبت بينهما منذ فترة سابقة، كما ذكرت، وهنا قررا الانفصال وترك أبي المنزل ذاهباً إلى حياة مستقلة عنا، وكان مسيو سابو بدأ بنشر التصريحات الصحفية معلناً عن شخصيتي وصوري بالصحف. وأيضا بنشر صوري للدعاية في الشوارع وعلى أفيشات دور العرض السينمائي، وفي تلك اللحظات رفع والدي دعوى قضائية على الفيلم ومنتجه، موجهاً له تهمة استغلال فتاة قاصر دون الرجوع لولي أمرها لإدخالها الوسط الفني واستغلالها في ممارسة التمثيل داخل عمل سينمائي، وتحريضها للتوقيع على عقد يلزمها بالتمثيل دون أن يكون لها الحق في ذلك لأنها لم تتجاوز عمر البلوغ القانوني، وتداولت الصحف أخبار القضية بشغف لم يكن متوقعاً، وتوقف عرض الفيلم بقرار من النيابة، وجاء سابو المسكين إلى منزلنا ومعه سيف الدين شوكت "مخرج الفيلم" وحاولا أن يقنعوا أبي بأنني كنت السبب في كل ما حدث، وأني خدعتهم ولم أصارحهما بحقيقة وضعي الاجتماعي المرموق، وتعمدت تضليلهم بإخبارهم أن والدي يوافق ولكني كنت أتعذر دائما لعدم حضوره لكونه مريضاً وكان ذلك محاولة منهم لأن يتنحى عن موقفه العصيب ضدهم، ولكن أبي لم يكن يقتنع بما يردداته في كل زيارة، وأكد أنه لن يثنيه أحد عن مواجهته للفيلم ومنعه من العرض، وهنا راح يبكي ويرجو والدي العدول عن رأيه لأنه وضع أموالاً كثيرة في هذا الفيلم وسيعلن إفلاسه في حالة عدم عرضه. وكانت تنتهي زياراته المتعددة بأن يوجه سابو يديه للسماء ويطلب من الله أن ينتقم مني لأني ضللته ولم أخبره بالحقيقة، وتسببت في كل ما هو فيه من بلاء، ولكن أبي كان طيب القلب وكان يتأثر باستجداء الرجل له فرأف بحاله في النهاية "الذي كان يرق له قلوب الكافرين". وتنازل عن القضية وعرض الفيلم وحقق نجاحاً طاغياً، خصوصا بعد ما أثير حوله ووجدت شخصيتي التي قدمتها من خلاله قبولاً هائلاً وإعجاباً منقطع النظير لدى الجمهور، وبدأت شركات الإنتاج تأتي إلينا وتعرض على أبي أن يوافق



على مشاركتي بأفلامهم ولكنه في كل مرة كان يرفض بشدة وتكون ثورته شديدة تجاهي بعد كل عرض يأتيه، وظللت حبيسة المنزل لعام كامل، وبدأت أمي بعد ذلك يرق قلبها لبكائي وحزني المتواصل وتقف بجانبي؛ خصوصاً بعد نجاحي في إقناعها طوال تلك المدة أن الفن والفنان لهم رسالة مهمة وأن نظرة المجتمع لهم عبسية وخاطئة، وهي بدورها استطاعت إقناع أبي، الذي على رغم انفصالهما إلا أنهما كانا يتناقشان في أي أمور تتعلق بنا نحن أبناءهم، ووافق أبي في النهاية ولكن بشروط صارمة وذلك للحفاظ على شرف وسمعة الأسرة والعائلة..

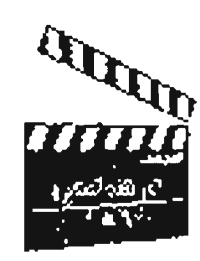
وظللت أذهب بعد ذلك إلى الاستوديوهات لتصوير المشاهد ولكن كان يجب أن يرافقني أحد أفراد أسرتي، واستمر ذلك لمدة خمس سنوات حتى أطمأنوا لي ووثقوا بي.. وبالفعل بدأت أوافق على الاشتراك في بعض الأفلام مثل "فلفل وبلال ومرت الأيام"، وكنت في العام الأخير بمدرسة الراهبات حين ذاك؛ وأصبح زميلات المدرسة والمدرسات يشاهدون صوري على صدر الصحف وفي أفيشات الدعاية للأفلام ويذهبون لسينما لمشاهدتي وأنا أقدم أدواري وكانوا سعداء بما أقدمه ويشجعوني، ومازلت أحافظ على صديقات الدراسة حتى الآن، ومنهم فاطمة ناعورة التي عملت بالوسط الصحفي والإعلامي بعد ذلك، وكانت تدير كبرى المجلات في لبنان، وتزوجت بعد ذلك من الكولونيل منير ساردوب، مستشار رئيس الجمهورية اللبناني في الستينات من القرن الماضي؛ وكانت من المفارقات العجيبة بيننا أنها تزوجت في مرحلة الستينات نفسها التي تزوجت فيها؛ وأنجبت في العام نفسه الذي أنجبت فيه؛ وكنا ومازلنا يجمع الحب بيننا. على رغم أن معيشتها دائماً في بيروت؛ وأنا في مصر ودائماً تداوم على زيارتي كلما جاءت إلى القاهرة في زيارة لأقاربها ودائماً يكون منزلها في استقبالي عندما أزور بيروت؛ وانتهت دراستي داخل مدرسة الراهبات وحصلت على شهادة التخرج التي تعادل الثانوية العامة حالياً...



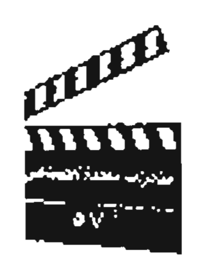
ثم بدأت بعد ذلك أتفرغ بشكل كامل للعمل السينمائي الذي كان قد بدأ يشغلني كثيراً، ولكن على رغم أن أفراد الأسرة أصبحوا مرحبين بعملي السينمائي إلا أن ما كان يحزنني عدم رضا شقيقي مصطفى عنه، وتسبب ذلك في أنه ظل لسنوات طويلة لا يتكلم معي إلا في أضيق الحدود ولا يحاول مشاهدة أفلامي...

وقدمت في تلك الفترة فيلم "مرت الأيام"، وكان من تأليف كامل حسن المحامي، وإخراج أحمد ضياء الدين، وكان معي فيه كل من يحيى شاهين وسناء جميل ووداد حمدي وأمينة نور الدين، وكان تدور قصته حول "أنه داخل الجامعة تعجب طالبة بأستاذها المثالي دون أن يشعر بها الأستاذ، ويتقدم الأستاذ إلى الأسرة ويخطب الأخت مما يصدم الطالبة وتقرر أن تكتم مشاعرها وأن تستمر في الدراسة ويتزوج الأستاذ من الأخت، وتمر الأيام دون أن تنطفئ جذوة الحب. ويكتشف زوج الأخت حقيقة مشاعر الطالبة نحوه ويبدأ في مبادلتها المشاعر نفسها تبعاً للاهتمام الشديد به، ويكاد الاثنان ينجرفان إلى تيار مليء بالخطأ، وأمام هذه المشاعر المتدفقة توافق على الزواج من شاب لا تحبه تقدم لها، يحاول زوج أختها إقصاءها عن فكرة الزواج لكنها تخبره أن ما يجمعهما من حب هو المستحيل بعينه، وكان ذلك الدور جديداً ومتطوراً وأحببته كثيراً واستطعت من خلاله أن أضيف خبرات جديدة إلى وعي...

ثم بعد ذلك أصبحت أختار أدواري بعناية، خصوصاً بعد أن أصبح لي أسلوبي وطريقتي الخاصة في أداء الأدوار، واكتسبت خبرة لم تكن موجودة لدي في البداية في كيفية التعامل مع الموضوع الذي أشعر به الذي يضيف لخبراتي ورصيدي الفني؛ ولهذه الأسباب كنت دائماً مقلة في قبول الأفلام ورصيدي منها لم يتجاوز على مدار أربعين عاماً، هو عمري الفني، الـ ٦٥ فيلماً، وكان من الممكن أن يكون رصيدي في مكتبة السينما أضعاف هذا الرقم إذا كنت أعمل مع شهيق وزفير وأتعامل مع الفن على أنه مجرد مهنة وليس رسالة صعبة يجب تقدير مسئوليتها...

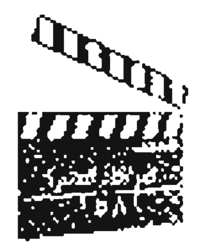


وهنا أتذكر أنني كنت أتمنى أن أجسد دور حميدة في فيلم "ميرامار" الذي أخذ عن رواية الأديب العالمي نجيب محفوظ، ولكن الدور لم يأتيني وكان ضمن عيوبي القاتلة في تلك المرحلة أنني لم أكن ممن يذهبون إلى مخرج أو منتج ويطلبون منه تجسيد دور أو شخصية معينة، كما كانت تفعل زميلات أخريات، فكانت كرامتي وكبريائي فوق كل اعتبار، ولكن أذهلني تجسيد شادية لهذا الدور عندما ذهبت لأشاهده في العرض الخاص فوجدتها أبدعت في خروجه بهذا الأداء الرائع الذي أشاد به الجمهور والنقاد وهنأت شادية عليه، وكان الفيلم ناجحاً ومازال يعيش في أذهان الجمهور حتى الآن وأتذكر أنني ذهبت، بعد أن قررت خوض غمار تجربة الإنتاج، إلى نجيب محفوظ للتعاقد معه على رواية من مؤلفاته كانت أعجبتني ورحب بي فور أن شاهدني، فكان رجلاً شهماً وطيباً، دمس الخلق كريم الطباع إلى أبعد مدى، وعندما علم ما أريد رفض إعطاءها لي وقال لي "يا ماجدة رواياتي لا تناسبك"، فسألته عن السبب فأكد لي لأنها تناقض شخصيتي وأدائي في التمثيل، قائلاً "أنت أدوارك تستطيع أن تدخل كل بيت وكل أسرة ويتقبلها الجميع، بينما أدوار بطلات رواياتي لا يتقبلها الجميع"، ورجاني ألا أغضب من رأيه، فأكدت له أنني لا يمكن أن أغضب من رجل تتوافق طباعه مع طباعي، فهو مثلي يعلم عبء الرسالة التي يحملها وحريص على أن يوصلها للجمهور بالشكل الصحيح، فلم يكن رفض نجيب محفوظ لشكه في قدراتي التمثيلية ولكن بالعكس فقد كان دائماً يتغزل في أدائي وطريقتي في التمثيل، ولكنه كان يقصد أن الغالبية العظمى من رواياته الإثارة والإغراء جزء رئيسي فيها، وهذه الأدوار لا تتناسب معي، فأنا كان لي دائماً قالبي الخاص الذي يتمتع بالهدوء وتجنب الإثارة، وكانت هذه شروطي عند قبول أدواري واعتاد الجمهور أن يشاهدني في هذا النوع من الأدوار وكان الجميع يرى أنني أمثل جزءاً من أسرتهم "أختهم أو ابنتهم أو قريبتهم"...



وجدت نفسي أقول للفنانة الكبيرة، والمراهقة الأشهر في مصر والعالم العربي، قبل أن نندمج في الحديث عن المشوار الفني والأفلام.. هناك نقطة يجب ألا نتخطاها وهي فترة المراهقة العاطفية في حياتك.. نظرت إليّ نظرة تفكير ثم أغمضت عينيها ومالت برأسها إلى الوراء وأخرجت زفيراً عميقاً استرجعته من عمر الثالثة عشرة ثم فتحت عينيها وابتسمت وهي تقول "لقد كانت فترة مراهقتي عجيبة وغريبة جداً".

فلقد كان لي في فترة منها "حبيب من وهم"، وأتذكر عندما عادت البنات من الإجازة وعلى لسان كل منهن ذكريات حارة عن مغامرات الصيف العاطفية، كنا جميعاً في سن التفتح نتفجر بالشباب والحيوية، وتميزنا نظرة متطلعة إلى المستقبل، نظرة تنحصر في فرس الأحلام الأسطوري وبحثنا الدائب عنه، وكانت العادة أن ننقسم نحن البنات في شلل داخل زحمة المدرسة التي تجمعنا، وننصت لكل بنت وهي تروي قصص مغامرتها العاطفية إنصاتاً فيه إحساس بجمال اللحظة الخيالية التي ترسمها لنا الرواية، وفي حماسة وترحيب بالمواقف الغرامية الملتهبة التي تشبع تفتحنا وحيويتنا، وكانت فتاة واحدة فقط لا تفتح فمها بكلمة لم تكن لديها ذكرى غرامية لكي ترويها للزميلات، كنت أنا هذه الفتاة وقد كنت أشعر بغصة تقف في حلقي وأنا أنصت لما ترويه الزميلات من ذكريات، وكنت أشعر بالأسى لأنني الفتاة الوحيدة بينهن التي لم تعش قصة غرامية ولم تخض مغامرة، ودفعني هذا الشعور إلى التساؤل ذات مرة "هل أنا قبيحة؟ ألا أتمتع بما تتمتع به الأخريات من جاذبية تجعل الشبان يهرولون وراءهن!!"، وكانت التساؤلات تتزايد في نفسي "لماذا لا تكون لي مثل هذه المغامرات؟"، لما لا يكون لي حبيب شاب يحبني ويخرج معي إلى الأماكن الشاعرية الخلوية ويسكب في أذني عبارات الحب الملهمة والرقيقة ويضمني إلى صدره بقوة ويعانقني حتى أفقد الوعي من الانفعال. تماماً كما تروي زميلاتي في



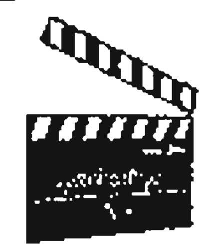
قصصهن، لماذا لا يربطني الحب بشاب يقف عند باب المدرسة ينتظرني ليقترب مني في خجل ويهمس لي في رقة عند خروجي، ويمد يده يحاول الإمساك بيدي وأنا أتمنع رغم الرغبة المتلهفة التي تطل من عيني وقد يستبد به الشوق فلا يستطيع الانتظار عند باب المدرسة فينتهز فرصة الفسحة ويقف خلف السور لينادي باسمي ثم يقذف إليّ بورقة صغيرة يحدد لي فيها موعد اللقاء ولا ينسى أن يختتمها باللفظ الحبيب "أحبك" ثلاث مرات.. وأسلمني تساؤلي للغيرة من الزميلات وقصص مغامراتهن العاطفية فقررت ذات يوم أن تكون لي قصة حب، ولم تمض أيام قليلة حتى فوجئت بي زميلاتي أروي لهن الفصل الأول من قصة حبي عندما وقفت أتوسطهن وبي انفعال شديد ووجنتاي حمراوان وأنفاسي تتلاحق متوثبة وأنا أصف السعيد المحظوظ الذي خطف قلبي، فالتقيت به مصادفة في الشارع الذي نقطنه وهو طويل القامة برونزي البشرة مصقول الشعر لامعه، رياضي الجسد مفتول العضلات فيه رجولة وفيه جاذبية وتوقفت لحظة لأثير اهتمام البنات اللاتي يحطن بي وينصتن في شغف متلهفات إلى معرفة المزيد عن اللقاء الأول بحبيبي المحظوظ، وقصصت لهن تفاصيل كثيرة من خيالي لأعوض بذلك عن حبيب من وهم صنعه خيالي.

ولكن عندما طعنت في عمر الثالثة عشرة عرف قلبي الحب والإعجاب للمرة الأولى في حياتي فكانت عيناي تسرق النظرات إليه وكان قلبي يدق كلما شممت عبير طيبه وكلما رأيته تتصارع الدقات وكأني عائدة من سباق طويل، فكان شاباً لطيفاً ووسيماً ويكبرني بعامين، وكانت والدته صديقة حميمة لوالدتي ودائماً تحرص على زيارتنا، ثم فجأة جاء معها ورأيته وانتابتني تلك المشاعر من أول نظرة. وبدأت أشعر أنه يبادلني الشعور نفسه عندما بدأ هو يداوم على الحضور مع والدته دائماً ووجدت نفسي عندما أراه أسرع إلى حجرتي وأغلق علي بابها في تصرفات لا إرادية ودون تفكير وفي خجل شديد منه ووجهي يصاب بالاحمرار،

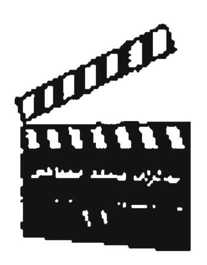


ولكنني كنت حريصة جدا حتى لا يشعر أحد بمشاعري، وبعد ذلك تطور الأمر وأصبحت أخرج من حجرتي أثناء وجوده وأظل أمر من أمام حجرة الضيوف ذهاباً وإياباً مرات ومرات لكي أراه؛ فقد كنت شديدة الإعجاب به؛ وفي إحدى المرات كنت خارجة من الحمام وهو داخل إليه فاصطدمنا فمسك يدي فهرولت إلى حجرتي لمجرد أن لمس يدي وكدت أفقد الوعي، ثم تطور الأمر أكثر فأصبحت أجلس معه أثناء حوار والدته مع والدتي في مجلسهم نفسه وأتحدث كلما وجدت الفرصة المناسبة، ولكننا لم نعترف لبعضنا البعض بمشاعرنا وكنت أقص على صديقاتي ذلك الموضوع فيحرضونني على أن أقابله وأصارحه بمشاعري ولكني كنت أرفض تحريضهم بشدة؛ والتحق هو بعد ذلك بكلية الطب وأصبح طبيباً ناجحاً ومشهوراً، وانقطعت زياراته لنا وأخباره بعد أن ماتت والدته، ولكنه كان الحب الأول الحقيقي في حياتي، أو هكذا كنت أظن...

ثم تلا ذلك وبعد فترة من الوقت كنت اكتسبت فيها بعض الجرأة فكان ابن الجيران يحاول أن يلفت انتباهي إليه دائماً ويحاول أن يتحدث إليّ، وفي إحدى المرات وأنا عائدة من المدرسة وكنت أقف أنتظر الأتوبيس لأعود للمنزل وجدته أمامي بسيارته ويطلب مني أن يوصلني ووجدت نفسي أركب معه بعد إلحاح شديد منه بعد أن طلبت منه أن ينزلني قبل البيت حتى لا يراني أحد، ووافق وكان يقود السيارة وهو يتحدث إليّ في مواضيع تتعلق بأنه يحبني ومعجب بي ولكنني كنت لا أشعر بما يردده وهو في سعادة بالغة، وكان يشغلني مدى الفاجعة والجريمة التي ارتكبتها بموافقتي ركوب سيارته، وكان يظهر ذلك في تصرفاتي، فكلما كان يتوقف في إشارة مرور فيجدني اختبئ في دواسة السيارة وكان يبدي استعجابه، ويشير إليّ بأني أتسبب في أن يظن المارين من حول السيارة أنه مجنون لأنه يتحدث إلى نفسه لعدم وجود أحد بجواره، فكنت أؤكد له أن هذا



خير له حتى لا يقتلنا شقيقي مصطفى إذا شاهدني معه، وبمجرد أن اقتربنا من المنزل صرخت فيه أن يتوقف وخرجت مسرعة من السيارة غير عابئة بكلماته ومحاولاته لتحديد موعد آخر لنتقابل. وحمدت الله أن الأمر انتهى دون أن يعلم أحد ولم أقابله مرة ثانية، على رغم محاولاته التي تكررت والتي تسببت في إزعاجي، فهددته إذا أصر على مضايقتي، وكنت أقص كل ذلك للعقول المدبرة لي "فورتيني وكاليوبي" اللتين كانتا لا يرضيان عن تصرفاتي تجاهه، ولكني في ذلك الموضوع بالتحديد لم أستمع لنصائحهما التحريضية.. ثم استكملت باقي فترة مراهقتي بعد ذلك أمام الجمهور على الشاشة في أدواري وداخل أفلامي...



الفصل الرابع

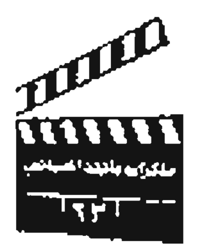
انطلاقة أيمن عمري

القسم الثاني

- الملك فاروق كان يتمتع بأخلاق الملوك والنبلاء، وبكت على رحيله كل نساء عائلتي والعائلات الصديقة...
- قابلت إحسان عبدالقدوس واشتريت منه رواية "أين عمري" بالتقسيط، وحاول إحسان عرقلة الفيلم ولكني صممت على التصوير على رغم إرادته...
- زكي رستم خلط بين التمثيل والحقيقة في "أين عمري"، فكان يغار عليّ من المخرج والممثلين، وأفقدني الوعي بصفعة على وجهي...
- كانت مشاهد مطاردة السيارة في نهاية الفيلم حقيقية، وأحمد رمزي كاد يدهسني لولا ستر الله...
- "أين عمري" كان إنتاجي الأول، وانطلاقة لإحسان عبدالقدوس، وحقق النجاح في وقت ركود السينما بسبب صراع نجيب وعبدالناصر على السلطة...

- حياتي كانت ولا تزال وإلى آخر يوم في عمري، كلها سينما
- لا تزال هي أيامي التي مضت ولحظات عمري المقبلة
- فالسينما في دمي، وكان دائماً عندي مشاريع وطموحات وآمال لا تنتهي أبدا كلها لصالح السينما
- وبسبب عشقي لها كان حرصي على أن أصبح أحد صناعها، وليس ممثلة فقط تقوم بدورها وتحصل على أجرها، ثم تمضي كما يمضي الآخرون.

(ماجدة الصباحي)



أرادت "ماجدة" أن تشركني معها في الحوار، فقالت لي وهي ترتشف بعض الشاي الذي من المستحيل أن تجدها جالسة أو تتناقش إلى أي شخص إلا وبيدها كوب مملوء به، فهي تعشقه، ولذلك فهي دائماً قادرة على التركيز في تصرفاتها التي تزنها بميزان حساس قبل أن تقدم عليها: ماذا تعرف عن الملك فاروق؟ استعجبت لسؤالها ولكني أجبتها قائلاً علمونا في سنوات عمرنا التي مضت أنه كان فاسداً سكيراً لا يجالس إلا النساء، ثم يحاولون أن يعلمونا في سنوات عمرنا المقبلة أنه كان من كبار الوطنيين الكارهين للإنجليز والمحبين لمصر الوطن والمواطن.. أشاحت بوجهها قليلاً عني ثم رشفت آخر ما تبقى في كوبها وطلبت إلى الخادمة أن تحضر لها كوباً آخر، ثم نظرت لي قائلة.. كنت صغيرة السن عندما رحل ملك مصر والسودان فاروق الأول عنها، ولكني أتذكر جيداً تلك العيون التي تبكي والأحزان التي تكتسي الوجوه التي عبّرت عنها النساء من أفراد عائلتي والعائلات الأخرى الصديقة، فلقد كان عندهم فاروق المثل الأعلى والقدوة "فقد كان ملكاً بمعنى الكلمة"، يتمتع بأخلاق الملوك والنبلاء: وكان حبهم له نابعاً من تضحياته ومن حبه لمصر وترابها، ومن طريقته في التعامل مع الخدم في القصر فكانت حكاياته لا تنقطع من أحاديث مجالس الصالونات بمنازل العائلات الكبيرة في مصر كلها، لم يكن عمري يتجاوز الرابعة عشرة



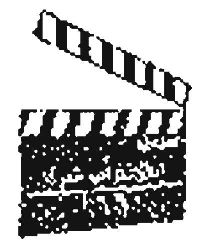
ولكني كنت مدركة للملك الذي عزل والانقلاب الذي قام به الجيش وتحول بعد ذلك إلى ثورة، "ولقد استطاع مسلسله الدرامي الذي عرض أخيراً أن يعيد إلينا تلك الذكريات"، لقد لفقوا له التهم وحملوه ما كان في غيره، وتعمدوا أن يخرجوا جيلاً كاملاً حاملاً للتضليل والتاريخ المغلوط، لقد ثبت أن الملك فاروق لم يشرب في حياته الخمر، ولم يكن زير نساء، كما كانوا يصورونه، لقد حاول البعض أن يثبتوا أقدامهم ولو على سمعة فاروق وأسرته، ولم يكن يعنيهم غير السيطرة على الحكم، لقد غفل الجميع عن شيء كان واضحاً أمامهم وهو أن فاروق كان قادراً على رفض الرحيل وإعطاء أوامره للجيش، الذي كان غالبيته بعيداً من تنظيم "الضباط الأحرار"، بأن يتحرك ويسحق الأحد عشر ضابطاً و المائة جندي ولكنه فضل مصلحة الوطن على أي مصالح شخصية، ووافق على الرحيل وهو في أوج قوته وبين جيشه، وقال جملته الشهيرة "الرحيل عندي أفضل من أن تسقط نقطة دم مصري واحد بسببي"، لقد رفض فاروق أن يضحي بجندي أو مواطن مصري أو خادم من خدم القصر، الذين كانوا على استعداد لأن يموتوا من أجله، وكانوا أكثر الناس حزناً عليه عند رحيله، لقد ضرب فاروق بهذا الموقف المثل في الوطنية، لم يفضل مصلحته الشخصية، كما فعل آخرون، ولم يكن هدفه تخليد وتمجيد اسمه بقدر ما كان هدفه الحفاظ على أمن وأمان المصريين، لقد ظهر معدنه الأصيل عند رحيله، ومع الأسف الشديد مازال هناك من يؤمنون بالصورة التي تم تشويهها له ـ هذا هو مجرد رأيي في الملك فاروق، ويحتمل هذا الرأي الصواب والخطأ، ولكني حرصت على أن أسجله معك في مذكراتي حتى أعطي لهذا الرجل حقه المهضوم ـ

وعلى رغم هذا فأنا لم أكن في يوم من الأيام ضد ثورة ٢٣ يوليو، وستكتشف التفاصيل فيما بعد عن مواقفي لمساندة تلك الثورة "التي شهدت في كتاب نشرته



أن آل الصيرفي أكثر العائلات التي ساندتهم وكان لها دور وطني قبل الثورة"، وشقيقي مصطفى كان من أشد المؤيدين لثورة يوليو، وكان دائماً يجتمع مع أصدقائه بالمنزل ويدور نقاشهم حولها ومكسبها التي تحققت بجلاء الإنجليز عن مصر .. ومن جانبي توقعت أن الثورة ستجود وتحسن من وضع السينما وتدفعها للأمام، فأي ثورة حضارية ومعتدلة طبيعي أن يكون على رأس أولوياتها صناعة السينما. فعلى أساس المدى التي تصل له تلك الصناعة تقاس حضارات البلاد المتمدينة وتقدمها، فإذا أردت أن تعرف هوية شعب فشاهد أفلامه....

وفي هذا التوقيت كانت حياتنا الأسرية بدأت تكون طبيعية وهادئة، فشقيقتي تزوجت. ومصطفى تخرج في كلية الشرطة وتم تعيينه في قطاع السجون، "ضحكت ماجدة قائلة كان لا يصلح إلا أن يكون سجاناً! ! فقد كان سجاني طوال الوقت"، وتوفيق بدأ يستقر في عمله بالكويت. وأبي بدأ يأتي إلينا في زيارات منتظمة "لقد حاولنا كثيراً أن نوفق بينه وبين أمي ولكنهما كانا قررا الانفصال بدون عودة، وكنت أسأل نفسي أيمكن أن ينتهي كل هذا الحب الذي كان بينهما: وهل يعقل أن أكون أنا السبب؟! ولكن أمي وأبي أكدا لي أن موضوعي كان مجرد حبة رمل فيما فرق بينهما وأدى إلى انفصالهما ولم يرغبا في إعلان كل الأسباب الحقيقية"، وكان أبي يتحدث لأمي بمنتهى الاحترام لأن انفصالهما كان أبيض بدون أي عوائق وكانا يعرفان جيداً أنهما في النهاية ينتميان لعائلة واحدة، وكان أبي تزوج بعد انفصالهما حتى يستطيع أن يكمل حياته بشكل طبيعي ويجد من يؤنسه وحدته ويوفر له احتياجاته، وكنت أداوم على زيارته بانتظام، وكانت زوجته سمحة الطباع، ولكن أمي، على رغم كل من تقدموا لها ممن يريدون الارتباط بها إلا أنها كانت ترفضهم ولا تسمح لأحد منا أو من العائلة أن يناقشها في هذا الأمر. واكتفت برعايتنا ووقفت معي ولم



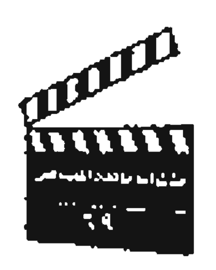
تتركني واحتضنتني وكانت تشجعني دائماً وتقول لي "غدا ستعرف العائلة أنك حافظتي عليهم وعلى أسمائهم وسمعتهم وأنك صورة مشرفة لهم في السينما وللسينما"، أما أنا فقد حسم الأمر معي منذ أن وافقت الأسرة على عملي بالسينما وهو أن أبتعد عن تجسيد أدوار تتخللها مشاهد الإثارة والأحضان والقبلات. ولا أقبل إلا الأفلام الدينية والوطنية والاجتماعية فقط، وقد كان بداخلي هذا الطابع وكان هذا هو قراري من البداية تجسيد الروايات ذات المضمون والهدف، والأفلام الدينية والوطنية تكون أصعب بكثير من غيرها لأنها تحتاج إلى تحضير قوي وميزانيات كبيرة. وكان أول فيلم ديني أمثله "بلال"، وكنت مازالت صغيرة ولم يكن دوري رئيسياً لأن شخصية بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي يجسدها يحيى شاهين هو محور الفيلم الرئيسي... ثم قبلت تجسيد دور في فيلم "الآنسة حنفي"، الذي كان من تأليف جليل البنداري، وبطولة إسماعيل يسين. وكان فيلماً كوميدياً وحقق نجاحاً رهيباً.. ولكن على رغم ما اشتركت فيه بعد ذلك من أعمال متلاحقة إلا أن اختلاطي بزملاء وزميلات يكون أثناء تصوير مشهد الفيلم فقط. ونستطيع أن نطلق عليه اختلاطاً مؤقتاً، يبدأ ببدء تصوير الفيلم وينتهي بانتهائه، ولم نكن نتزاور ولكن كل ما كان بيننا الاحترام المتبادل، وعلى رغم أسلوبي العسكري في التعامل إلا أن بعض الزملاء كانوا يحاولون أن يبدوا إعجابهم بي وكنت أفطن لمقصدهم، وسريعا أتعمد أن يتحول الموضوع إلى مجرد مزحة إلى أن يخجلوا من أنفسهم ولا يتحدثوا في هذا الموضوع مرة أخرى. ووجدت أن هناك أفلاماً كثيرة أرغب أن أجسدها ولكنها لا تأتي إليّ "لأنني كنت مازلت حديثة بالعمل السينمائي"، وتذهب إلى زميلات أخريات كن مسيطرن على الساحة آن ذاك، مثل "فاتن حمامة وشادية ومديحة يسري"..



وهنا فكرت كثيراً حتى توصلت إلى أن الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله أن أعمل ما أحب هو أن أقوم بإنتاج الروايات التي تستهويني، وكان الإنتاج خطوة جريئة لم أخشها، وعلى رغم أني لم أكن أمتلك من المال ما أنتج به إلا أنني أقدمت عليها بخطى ثابتة دون تراجع أو استسلام، وبدأت بحثاً طويلاً حتى توصلت لرواية جيدة لإحسان عبدالقدوس اسمها "أين عمري"، وتحدثت مع إحسان تليفونياً وحدد لي موعداً، وذهبت له في موعدي بدار روز اليوسف واستقبلني بود واحترام، وطلبت منه شراء الرواية لإنتاجها فيلماً سينمائياً: فنظر لي مبتسماً وقال لي هل قرأتيها، فقلت له نعم وأحببتها أيضاً ومن أجل هذا أريد شراءها لأقوم بإنتاجها، فضحك قائلاً لي كيف تستطيع قطة صغيرة مثلك أن تنتج فيلماً لإحسان عبدالقدوس، فقلت له ستشاركني شركة "الشرق" في الإنتاج، فحياني على تلك الخطوة التي أقدمت عليها، ثم طلبت منه أن يحدد سعراً للرواية، فطلب مبلغ خمسمائة جنيه، فطلبت منه أن أدفعهم له على خمس دفعات، ووافق ووقعنا العقد.. بعد ذلك ذهبت بها إلى علي الزرقاني ليكتب لها السيناريو والحوار، وكان من أهم كتّاب السيناريو في مصر، ويمتاز بأنه يصنع الضحك داخل الدراما، ووافق على أن يحصل على مبلغ ألف جنيه، ولكنني كنت أحاول أن أخفض المبلغ، وأكدت له أن إحسان حصل على مبلغ أقل، فأكد لي قائلاً "إن مهمتي أقوى وأصعب من مهمة إحسان، فأنا الذي سأقوم بالتفصيل والشرح، كما أن هناك معالجة درامية لمواقف في القصة لا يمكن أن تخرج على الشاشة كما كانت بالرواية"، ففي الرواية كانت البطلة بعد وفاة زوجها تقوم بتأجير شقة وعاشت فيها حياتها المنحرفة، ولكن الزرقاني حوّلها إلى أنها تعود لتعيش في منزل عائلتها، وذهبت إلى شركة "الشرق للإنتاج الفني"، وكنت اتفقت معهم على أن يقوموا بتمويل الفيلم ومشاركتي في الإنتاج



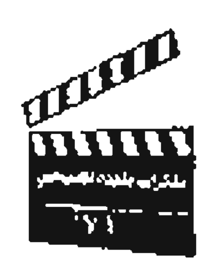
مقابل أن أشتري لهم القصة والسيناريو والحوار، وكان ملاك الشركة منتجين لبنانيين ومصريين، هم "جون خوري وباسيلس ومحمود شافعي"، وشرحت لهم مدى حماستي للقصة، "فهي تدور حول فتاة صغيرة تحلم ككل بنات حواء بأن تصبح فتاة كبيرة، وتلون شفتيها بالروج الأحمر، وترتدي الثياب الغالية والكعب العالي، في الوقت الذي كانت فيه والدتها الأرملة تنظر لها كطفلة صغيرة تحرمها من الحفلات والسهر حتى يظهر في أفق حياتها عجوز كهل يطلب يدها للزواج فترحب به، لأنها كانت تنظر للزواج على انه فستان وكعب عالٍ، ولكن هذا العجوز الفاني لا يستطيع إسعاد شبابها ويغار عليها من كل عين تنظر إليها، فيذهب بها إلى الريف لتعيش سجينة قصره الريفي مع شقيقتيه العانستين إلى أن تكاد تختنق، فتخرج يوماً على ظهر جواد لتستنشق الهواء فتقع من فوقه لتتلقفها يد طبيب شاب "يحيى شاهين"، ومن النظرة الأولى يتحابان ويذهب إلى زوجها طالباً يدها على أنها ابنته، وهنا يجن جنون الزوج وينتقم منها أروع انتقام، وينهال عليها ضرباً بالسياط، وتمضي القصة في جو من التشويق والإثارة إلى أن يموت الزوج قتيلاً، وتحاول أرملته الصغيرة أن تستعيد ما فاتها من أيام العمر بأن تعود تلك التلميذة الصغيرة المحبوبة من الشبان حتى أنها تكاد تهوي مهاوي الرذيلة، فيظهر ذلك الطبيب الشاب لينقذها من السقوط، ويفوز بقلبها في النهاية"، وتم توقيع العقود معهم وكانت تنص على أن يقوموا بإنتاج الفيلم مقابل استردادهم تكاليف الإنتاج التي دفعوها، إضافة إلى نسبة ٥٠٪ من الأرباح لمدة عشرين عاماً، وأصبح الفيلم في حيز التنفيذ وأعلن عن ذلك ولكني تعرضت لحرب من الشركات المنتجة آن ذاك، وبدأت اسمع كل يوم عن عقبات جديدة يحاولون بها إيقافي عن المضي في طريقي، وبالفعل استطاعت إحدى الشركات أن تحصل على وعد إحسان عبدالقدوس ببيع قصته "أين عمري" لها بمبلغ اكبر



من المال، وعندما ذهبت إليه قال لي إنه في حل من اتفاقي لأنه مضى عام كامل لم أنتج فيه الفيلم، فقلت له الفيلم ضخم ويحتاج إلى تجهيز على المستوى نفسه ولكنه أصر على موقفه وأنا لم أكترث له، وبدأت بالفعل في إنتاج الفيلم وتصويره وترتب على هذا خلافات كثيرة بيني وبين إحسان، وتأزم الموقف حتى كاد يصل إلى ساحة القضاء لولا تدخل البعض وحل المشكلة، ولكن وعلى رغم أن إحسان كاتب كبير وصحفي مرموق وله قيمته الأدبية الكبيرة، وكان قدم له من قبل فيلم "الله معنا" إلا أن انطلاقته الحقيقية وتقاتل شركات الإنتاج عليه كان بسبب نجاح فيلم "أين عمري"...

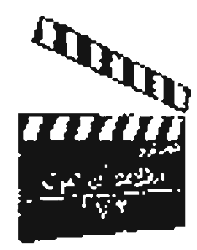
وقبل الدخول في تصوير الفيلم قمت بتأجير مكتب في عمارة الإيموبيليا: "الذي مازال مكتبي حتى الآن"، وكانت تغمرني السعادة بأن يصبح لدي مكتب ويعمل معي موظفون: كما كنت أشاهد الفنانين الكبار، وجاء إليّ الكثير من زملائي ليهنئوني، وكان على رأسهم "رشدي أباظة"، وبدأت أتفق مع شركة الإنتاج على المخرج. واخترت أنا أحمد ضياء الدين "الذي أطلق عليه بعد ذلك مخرج ماجدة الملاكي"، وبالنسبة للممثلين كان يحيى شاهين هو نجم السينما الأوحد في هذا التوقيت، وجاءت باقي اختيارات الممثلين موفقة بالتنسيق بيني وبين المخرج، ولكن ما أتذكره أن جميع الممثلين كانت مفاجأة لهم عندما علموا أنني المنتجة، وبدأنا التصوير بعد تسوية الخلاف مع إحسان، وحدثت مواقف بيني وبين الفنان الكبير زكي رستم ولا يمكن أن أنسى تلك المواقف، فهو كان إنساناً مهذباً ورائع الأداء، ويندمج بشدة في دوره الذي يجسده سواء كان خارج أو داخل التصوير، وكان واقع القصة يقول أنني زوجته وأنه يغار عليّ بشدة، وفي إحدى المرات توقفت الكاميرا عن التصوير وجلسنا نستريح بعض الشيء ونتناول الطعام، وحدث أنني كنت أتحدث مع يحيى شاهين وابتسمت لجملة

قالها، فوجدت زكي رستم ينظر لي غاضباً وقال لي "لماذا تقفي هكذا؟!"، ولكني ابتسمت مستعجبة من سؤاله، وجاء المخرج وقال لي لا تؤاخذيه فهو من طبيعته أن يندمج في دوره بطريقة زائدة على الحد، فابتسمت وتكلمت معه بلطف وأفهمته أنني زوجته داخل الفيلم وليس خارجه، ولكننا ظللنا طوال أيام التصوير كلما يشاهدني أقف مع أي شخص نتحدث أجد نظرات الغيرة الحادة في عينيه، حتى أنني بدأت أخاف منه، وأيضاً في أحد المشاهد داخل الفيلم التي يعلم بحبي للطبيب "يحيى شاهين". ويطلب مني عدم تركه و إلا سيقتلني، وعندما أرفض يصفعني بيده على وجهي، وحدث أن اختلط عليه الأمر بين الحقيقة والتمثيل، فعندما قام بصفعي على وجهي كانت الصفعة قوية جداً وموجعة ولم يعطيني مثلها في حياتي سوى "شقيقي مصطفى الصباحي"، وفقدت الوعي عندما شاهدت فمي ينزف الدماء، وعندما عدت للوعي وجدته يبكي ويقول لي بالحرف الواحد "سامحيني يا ابنتي، أنا عنيف، أنا وحش"، وبكيت من شدة الألم ووجدت أن ضرسي أصيب ووجهي تورم وتوقف التصوير في هذا اليوم، وعندما ذهبت للمنزل اتصل بي "زكي رستم" وكان يبكي، وقال لي "سامحيني يا ابنتي أنا لا أعي تصرفاتي وباندمج في الشخصية ولا أستطيع أن أنفصل عنها"، فاحترمت مدى احترامه لعمله وقلت له "لا عليك وأنا سامحتك وأقدر موقفك النبيل لكن برفق بعد ذلك حتى لا أموت قبل أن ينتهي الفيلم"، فهو كان يندمج في الدور بشكل عنيف، وعندما يضرب يكون حقيقياً لدرجة أني عرفت أن هناك قصة حدثت بينه وبين أمينة رزق في أحد الأفلام، وكان المشهد أنه يقوم بخنقها واندمج وكاد يخنقها حقيقي في مشهد تمثيلي، فكانت تقول له بصوت مبحوح وتكاد تموت في يده "زكي ده تمثيل يا زكي"، ولكنه كان يضغط بأصابعه على حنجرتها، وعندما انتبه المخرج والمصورون لذلك، لأنه لم يتوقف،



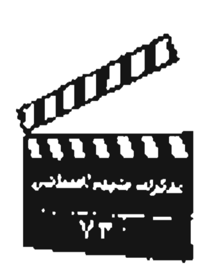
على رغم أنهم أشاروا بانتهاء المشهد فهرولوا إليه ورفعوه عنها. وكانت فقدت الوعي. وكان زكي رستم لديه مشكلة في السمع بأذنيه "سمعه ثقيل". وكان بيني وبينه مشهد في فيلم "بائعة الخبز" وهو أني أقول جملة فيتحرك خطوات ولكني أثناء التصوير لم أجده يتحرك الخطوات المطلوبة، فعلى الفور سارعت بالتفكير فقمت بمحاولة تنبيهه "بقرصه" فانتبه وتحرك ورددت الجملة التالية وقمت بمحاولة تنبيهه مرة أخرى "بقرصه مرة أخرى" فتحرك، وأيضاً كان عدم تأديته تحركاته ناتجاً لأن صوتي دائماً منخفض وضعيف وهو لا يستطيع سماعه ليؤدي الدور المطلوب، وبعد انتهاء المشهد ذهب زكي رستم إلى مخرج الفيلم حسن الإمام وقال له "يا سي حسن، وهذه كانت طريقته في الحديث. فقال له نعم يا أستاذ زكي، قال له هي الآنسة ماجدة عندها حالة عصبية، فقال له لماذا فرد عليه قائلاً طوال تصوير المشهد تقوم بتقريصي فانهمر حسن الإمام في موجة من الضحك. وسألني عن السبب فقلت لا يسمعني فوجدت أن هذه أفضل طريقة حتى أنبهه لحركته ولا يعاد المشهد مرة أخرى" فكان طباع زكي رستم أنه إنسان محترم جداً وبين المشهد والآخر يجلس ولا يتكلم مع أي شخص ويخرج من حجرته أمام الكاميرا فقط، رحمه الله...

من أكثر المشاهد التي بذلت فيها مجهوداً فائقاً هو مشهد مطاردة أحمد رمزي لي بالسيارة في نهاية الفيلم، وكانت مطاردة حقيقية وكنت أهرول بأقصى سرعة ممكن تتخيلها، وكاد توازني يختل ووجدت أنه سيترتب عليه أن يدهسني بالسيارة، ولكن الله أراد لي البقاء حية، وعلى رغم هذا رفضت استخدام "دوبليره" وذلك لأني كنت أقدم جميع أدواري بروح فدائية، فلا يمكن أن يُطلب مني شيء أو يلزمني الورق بشيء وأمتنع عنه وانتهى تصوير فيلم "أين عمري" بعد ثلاثة أشهر، وخرج الفيلم وأحدث ضجة كبرى، على رغم أن في



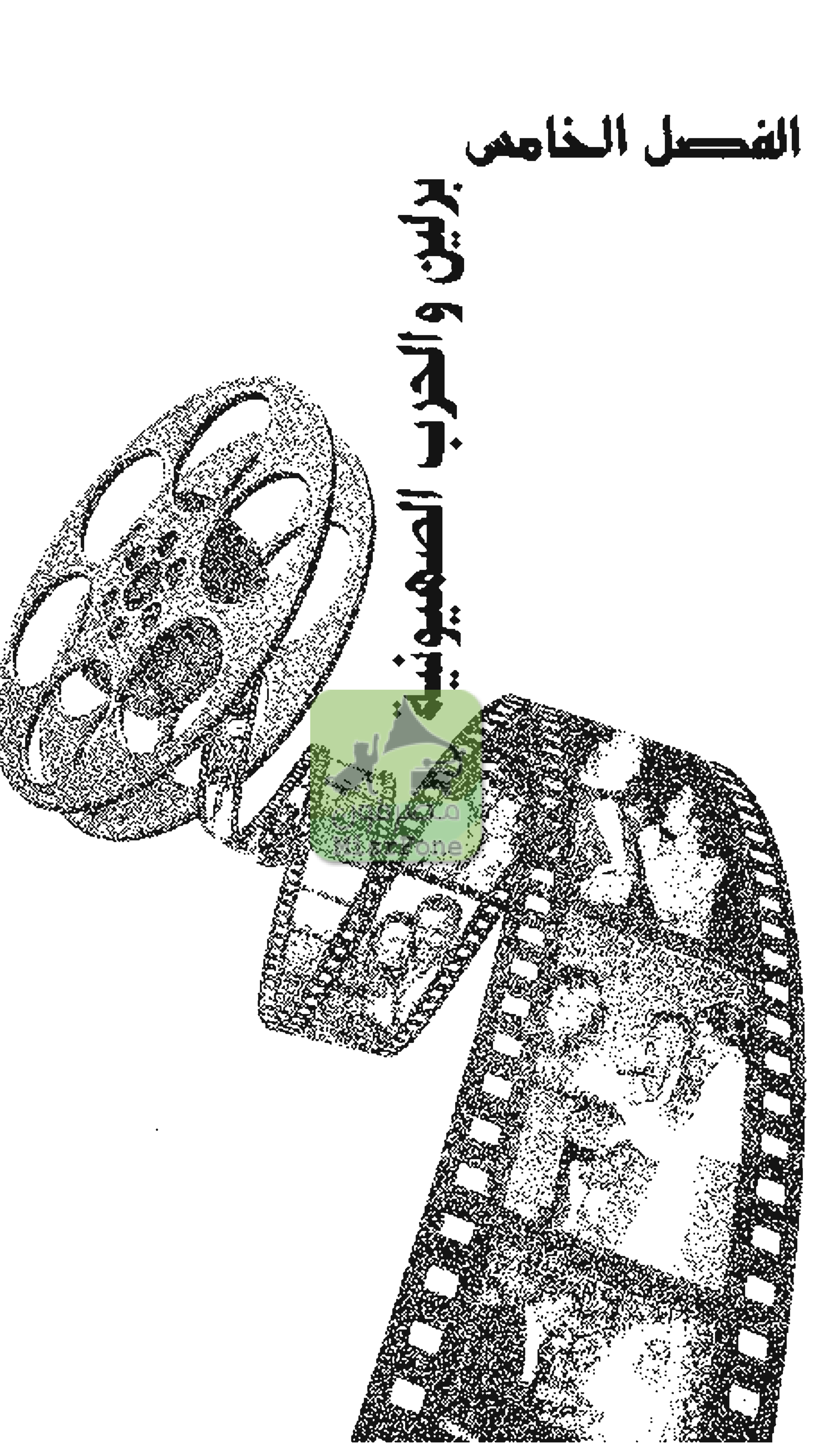
ذلك التوقيت كان هناك ركود في السوق المصرية بشكل عام؛ بسبب أن الدولة في مرحلة انتقالية للسلطة وصراع على السلطة بين محمد نجيب وعبدالناصر والحرب والمشاكل الاجتماعية والدولية التي كانت لها تأثيرها السيئ على كل صناعات المجتمع ؛ ومن ضمن هذه الأشياء صناعة السينما، ولكن هذا الفيلم كان سبباً في إحيائها وانتعاش السينما، وكتبت عنه الصحف بشكل رائع وفعال، وكان "أين عمري" الانطلاقة الأولى والحقيقة الفعالة بالنسبة لي ، فقد كتب النقاد عن استطاعتي تجسيد هذه المراحل المختلفة للشخصية التي كانت تحتاج إلى أكثر من ممثلة ، وعرض بسينما قصر النيل؛ وكان هذا أول فيلم عربي يعرض بها؛ وجمع إيرادات ضخمة استطعت من خلالها أن أسدد كل ما كان متراكماً عليّ من ديون وأقساط للكتّاب...





الفصل الخامس

برلين والحرب الصهيونية



- "أين عمري" أول فيلم حمل اسم "جمهورية مصر العربية"، وكان وثيقة لإثبات الشرعية الثورية، وواجه حرباً شرسة من الصهاينة في برلين بعد تأميم عبدالناصر للقناة...

- عطل الألمان حركة السير وحطموا الواجهات الزجاجية للمحل والفندق ليقتربوا مني وكان معي دائماً حراسة من البوليس...

- في عام ١٩٥٦ كانت الحرب العسكرية على الجبهة، وكنت أنا محاربة قوية وشرسة على الجبهة الفنية ضد الإسرائيليين...

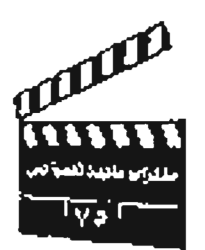
- في مطار "فرانكفورت" تأخرت الطائرة المصرية وعاملني السفير المصري كابنته، وكنت أخشى أن يقتحم عليّ غرفتي بالفندق السكارى...

- كان زمناً جميلاً، كنا مجموعة ممثلين ملتزمين، كلنا أصدقاء نختار أعمالنا بدقة نؤديها بإتقان شديد يستنزف أعصابنا

- ترتدي الملابس الأنيقة ولكن ليس للإثارة، فقد كنا وبحق نعيش في جو مختلف لا أشاهده الآن

- كانت لي رسالة في الفن، والدليل على نجاحي في تأدية رسالتي هو وصولي بالفيلم المصري إلى المرتبة الأولى بين الإنتاج العالمي في قائمة الجوائز التي نلتها من المهرجانات الدولية.

(ماجدة الصباحي)



مازال للفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي حضور طاغ، فلا يمكن أن تدخل في حضرتها إلا وتجد نفسك مستيقظ العينين، ومنصت الأذنين، وعلى استعداد كامل لأن تسمع من القصص والروايات ما يجعلك تدخل في حالة من الدروشة الفنية والاجتماعية، ما يجعلك تستنشق هواءً يملؤه عبير زمن الفن الجميل، ما يجعل خيالك يستقل عربة الحنطور التي تسرع بها خيولها البيضاء بلون الثلج، والسمراء بلون سحاء الليل، إلى زمن نحن في أمس الحاجة لأخلاقه وطباعه، زمن تمتع أبطاله بروايات أسطورية التي مازالت عالقة في أذهاننا نحن الأجيال التي لم نرهم إلا عبر الشاشة الصغيرة، ولم نعرفهم إلا من خلال المعلومات التي تحتفظ بها صفحات الكتب.. فتستكمل ماجدة حديثها قائلة...

بعد كل هذا النجاح الذي حققه فيلم "أين عمري" والصدى الرهيب الذي تسبب فيه، فوجئت بترشيح رجال الثورة وقيادات الدولة لأن يمثلهم الفيلم في مهرجان "كان" في برلين ليكون دليلاً قوياً على اعتراف المجتمع الدولي بأول فيلم مصري يحمل هوية الدولة الجديدة "الجمهورية" بدلاً من "المملكة"، ولقد كانت سعادتي لا توصف بهذا الشرف العظيم الذي تمنحه الدولة لي: وكانت هذه المرة الأولى في حياتي أسافر فيها للخارج، ولم تعترض الأسرة عندما علموا بوجود مخرج الفيلم أحمد ضياء الدين معي، وكانوا يثقون فيه بشدة وكان من الأسباب التي شجعتني على الذهاب إلى مؤتمر برلين للاشتراك بفيلمي "أين



عمري" هي الرغبة في إطلاعي أولاً على النواحي الفنية الناجحة التي توصلت إليها الأفلام العالمية بالنسبة للفيلم المصري، وثانياً اقتناعي بأن فيلم أين عمري سيحوز على ثقة الهيئة المنوط بها توزيع الجوائز للأفلام الجيدة، واستقلينا الطائرة ووجدت نفسي ونحن مازلنا في الهواء عبر رحلتنا أقول لمخرج الفيلم أحمد ضياء الدين إنني أفكر بما سيحدث لنا في برلين: فهل تعتقد أن عالم الشقراوات سيستقبلني أنا الخمرية الشرقية جيداً، فقال لي بشيء من الحيرة "لم أفهم"، فقلت له هذه هي المرة الأولى التي أطل فيها على العالم السينمائي الخارجي، ترى كيف سيكون استقبالنا في برلين؟ وماذا سيكون رأي جمهور المؤتمر السينمائي بالفيلم، خصوصاً أن قرار اشتراكه نابع من الثورة المصرية وسيدخل الفيلم في معركة سياسية، فقال العمل الناجح هو الذي سيفرض نفسه في النهاية: اطمئني.. ووصلنا إلى العاصمة الألمانية برلين وإن أجمل ما أتذكره عن تلك المدينة وذلك المهرجان الاستقبال الحافل الذي قوبلت به في كل مكان، وقد بدأت تلك الاستقبالات والحفاوة منذ اللحظة التي وطأت فيها قدماي أرض برلين وانتهت وأنا استقل الطائرة عائدة إلى بلادي..

فقد وصلت إلى برلين بعد رحلة طويلة من الطيران، وهبطت بنا الطائرة في مطار برلين وأنا في حالة يرثى لها من الإعياء والصداع، كنت أريد أن أنام لأنني لم يغمض لي في الطائرة جفن: ولكني فوجئت بعشرات من عدسات التصوير تُصوب نحوي وأنوارها تلاحقني، فتحول ليل المطار الكالح إلى نهار يشع فيه الضوء، وأصبحت أقف كالعصفورة الضعيفة التي تلاحقها وميض العدسات من كل جانب وتطالبني بالابتسامات وأداء الحركات الاستعراضية، ولم أكن أريد أن تلتقط لي الصور وأنا في هذه الحالة من التعب، فأشرت إليهم ألا يصورروني ولكنهم كانوا لي بالمرصاد: إذ سجلوا كل إشارة من يدي بل صوبوا العدسات محكمة نحو فمي ليسجلوا لي صوراً وأنا أتحدث واحتج عليهم، وأحاط بي أعضاء الوفد المصري ورجال السفارة المصرية في برلين الذين كانوا في انتظاري وهدءوا



خاطري والتفوا حولي التفافاً لا يسمح للمصورين بالتقاط صور لي.. واصطحبوني إلى قاعة كبار الزوار وأفهمني أحد الموظفين، وكان رجلاً يبالغ في الترحيب بي، أن ما حدث لي حدث مثله تماماً "لريتا هيوورث" عندما أتت إلى برلين، وأنها من فرط غيظها مما فعل بها المصورون الصحفيون عادت إلى الطائرة لتجلس فيها وهددت بأن تغادر الأراضي الألمانية قبل أن تخرج من الطائرة، وابتسم الرجل وهو يودعني عن المطار قائلاً "هذه هي ضريبة الشهرة!"... وكان الشعب الألماني يرحب بي في كل مكان أذهب إليه. وقد كنت وبصحبتي الوفد المصري الذي تكوّن من "مندوب وزارة الإرشاد جمال مدكور، وأحمد ضياء الدين مخرج الفيلم، وعطية كامل مدير إنتاج الفيلم، ورجال شركة الشرق للتوزيع"، نزلاً في فندق "انسو" الفخم..

ثم عرض الفيلم ولم يتخلف نجم أو نجمة من نجوم السينما من جميع أنحاء العالم عن حضور العرض، وأقبل عليه الجمهور إقبالاً شديداً، وصفقوا له خمس دقائق متواصلة بعد أن انتهى، ووقفت أمام الجماهير في المؤتمر الصحفي الذي عقد فور انتهاء العرض لكي ألقي كلمة شكر بالألمانية. وأنا لا أعرف اللغة الألمانية: ولهذا كتبت الكلمة بحروف لاتينية وحسب نطقها على الطريقة الفرنسية وكنت قطعت ساعة في حفظها عن ظهر قلب، ولكن التصفيق المدوي الذي فاجأني به الجميع أربكني، وما كدت ألقي أول عبارة وهي "أنا أحب برلين" حتى صفق الجمهور مرة أخرى، وهنا نسيت ما بعد هذه العبارة ففتحت حقيبتي وأخرجت منها الورقة التي بها الخطبة. وضج الجمهور بالضحك والتصفيق.. وفي الحفلة التي أقامتها مفوضية الحكومة المصرية حضر بعض نجوم التمثيل بالسينما العالمية، وكان من بينهم النجم العالمي الشهير "جاري كوبر". وحرصت على دعوته لأنه كان من أكثر المهتمين بي في ألمانيا، وكانت لي صورة شهيرة معه دار بها حوار ممتع: فلكونه كان طويل القامة فكنت أقول له "لا



أستطيع أن أقف أمامك لأنني أضطر إلى أن أرفع رأسي دائماً لكي أرى وجهك"، فرد قائلاً "إنني عندما أنظر إليك أنحني لأراكي"...

وحضر أيضاً كل المصريين الذين يدرسون في ألمانيا، فقد كنت حريصة على أن توجه لهم السفارة الدعوة واحداً واحداً.. وكتبت صحيفة "برلينر مورجن بوست"، وهي من أكبر الصحف الألمانية، مازلت أحتفظ بما نُشر في العدد الصادر في ٢٢ يونيو ١٩٥٦، وجاء في جزء منه "أن هذه السمراء اللطيفة "الصغيرة الكبيرة" كانت قبلة الأنظار في مهرجان السينما هذا العام، وكانت أينما تسير يسير وراءها المصورون والصحفيين وجمهور كبير من المعجبين، وأيضاً أن ماجدة تحدثت في المؤتمر الصحفي الذي أقامته إدارة المهرجان فور وصولها إلى برلين فألقت معلومات كافية عن صناعة السينما في مصر التي يمتد سوقها من مراكش غرباً إلى إيران شرقاً، ويبلغ عدد مشاهدي السينما في هذه المنطقة أربعين مليوناً، وقالت إن الحكومة تقدم مساعدات كثيرة لهذه الصناعة، ورصدت لها في العام الماضي ٣٦٠ ألف مارك ألماني. وسيزيد هذا المبلغ في العام المقبل، وقالت إن مصر تنتج في السنة حوالي ثمانين فيلماً وتقوم الآن بإنتاج ثلاثة أفلام بالسينما سكوب".

وأصبحت بعد ذلك صوري تتصدر الصفحات الأولى للصحف الألمانية.. وبعد حفلة افتتاح فيلم "أين عمري" أردت أن أزور أسواق برلين وأشتري بعض الهدايا لأصدقائي وصديقاتي في مصر، واعتقدت بيني وبين نفسي أني سوف أسير في شوارع برلين بكل حرية لأن أحداً لا يعرفني في هذه العاصمة التي تبعد من القاهرة بملايين الكيلو مترات، ولن أتعرض للنظرات الفضولية التي أتعرض لها كلما ظهرت في شوارع القاهرة. وبالفعل نزلت إلى أحد الأسواق التجارية الضخمة هناك واكتشفت المفاجأة وهي أنني أصبحت معروفة في برلين كما أنا معروفة في القاهرة وبيروت ودمشق وكل بلد عربي، فإن الجمهور الألماني عرفني من خلال الصحف والراديو وفيلم "أين عمري" الذي عُرض في قاعة المؤتمر، وأعجب بخمريتي الفاتنة ورشاقتي المحببة ومقدرتي التمثيلية، كما كانوا يقولون لي



وبكتب عني بالصحف الألمانية، فلم يكد يراني الجمهور في شوارع برلين حتى التف حولي وتسابق الشبان والفتيات للحصول على توقيعاتي أو صوري، وحدث ذات مرة أن تعطل السير من شدة ازدحام الجمهور عليّ فاضطررت للدخول إلى أحد المحلات الكبيرة، وهنا حطم الجمهور واجهة المحل الزجاجية واندفعوا بكل قوة إلى داخله ليروني أمامهم عن قرب، وفي أقل من دقائق حضر البوليس بناءً على إشارة من صاحب المحل لإجراء التحقيق عن تحطيم الواجهة، وقد كان رد البعض مثيراً للغاية، فقالوا لرجال البوليس "نعم نحن حطمنا واجهة المحل لأننا لا نريد أي حاجز بيننا وبين الفاتنة المصرية"، وانتهى الحادث بعد تدخل إدارة المهرجان التي أبدت استعدادها لإصلاح الواجهة المحطمة على حسابها، معتزة بهذا الاستقبال الحار من الجمهور الألماني لي كنجمة مصرية محبوبة، وأصبحت بعد ذلك لا أستطيع السير على قدمي في شوارع برلين، وإذا أردت السير فأكون دائماً تحت حراسة البوليس الذي لم يعد يفارقني منذ حادث تحطيم الواجهة..

لقد قال بعد ذلك الدكتور "باور"، المشرف العام على المهرجان، للمخرج أحمد ضياء الدين مخرج الفيلم إنه أعجب كثيراً بفيلم "أين عمري" وببطلته ماجدة التي تعتبر أصغر منتجة سينمائية في العالم، وأعظم وأفضل ممثلة في مهرجان برلين، وطلب ومعه لجنة التحكيم أن يُعرض فيلم "أين عمري" مرة ثانية "على رغم أن جميع الأفلام المشتركة في المهرجان كانت تعرض مرة واحدة فقط"، ولكن كان طلبهم بسبب أنهم دهشوا في المرة الأولى لقوة التمثيل والإخراج، ولم يستطيعوا تسجيل حسناته الفنية كاملة. وعرض الفيلم في المرة الثانية أمام مندوبي ٣٤ دولة وعشرات النقاد والصحفيين العالميين...

وحدث أيضاً أنه في أعقاب الفيلم اشتد الزحام على الفندق "أنسو" الذي كنت نزيلته حتى استنجدت إدارته بالبوليس وطلبت منه فرقة لتطوق الفندق وتمنع عنه المعجبين، الذين كانوا في صباح ذلك اليوم تكاثروا على واجهة المحل



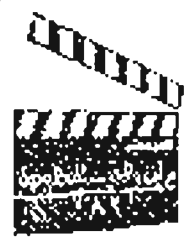
الزجاجية وحطموها؛ كما ذكرت، وبالفعل جاء رجال البوليس ليضربوا حصاراً حول الفندق وقامت بينهم وبين الناس معارك لا تنتهي، ولقد لاحظت مدى ارتفاع سعر التوقيع الذي أوقعه على الأوتوجرافات، فقد نشط تجار السوق السوداء، الذين يوجدون في كل مكان في العالم ويظهرون في أوقات الأزمات، نشطوا ليرفعوا السعر، هذا مع أنني لم أخيب أملاً لفتاة أو فتى في الحصول على إمضائي المتواضع؛ ولكن لعل السر فيما لقيته من حفاوة هو أن سمعتنا في ألمانيا من الناحية الفنية كانت سمعة طيبة للغاية، ثم أن الشعب الألماني يحب المصريين حباً أصيلاً من الأعماق والتجاوب بيننا وبينه تجاوب تام متكامل؛ وكان ذلك سبباً في أن قامت الصحف بترشيحي للجائزة العالمية بجوار كبار نجوم العالم السينمائي آن ذاك؛ وكانوا "بد ديفيز وجوان كروفورد" ولكن على رغم كل هذا وكل ما لقيه الفيلم من تقدير إلا أنه، مع الأسف الشديد، لم يحصل على الجائزة التي كان رُشح لها، وفي الواقع لمست أن بعض الهيئات الصهيونية حاولت أن تشن هجوماً عليّ وعلى فيلمي في برلين، وبطبيعة الحال لم أكن أنا المقصودة بالذات؛ بل الهدف من الهجوم الإساءة إلى سمعة مصر والعرب، لكنني تغلبت على هذا الهجوم وكسبت ود وصداقة جميع الشخصيات الرسمية الألمانية التي اشتركت في المهرجان وأيضا لقد كان ثلثا لجنة التحكيم متحيزين لليهود، وكان نجاح الفيلم يعني نجاح مصر التي تخوض حرباً مع إسرائيل في العام نفسه بعدما قام الرئيس جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس وانتزاعها من حوزة الإنجليز، ولكن حصلت على جائزة تقديرية من المهرجان...

ولم يكن مهرجان برلين هو المؤشر على عدم نجاح الفيلم بقدر ما هو مؤشر قوي على تلك الحرب الشرسة وغير الشريفة التي كانت تحاك وتدار على مصر من الخارج لمحاولة إثبات فشل الثورة ومحاربة صناعها وأبطالها وكل من يرشحون ليكون مؤشراً على نجاحهم، وكانت حربهم التي قام بها الصهاينة الإسرائيليون على المستوى العسكري التي يعلمها الجميع، ولكن ما لم يعلمه أحد الحرب الأخرى

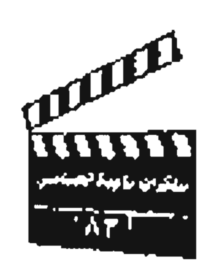


التي مارسوها ضد الثورة وجمال عبدالناصر على جبهات أخرى ومختلفة، وكانت ضمن هذه الجبهات التي تدار عليها المعركة هي "الجبهة الفنية" التي كان لي الشرف أن أكون المجاهدة التي حملت سلاحها المختلف عما يعرفه الكثيرون بسلاح الطلقات والنيران، وكان سلاحي هو فيلمي "أين عمري" الذي تحديت به العالم لكي يكون وثيقة على نجاح الثورة فلم يرغب المنتمون للصهيونيين في برلين في إعطائي شهادة ميلاد لفيلمي الثوري، ولكن ليس كل المواليد في العالم يُستخرج لهم شهادات ميلاد لكي يثبتوا أنهم أحياء. وكانت شهادة ميلاد هذا الفيلم هو اعتراف الجماهير الغفيرة به وإقبالها عليه لمشاهدته في كل مكان في العالم، وإيمانها الشديد بأنه الابن الشرعي للثورة المصرية الشرعية...

لكن من الأشياء الطريفة التي حدثت في تلك الفترة أنه حين ذهبت إلى مهرجان برلين السادس لأشارك فيه كنت مرتبطة بعقد مع شركة أفلام "عبدالوهاب - بركات" لتصوير فيلم "بنات اليوم"، واتفق يوم دخولهم الاستوديو للتصوير وموعد سفري، ولكن كان لابد من السفر لأن الحكومة رشحتني، فكان الحل الذي اهتدينا إليه هو أن أحضر عرض فيلمي فقط دون أن أنتظر نهاية المهرجان، وانتهى عرض الفيلم، وبالفعل عندما انتهى عرض الفيلم وجدت أنه تبقى على إعلان النتيجة وانتهاء المهرجان نفسه خمسة أيام، وإذا بي أتلقى برقية من الشركة يؤكدون فيها أنهم تسلموا الاستوديو وأقاموا الديكورات ويطلبون حضوري فوراً. واضطرتني العجلة أن استقل طائرة مسافرة إلى "فرانكفورت" على أن استقل من هناك طائرة أخرى تأخذني إلى مصر.. ووصلت فرانكفورت وكنت كأي عائدة من بلد خارجي، أنفقت كل ما أملك من نقود وكانوا أفلحوا في بث الطمأنينة في نفسي، فلم أتصور أني سأحتاج إلى نقود ولم أحاول بالتالي أن أستدين من أحدهم "مثلاً" بعض النقود قبل سفري.. وقمنا من برلين في حوالي الساعة السادسة ووصلنا فرانكفورت حوالي السابعة والنصف ليلاً وإذا بخبر في المطار من أمستردام يقول إن الطائرة القادمة لتحملنا إلى مصر لن تحضر فقد حدث

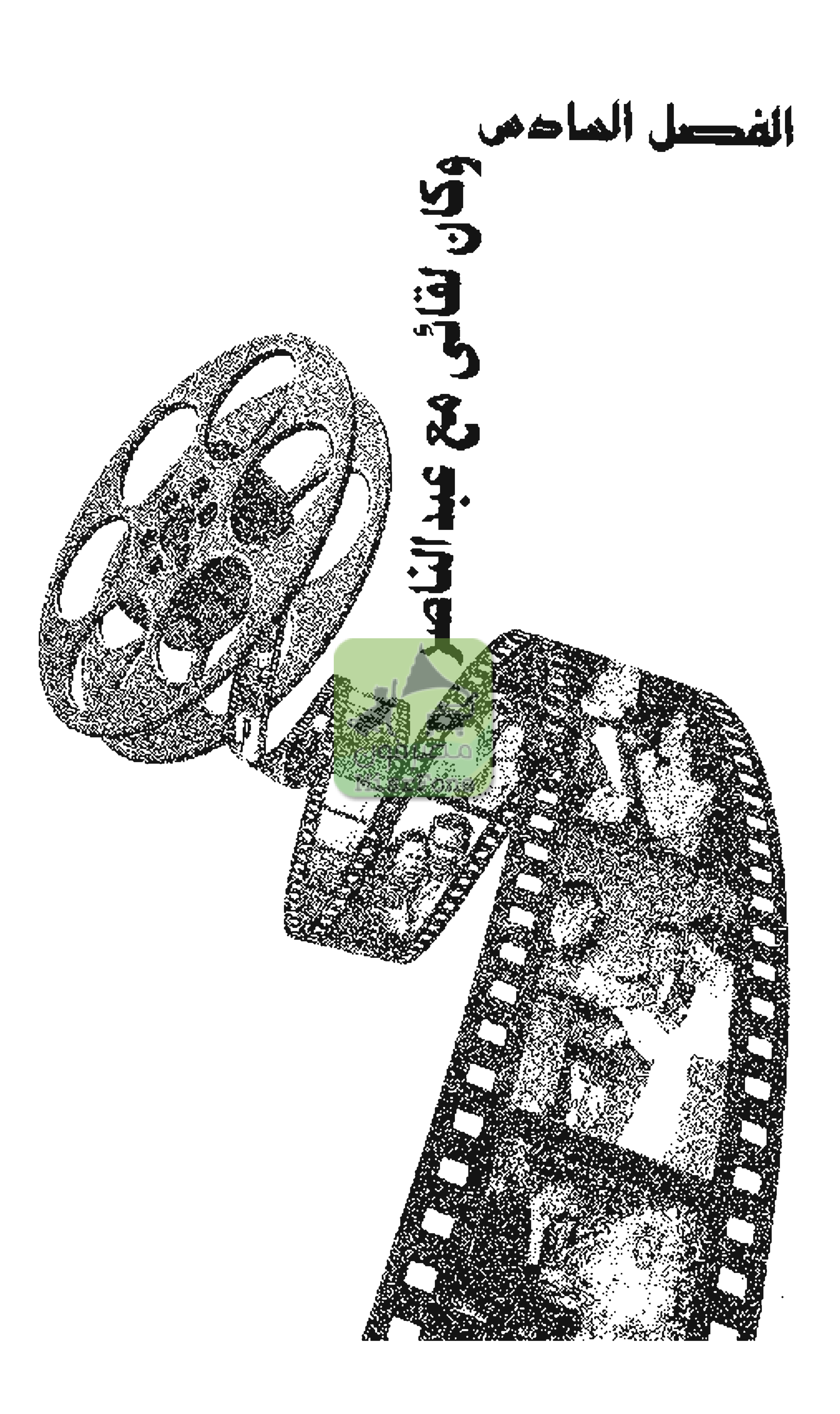


بها عمل، ومعنى ذلك أن أتخلف في فرانكفورت حتى اليوم التالي، والمفروض عندئذ أن يتولانا مكتب الشركة "شركة الطيران" ولكني التفت في هذه اللحظة لأكتشف أن المكتب أقفل أبوابه وجلست في مطعم المطار بحقائبي حتى الساعة الخامسة فجراً أبكي تحت نظارتي السوداء، وتنبه إلى حالي ضابط ألماني كان في المطعم، فتقدم مني وأخذ يتحدث إليّ بالألمانية وبعض الإنجليزية، وتأثر الضابط الألماني من موقفي جداً فبادر وبحث عن رقم هاتف السفارة المصرية واتصل بها.. وكنا في يوم "الأحد" والسفارة تغلق أبوابها في هذا اليوم، وكان يمكن جداً ألا يرد أحد على التليفون، وهنا تدخلت المصادفة وتدخل الحظ وشاء الله أن يكون السفير في طريقه إلى بيته الكائن فوق السفارة فيرد على التليفون بنفسه، ولم تمر إلا دقائق بعد ذلك حتى كان أمامي سيارة السفارة لتحملني مع حقائبي إلى بيت السفير، ووصلت لأجده حجز لي في أحد الفنادق الكبرى وأوصلني بنفسه إلى الفندق ولم يتركني إلا بعد أن شاهدني مطمئنة راضية، وأعطاني عشرين جنيهاً لأدفع منها أجر الغرفة والطعام حتى صباح اليوم التالي، على أني لم أنم طوال الليل، كنت قلقة وخائفة جداً، انتفض في فراشي كلما سمعت حركة أو همسة، ووضعت الحقائب وأثاث الغرفة وراء الباب خوفاً من أن يقتحمها أي شخص فكان في يقيني أن جميعهم يسكرون ولا يدركون أفعالهم، ولم يكد يطلع الصباح حتى دفعت حسابي وأسرعت إلى بيت السفير فدعاني لتناول الإفطار معه، والحقيقة أني لن أنسى كرم السفير المصري وعنايته اللذين لا يبذلهما إلا والد لابنته، وبعد ساعات كنت في طريقي إلى بلدي. واستقبلني شقيقي مصطفى وبعض من أصدقائي وأقاربي في المطار، وقد ارتميت في أحضانه أبكي فعرفت كيف يشعر المرء حين يبتعد عن الأهل "لا يساوي شيئاً" حتى ولو كان هؤلاء الأهل يمارسون قسوة وضغوطاً عليه...



الفصل السادس

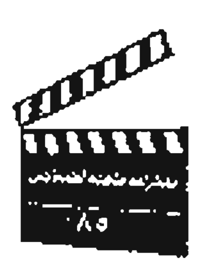
وكان لقائي مع عبد الناصر



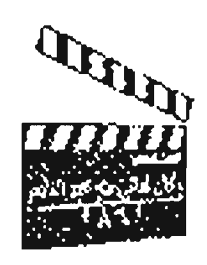
- "كلمة رائعة.. وأهلا بيكي يا ماجدة".. جملة قالها لي عبدالناصر في أول لقاء بيننا لتكريمي بحفل جامعة القاهرة...
- طلبت من عبدالناصر رعاية وزيادة مرتبات المدرسين الذين حملوني تلك الرسالة إليه...
- لمست في الأقطار العربية الشقيقة، خلال أزمة مصر، كل الإخاء والود والعروبة، كما قال جمال...
- حاولت كثيراً العودة إلى مصر أثناء نقض اليهود للهدنة ونشوب الحرب على حدود سيناء. ووجدت في لبنان وسوريا والسودان والكويت هتافاً واحداً "الله أمر والشعب قال ما في بطل غير جمال"...
- شائعة خطبتي لشاب سوري تسببت في تحطيم مطعم جروبي بوسط القاهرة...

- الزعامة ليست اختياراً ولكنها إجبار يُجبر عليها من توجد فيه صفاتها
- عبدالناصر كان وطنياً شريفاً حاول تحقيق حلم نحن في أمس الحاجة له الآن
- يا ليت العروبة تعود يوماً واحداً.. لترفع عنا مخالب الأنذال.. كم عشت يا جمال نجماً ساطعاً.. لم يخفت نوره حتى الآن.. فإني مؤمنة بأن الموت يحصد الأجساد.. ولكنه لا يستطيع أن يحصد الأرواح.. فروحه مازالت تسكن بيننا
- وعلى رغم أني لست ناصرية ولكني أدعو كل الناصريين أن يصبحوا ناصريين حقيقيين.

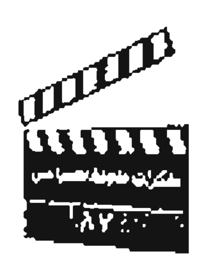
(ماجدة الصباحي)



لقد استطاعت الفنانة الكبيرة ماجدة أن تبلغ الصفوف الأولى بسهولة، وأصبحت في فترة قصيرة لا ممثلة مشهورة فحسب بل منتجة سينمائية تقع عليها مسئولية النهضة السينمائية ومستقبل الفيلم المصري. واستطاعت بفضل الظروف التي تجمعت لها أن تصبح ذات يوم اسماً له قيمته الفنية وله قيمته التجارية في ميدان التوزيع، وهي بعد كل هذا فنانة مثقفة.. ذكية.. لبقة، وتلك صفات تتسبب في مشقة الصحفي الذي يتحدث إليها، فهي تزن السؤال ثم تزن الإجابة قبل أن ترد على السؤال، وماجدة، على رغم الأدوار التي قامت بها. وعلى رغم مرور سنوات طويلة، فمازالت حياتها كتابا مقفولاً ومليئاً بالأسرار والتفاصيل، ولا يعرف أحد عنها شيئاً، فلم أكن أتوقع أن يكون لدى هذه الممثلة الناعمة الرقيقة، التي كانت دائماً تطل علينا كالقطة الرقيقة، رأي وموقف سياسي ولكنني اكتشفت ذلك بعد أن سألتها ماذا كان يجب أن يفعل الفنانون في المعركة؟ قالت.. كنت أقول دائماً في أعقاب الحرب الصهيونية على فيلمي "أين عمري"، والمعركة التي نشبت على الجبهة العسكرية المصرية، وأيضاً بعد الوحدة العربية والتحالف الذي نشب بيننا وبين الشعب السوري الشقيق.. كنت أقول في هذه المعركة التي تخوضها القومية العربية



ضد المبادئ الهدامة دفاعاً عن كياننا واستقلالنا وحيرتنا، ومحافظة منا على ما أحرزناه من مكاسب وانتصارات يريد الاستعمار الجديد الذي يدق أبواب عالمنا العربي حرماننا منها.. في تلك الأيام التي تشهد ما يدور في العراق من وحشية وقسوة وإرهاب على أيدي الشيوعيين نفاجأ بقرار من حكومة عبدالكريم قاسم بمنع عرض الأفلام العربية في القطر الشقيق، ولهذا كان ينبغي علينا نحن العاملين في الحقل السينمائي أن ننظم صفوفنا ونوحد جهودنا وراء رائد القومية العربية وباعث نهضتنا حينها الرئيس جمال عبدالناصر مع جموع الشعب العربي دفاعاً عن قوميتنا. مجددين له البيعة معلنين له عن عزمنا الأكيد على السير خلفه وتحت قيادته في كل معركة يخوضها ضد الاستعمار وأعوانه وضد العملاء في إصرار وعقيدة وثبات، نقاتل في سبيل القومية العربية ووحدة العرب، وفي سبيل محاربة السيطرة والوقوف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، وأن نعلن استنكارنا الشديد لعهد الديكتاتورية والإرهاب في العراق. واستنكار محاولات حكام العراق الشيوعيين العملاء للقضاء على القومية العربية والتنكيل بالمنادين لنصرة القومية العربية، كما نستنكر بشدة محاولات حكام العراق والشيوعيين لخلق أسباب الجفوة وبذر بذور التفرقة والشقاق بين شعب العراق وشعب الجمهورية العربية المتحدة، ونستنكر أيضاً محاولات الشيوعيين وجهودهم البائسة لفتنة الشعب العربي في العراق في دينه وعقيدته وانتهاك حرمة شعائره ومقدساته: ولعل أهم ما كان يجب أن يسهم به المنتجون السينمائيون وجميع العاملين في الحقل السينمائي هو إنتاج أفلام تخدم القضايا العربية: وتبين لجيلنا المعاصر تاريخ العرب وأمجادهم وكفاحهم ونضالهم ضد الطغاة المستعمرين في الماضي البعيد والقريب. وكذلك ننتج أفلاماً توضح للجماهير أهداف الاستعمار بأنواعه. الاستعمار التقليدي الذي عرفناه والاستعمار الشيوعي الجديد والاستعمار الصهيوني، وكنت أقول في حينها إني لعلى ثقة من أن جميع الزملاء المنتجين والعاملين في الحقل الفني سوف يجندون جهودهم لهذه المهمة القومية...

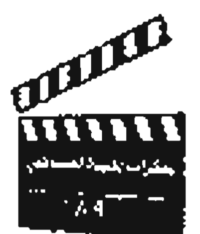


وكنت أملأ الدنيا برأيي هذا، وعندما عدت إلى مصر من مؤتمر برلين دعتني جامعة القاهرة في حفلها السنوي، الذي سيحضره الرئيس جمال عبدالناصر، لتكريمي بعد فيلم "أين عمري"، ولنشاطي الاجتماعي من خلال الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني التي كنت عضوة رئيسية في غالبيتها، وأيضاً لتكريمه بعض الفنانين وآخرين من الشخصيات البارزة في المجالات العلمية والأدبية والثقافية، وفور إعلان الصحف عن دعوتي لحضور الحفل وجدت وفداً كبيراً جداً يزورني في منزلي قبل الحفل بيوم واحد من مدرسي المرحلة الابتدائية، وكنت لا أعرف أي شخص منهم، ووافقت على مقابلتهم واستمعت إليهم، وعرفت الغرض من تلك الزيارة، وكانوا يطلبون مساعدتي في حل مشكلاتهم التي كانت تتلخص في الضعف الشديد في مرتباتهم، وعندما علموا بأنني سأقابل الرئيس عبدالناصر غداً قرروا أن يحملوني رسالة إليه بأن ينظر إليهم وإلى مشكلة ضعف المرتبات، وعلى الفور وافقت وودعتهم وأنا أحييهم، وعندما قابلت الرئيس في اليوم التالي وجاء دوري طلبت أن ألقي كلمة، وكان غير مسموح لأحد بذلك، فوافقوا وصعدت فوق المسرح وقلت وأنا يملؤني إحساس بالفخر والعزة "هكذا يقبلك الكبير المخلص دائماً أبداً، هكذا بفكرك الثاقب الخالي من الشوائب. وهكذا أردت وتريد دائماً يا سيادة الرئيس المحبوب أن تجتمع كلمة الأمة العربية على الفضيلة، ففيها ثبات أمرهم وبقاء قوتهم واستمرار وحدتهم.. وهكذا بفخر نحن الفنانين بمنزلتنا في كفاحنا عند رئيسنا المفدى فلقد شعر الفنانون جميعاً أن جهودهم الهادفة في عهد وثبتنا التاريخية المجيدة لها مكانتها وتقديرها، فكانت دائماً كلمات السيد الرئيس عن الفنانين وتقدير رسالتهم وفنهم الطاهر نوراً أضاء لنا الطريق وألزمتنا بالمثابرة على الكفاح لتطوير مجتمعنا والرقي به وبلوغ ما نطمح إليه من الآمال الكبار، وإنا يا سيادة الرئيس لن نبخل بجهد ولن نتوانى عن بلوغ مثل هذه الأمنية بل نضع كلماتك العزيزة ونصائحك الغالية نصب أعيننا فنطبع في ضمير النشء أصول الفضائل ونرقى بعواطفه ليشب عضواً نافعاً في جسم المجتمع..



فلقد بات واضحاً في كلمات سيادتكم أن للخروج عن جادة الصواب آثاراً وبيلة على الخارج نفسه، وكذلك على المجتمع الذي ينتمي إليه أو يعمل ويعيش فيه. وأنه لابد له من حساب إن عاجلاً أو آجلاً.. وكذلك أردت في حديثك يا سيادة الرئيس أن تجزي العاملين عمل الخير فيرتد إليهم خيراً، وأبناء الفن اليوم يشكرونك على اهتمامك بهم.. كما أننا نعاهد الله أن نظل متابعين لنصائحك ملتزمين جانب الخير ومبتعدين عن جانب الشر لندفع مجتمعنا الديموقراطي الاشتراكي التعاوني إلى الكمال ونسير به في طريق الثورة الباسلة طريق الرقي والرفعة.. كما أنني أحب أن أوجه لك رسالة خاصة حملني بها إليك وفد زارني أمس من المدرسين الإلزاميين راجين منك أن تنظر بعين الأب والقائد إلى الضعف الشديد الذي مازال يصيب مرتباتهم التي لا تكفي احتياجهم الشخصي والعائلي، فيا سيادة الرئيس إن مستقبل أبنائنا يشكل ويقوم من خلال المدرس الذي إذا لم ننظر إليه بما يحتاج فلن ينظر إلى أبنائنا بما يحتاجون لكي يصبحوا جيلاً يعتمد عليه، فيجب حفظ كرامة المدرسين حتى يمارسوا عملهم بدون وهن أو ضعف أو عدم قدرة على العطاء.. وفي ختام كلمتي أدعو الله من صميم فؤادي أن يجزيك عن هذه الأمة العربية عامة وعن فئة الفنانين خاصة خير الجزاء والله معك دائماً وأبداً.. عاشت الأمة العربية وعشت لها علماً ونوراً".. انتهى خطابي ووقف الجميع وضجت القاعة بالتصفيق الحاد، وتقدمت من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر فوقف ومن حوله وهو يبتسم ومد يده ليصافحني وسلمني وسام التكريم، وقال "كلمة رائعة وأهلاً بيكي يا ماجدة"، ووعدني بأن يلبي نداء من حملوني الرسالة، وكنت أتوقع أن يقاطعني أحد أثناء إلقائي الكلمة ولكن لم يفعل أحد أو ينوموني ولكن الجميع رحب بما قلت وأسعدهم أني تكلمت...

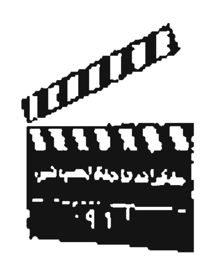
ولقد أثبت لي هذا التكريم أنني أسير على خطى ناجحة. ثم فوجئت بأن فيلم "أين عمري" يطلب للعرض في لبنان، وسافرت لحضور حفلة العرض الأول هناك، وكان من المقرر أن تسافر والدتي معي ولكن جواز سفرها تأخر فاضطررت



للسفر قبله بيوم. وفي مساء اليوم نفسه قامت الحرب واستقبلني اللبنانيون بحفاوة ولكني في الصباح التالي تصفحت الصحف فقرأت خبر اعتداء جديد شنته القوات الإسرائيلية على مصر، وكان هذا أيضا في عام ١٩٥٦ وفي أعقاب الاعتداء الأول.. ولم يهزني الخبر في شيء فأنا أعلم أنه ما من مرة حاولت فيها إسرائيل الاعتماد على حدود الهدنة حتى ردت خاسرة وتلقت درسا قاسيا. كان الجديد في الخبر أن اليهود اعتدوا على حدود مصر. ولهذا فإن الدرس الذي سيتلقونه من الجيش المصري في هذه المرة سيكون أشد قسوة. وشغلت اليوم كله بانتظار الأنباء التي جاءت تقول إن قوات مصر الرئيسية تحركت نحو الجيش المعتدي، أما الطيران المصري فإن نسوره ملكوا ناصية السماء وسيطروا على جو المعركة سيطرة كاملة. وازدادت الأنباء خطورة في اليوم الثالث، وكنت امتنعت عن الذهاب إلى السينما منذ اليوم الثاني لأن عملية تجميع الأخبار أهم عندي، وجاءت أنباء اليوم الثالث فأكدت أن اعتداء هذه المرة ليس ككل مرة. لأن الإنذار البريطاني الفرنسي يدل على أن في الأمر شيئاً من التدبير المبيت.. وبدأ العدوان الثلاثي على مصر من جانب العدوان والمتآمرين، وانسحب جيش مصر من سيناء لإحباط خطة المعتدين، وكان أول ما فكرت فيه أن أعود إلى مصر لأشارك زملائي الفنانين في المعركة ولأكون إلى جانب مواطني مصر وهم في محنة الاعتداء وشرف الجهاد. ذهبت إلى المطار فقيل لي أن الطائرات على الاستعداد للسفر، وحجزت تذكرة على أول طائرة وقيل لي بعد قليل أنها ألغت رحلتها إلى القاهرة. ولاحت طائرة أخرى قيل إنها ستتجه إلى القاهرة فحجزت عليها مقعداً.. ثم أبلغت بعد أقل من ساعة أنها لن تذهب إلى القاهرة.. وعشت ساعات مع الطائرات التي تنوي الرحيل ثم تعدل عنه، وقضيت ثلاثة أيام في هذه المحاولات أخرج من الفندق كل يوم ومعي حقائبي وأعود وأنا أجر أذيال الخيبة. وفي المطار وفي التاكسي وفي الفندق أسمع أنباء عن مصر وأعرف أن العدوان اشتد عليها وأن أبناء وطني صاروا أبطالا يصمدون في كل مكان ويقاتلون في كل شبر من الأرض، وسمعت عن باخرة في طريقها إلى مصر فحجزت تذكرتين



لي ولوالدتي التي كانت بصحبتني في خلال رحلتي إلى الميناء، وصعدت وأنا أكاد أطير من فرط فرحتي. وكان في الباخرة التي تلقب بـ"انتوريال" أكثر من مائتي راكب مصري، وما أن أوغلت الباخرة في مياه البحر الأبيض المتوسط حتى تلقت تحذيراً من غواصة حربية بريطانية فرضت الحصار على المنطقة بأن تعود من حيث أتت وحرصاً على سلامتنا لم يجد القبطان أمامه إلا العودة، وكانت المظاهرات بدأت في بيروت عنيفة كالعواصف تملأ الشوارع والميادين وتشق عنان السماء بالهتافات لمصر ولجمال عبدالناصر. وفي كل مكان أذهب إليه أقابل بالتصفيق والهتاف لمصر، فإن رؤية مصري واحد في أي مكان في لبنان كان كفيلاً لبدء مظاهرة.. وعشت مع المعركة بجميع أعصابي وأحاسيسي أتتبع الأنباء وأغمض عيني لحظات وأتصور ما فعله المعتدون بنا وأفتح عيني فأرسم صورة لما فعلناه بالمعتدين. فإن ما فعلناه بالمعتدين صار حديث العالم كله، وإن عبدالناصر أصبح رمزاً للعروبة وللتحرير من الاستعمار الأجنبي، وإنني لأسمعه يتردد ثناءً على وقفة مصر في مظاهرات بيروت التي لا تنقطع ولا تهدأ، وقد سجلنا أحاديث وطنية في الإذاعات العربية أذيعت وقوبلت بالاستحسان، وقد قيل لي إن السفر على طريق دمشق ميسور فذهبت إلى دمشق ولكنني عرفت أن السفر عن طريق بيروت أيسر فعدت إلى بيروت وقد امتلأت يأساً من العودة إلى مصر إلا بعد أن تهدأ الأحوال وتستقر الأمور، وبدد اليأس برقية تلقيتها من أخي توفيق، وكان يعمل في حكومة الكويت وأرسلها بعد أن سمع عن محاولاتي وفشلي، فقال إنني قد أستطيع السفر عن طريق الكويت فجدة فالسودان فمصر وطرت إلى بيروت وفي اليوم التالي وصل إليها عبدالحليم حافظ وسيد كريم ورمسيس نجيب وتحرينا أمر الطريق الذي رسمه أخي في برقيته فعلمنا أنه متاح وسهل، وسافرنا وشاهدت في الكويت شعوراً عظيماً نحو مصر وقضيتها. فقد انتظمت في الشوارع مظاهرات عنيفة لم يستطع الإنجليز منعها، وما علت هتافاتها واتسع نطاقها صدرت الأوامر إلى قائد البوليس لكي يفرق المتظاهرين بإطلاق الرصاص عليهم، ولكن قائد البوليس رفض تنفيذ هذا الأمر قائلا إنه لا

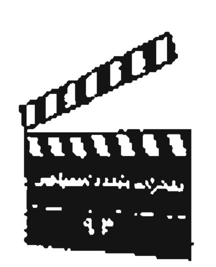


يستطيع أن يضرب مواطنين يهتفون للشقيقة الكبرى مصر. ولقد سجل تاريخ المرأة في الكويت صورة خالدة في تلك المظاهرات فإن النساء ما كدن يسمعن الأمر الذي صدر إلى قائد البوليس حتى ألقين الحجاب وتقدمن الصفوف ليفدين الرجال ويهتفن معهم من حبات القلوب "تحيا مصر"، وفي كل شارع سرت فيه كنت أسمعها عبارة واحدة تدوي من الحناجر "الله أمر والشعب قال ما في بطل غير جمال"، والمتظاهرون دائماً يحملون صورة جمال الذي كان أملهم وأملنا وأمل العروبة جميعاً، وقد قاطعت الكويت الأجانب مقاطعة فعالة، والصور الدالة على ذلك "الباعة الوطنيون لا يبيعون شيئاً للأجانب، الباعة الوطنيون لا يبيعون سلعة أجنبية، الأجانب ممنوعون من التجول أو مجرد الظهور خوفاً على حياتهم"، وأذكر أيضاً أن ما معنا من مال كان ينفد يوماً بعد يوم واضطررنا إلى التقشف وقد كنت أستطيع الاقتراض ولكني لم أرغب في ذلك، ولذلك فكرت في أن أكون فرقة مسرحية صغيرة أجمع لها عدداً من الممثلين ويخرجها المخرج أحمد ضياء الدين "وكان في بيروت معنا"، ويغني فيها عبدالحليم حافظ ونكسب منها ما ننفق منه على أنفسنا.. إنني ألخص ما لمسته خلال هذه الرحلة التي مكثتها في الأقطار الشقيقة خلال أزمة مصر في الخمسينات من القرن الماضي، فأقول إن الحب كله والإخاء كله والود كله وأن العروبة، كما قال جمال: كانت كلاماً يقال فأصبحت فعلاً: أصبحت أمراً واقعاً، فازت في المعركة وخرجت منها مرفوعة الرأس عالية البنيان، وفي النهاية عدت إلى القاهرة واستقبلني والدي وأخي مصطفى في المطار..

ومن المفارقات العجيبة التي حدثت بعد عودتي إلى القاهرة هي أن أقام صبحي فرحات المنتج الكبير في حينها حفلاً ودعاني فيه، وبعد رفض تام سمحت لي الأسرة أن أذهب للحفل وكان معي إحدى صديقاتي وسكرتيرتي الفلسطينية "ميري" التي لا تفارقني أبداً، وهذا كان شروط أخي مصطفى حتى يسمح لي بالخروج، وكانت حفلة رائعة وكبيرة: وأثناء الحفل وجدت صبحي فرحات

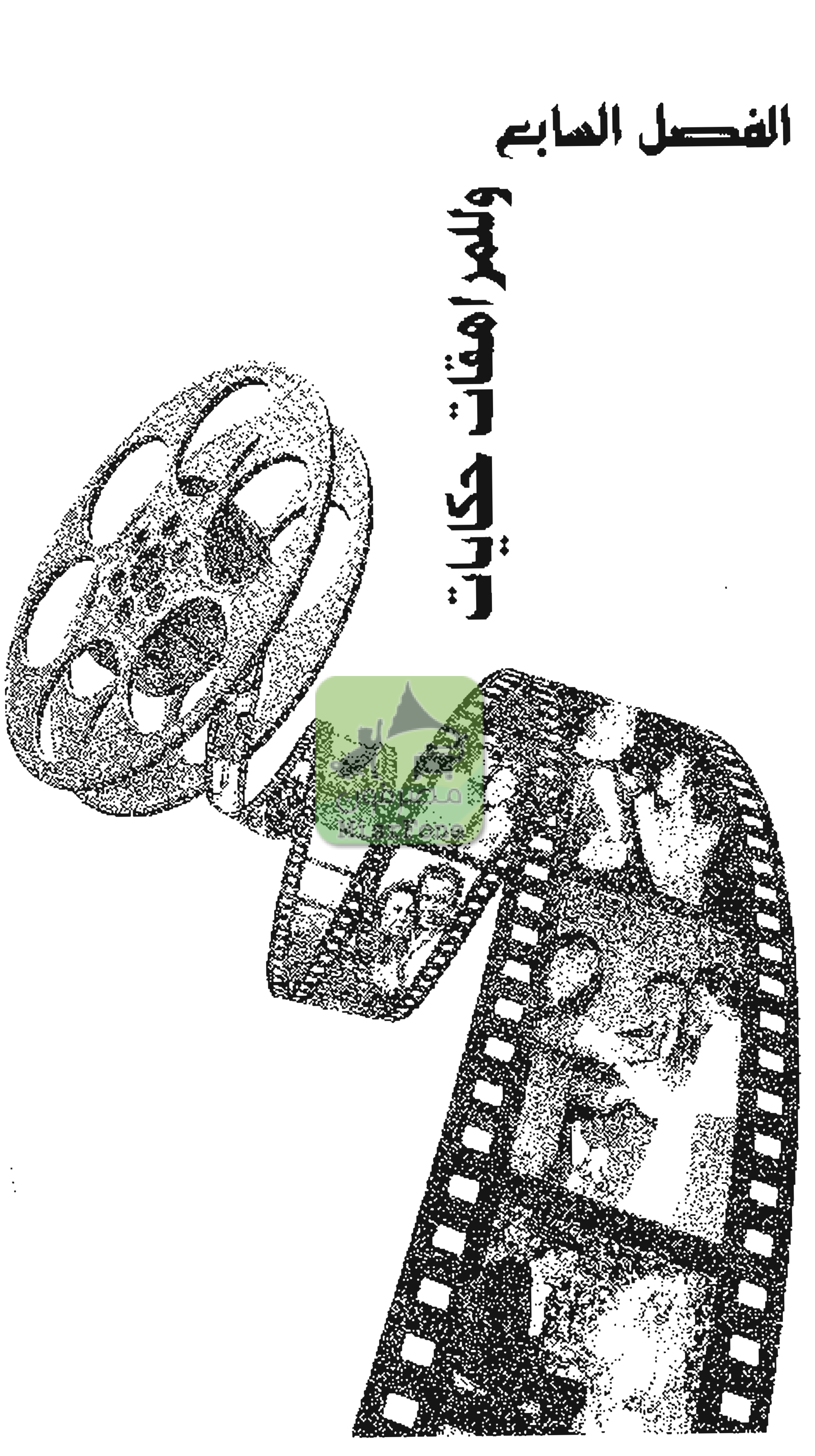


يقدم لي أحد أقاربه الموجودين بالحفل، وهو شاب سوري ولطيف ومهذب.
ووجدت صبحي يقول مازحا "إيه رأيك قريبي هذا يريد الزواج منك ويرغب في التقدم لخطبتك"، فابتسمت ولم أرد بأي تعليق، فوجدته يقول "أنا موافق وهو يتمنى ذلك.. إيه رأيك"، وأيضا لم أعلق، وكان هذا الكلام على مسمع من بعض الصحفيين الذين كانوا موجودين بالحفل، ولكن انتهت الحفلة ونسيت هذا المزاح الكريه، وبعد يومين وجدت أن مانشيتات الصحف خرجت تقول "خطوبة ماجدة لشاب سوري"، وكانت هذه الأخبار بتصريحات من صبحي فرحات، ولم يكن الموضوع له أي أساس من الصحة، مجرد شائعة، وكان نتيجة ذلك وقعت ثورة عارمة في البيت والعائلة، ولامني أخي مصطفى قائلاً "هذا نتيجة حضور الحفلات والاختلاط الذي دائماً أحذرك منه"، واتصلت بصبحي وقلت له بعصبية شديدة "كيف تجرؤ أن تدلي بمثل هذه التصريحات وهي ليست لها أساس من الصحة، ثم أنا لم ولن أوافق ولا أريد الارتباط الآن، وإني عندما أنوي الارتباط سيكون من مصري، وليس هذا تقليلاً من أي جنسية أخرى، ولكني أفضل أن يكون أبنائي مصريين حتى النخاع، وأرجو أن تنسى صداقتنا للأبد، لأنك تسببت لي في أزمة عائلية لا أعرف على أي وضع ستنتهي"، وأغلقت الخط في وجهه، ولكن هذا الموضوع خلق ضجة صحفية وإعلامية ضخمة جداً، اشتعلت وتأججت بمحاضر شرطة لحادثة وقعت وتسببت في تحطيم "مطعم جروبي"، نتجت عن وقوع صدام بين مجموعة من الشباب السوريين الذين أثاروا غيرة مجموعة أخرى من الشباب المصريين بقولهم "لم تجد ماجدة شاباً مصرياً يصلح لها ووجدت أن ترتبط بالشاب السوري"، ولكني أرسلت تكذيباً للصحف ووضحت الأمر لهم ونفيت كل ما جاء على لسان صبحي فرحات..
ولكن ربما أيضاً كان السبب الرئيسي في هذه الضجة الصحفية هو السؤال الذي كان يردده الجميع، خصوصاً الصحفيين بشكل كبير جداً "لماذا لم تتزوج ماجدة حتى الآن..؟!".



الفصل السابع

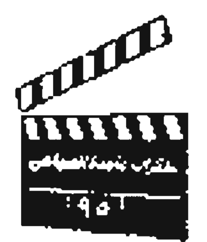
وللمراهقات حكايات



- مراهقتي الحقيقية ظهرت داخل "المراهقات"، وجلست مع أطباء نفسيين، ودخلت مستشفى الأمراض العقلية للتجهيز للشخصية...
- تقبلت اعتذار سعاد حسني بسبب "حسن ونعيمة"، وأسندت الدور إلى زيزي مصطفى، الذي كان انطلاقتها الحقيقية...
- كنت أنوي إصابة رشدي أباظة بالأذى بسبب تعطيله الإنتاج وتأخره عن التصوير...
- مدير السجون ورئيس أخي في العمل فقد الوعي لمشاهدته مشهد الانتحار، وأخي قال لي "أنا اترفدت!!" ووزارة التربية والتعليم أصدرت نشرة لجميع المدارس تحث الطلبة والطالبات على مشاهدة "المراهقات"...
- أم كلثوم شاهدت الفيلم بسينما "ريفولي" وسط الجمهور متخفية، وحلمي رفلة هاجمني بسبب النجاح الكبير للمراهقات...
- "المراهقات" كشف الستار عن مخطط دعائي صهيوني ضد الأفلام العربية، فرفضوا عرضه في فرانكفورت لأنه يحمل لقب "الجمهورية العربية المتحدة"...

- اعترف أني عصبية جداً لأني بنيت نفسي بنفسي دون أن يقف أحد إلى جواري
- قاسيت كثيراً حتى أستطيع أن أقدم أدواري التي يستمتع بها الجمهور
- من يحيطون بي الآن لم يشاهدوا المر الذي قاسيته في سبيل بناء نفسي بمفردي
- إن مسئولياتي وكثرة أعمالي دخلا كبيراً في عصبيتي ومن عيوبي العناد فأنا عنيدة ومتمسكة برأيي حتى ولو كنت خطأ.

(ماجدة الصباحي)



كان تحريك شفتيها بالنسبة لي يُظهر أنوار جواهر من الذكريات تنير لي ظلمة الماضي.. وتجعلني أستطيع رؤية جدران سراديب الحياة التي رحلت منذ سنوات طويلة عن الفنانة الكبيرة ماجدة.. ولكن مازالت ذكريات هذه السنوات راسخة فوق جدران تلك السراديب الكبيرة والضخمة التي لا يستطيع أحد أن يمتلك مفاتيحها إلا "ماجدة" وحدها.. هي التي سمحت بدخولي سراديب الذكريات لأكون أول زائر يكشف ما بداخلها من كنوز لا تُقدر بثمن وكل الأثمان بالنسبة لها لا تكون وتتلاشى.. وتمنيت أن أموت وأدفن فيها حتى لا أغادرها، فلم أرَ في حياتي مثل صورها، ولم أستنشق نسيماً يحمل عبيراً كالذي كان يداعب حاسة الشم عندي، وللحظات شعرت - مجرد شعور - بأنه يمكن أن يكون هذا هو عبير الجنة.. ابتسمت ماجدة عندما سمعت مني هذا الوصف وهي تحمل بيدها اليمنى شمعة تنير لي بها الطريق، وباليد الأخرى نسخة من سيناريو فيلمها الشقي "المراهقات".. وأجلستني على مقعد واكتشفت أنه يمكن - وأقول يمكن - أن يكون هذا هو عرش بلقيس الذي لم يره أحد سوى النبي سليمان.. وراحت تقلب في صفحات السيناريو وتقول... للمراهقات حكايات كثيرة ممتعة وشيقة، ففكرته كانت لي وذلك لأن حياتي كانت تتشابه كثيراً مع ما جاء بالفيلم، فجزء كبير من هذا الشكل كنت أعيشه داخل منزلنا، وبهذا الشكل كنت أعامل من أخي مصطفى الصباحي.. فبعد النجاح الرهيب الذي حققه "أين

عمري" أصبح من الصعب الاختيار الثاني، فأهم من النجاح المحافظة عليه، وبدأت أبحث عن قصة أو فكرة، واستقريت بعد رحلة من التفكير على أن أقدم حياة المراهقات، واقترحت الفكرة على السيناريست الكبير علي الزرقاني، وهو كان صديقاً للعائلة ويزورنا كثيراً، ومطلع على جزء كبير من حياتي، وبعد أول مجموعة مشاهد قرأتها قلت له مازحة "هو أنت عامل قصة حياتي"، فضحك وقال هذا ما أريده، لكي تنجحي في هذا العمل بالتحديد يجب أن يكون به جزء كبير من مراهقتك الشخصية لتقدميها بأحاسيسك الطبيعية، وطلب مني أن أقص عليه جزءاً كبيراً من مرحلة المراهقة في عمري، واقتنعت بما قال، وقصصت عليه روايات عدة مررت بها، كان أهمها ما أتعرض له في البيت من ضغوط، والحبيب الذي لا أجده أبداً، فخرجت على الشاشة شخصية مصطفى الصباحي في أخي، الذي جسدها عمر ذو الفقار كما هي تماماً على الحقيقة، تحمل العنف الشديد الذي يدفعه الحب والخوف عليّ دائماً، وخرجت شخصية والدتي بها مبالغة بعض الشيء عن أمي في الحقيقة التي كانت ذات شخصية قوية، ولكنها ليست بكل هذا العنف، وخرجت شخصية أبي الحنون عليّ دائماً في شخصية جدي، الذي مثلها حسين رياض، فأثناء التصوير كنت أشعر أنني في بيتي وبين أفراد أسرتي، وكانت كل انفعالاتي طبيعية جداً ولكن بقي ما جاء بالفيلم من شخصيات مثل رشدي أباظة والآخرين لم أمر بها في حياتي الطبيعية بهذا الشكل، ولكن كانت هذه هي الحبكة السينمائية لعلي الزرقاني.. وبعدما اقتنعت بالسيناريو والحوار كنت عرفت طريقي في الإنتاج، فكان "المراهقات" ثاني أفلامي إنتاجاً وتمثيلاً مشتركاً، وذهبت لشركة "الشرق" الذين خاضوا معي نجاح التجربة السابقة ورحبوا بالفيلم ولكنهم اعترضوا على أحمد ضياء الدين، وقالوا نريد عز الدين ذو الفقار، أو صلاح أبو سيف لأنهما كانا أسماء ضخمة جدا في هذا التوقيت، ولكنني صممت وتمسكت بأحمد ضياء الدين الذي لم يكن يقل عنهم في شيء وأقنعتهم بأنه الوحيد الذي أتناغم معه ولن أستطيع



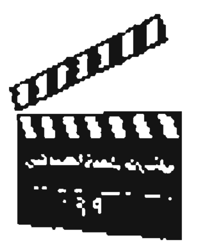
أن أعمل مع أحد غيره. وهذا ليس تقليلاً من الآخرين ولكن يجب أن أعمل مع مخرج يفهمني جيداً واقتنعوا برأيي وجلست مع "المخرج" نتناقش حول شخصيات الفيلم، وكانت اختياراتنا واحدة، واتفقنا على أن رشدي أباظة هو الوحيد القادر على القيام بهذا الدور، فكان رشدي هو نجم الساحة الفنية في هذا التوقيت، وكان له اسم فني وتجاري هائل، وطلبت رشدي تليفونياً وحددت له موعداً، وجاءني المكتب لنتفق ووافق على الفور، وحددت له أجراً "ثلاثة آلاف جنيه".. وبدأ المكلفون بتجهيز الديكورات يعدون لذلك، وبدأت أنا أعد لشخصيتي بالفيلم وأجالس كثيراً فتيات في سن المراهقة حتى أدرس مشاكلهم بعناية، وأزور بعض الأطباء النفسيين لأتعرف منهم على الطبيعة النفسية لمن تدخل في مرض نفسي بسبب الكبت والحب، وزرت مستشفى الأمراض العقلية لأراقب تصرفات وأفعال فتيات يعانين من نفس ما تعاني بطلة الفيلم، فعادةً الناس تضحك لمشاهدتها مجنونة لكني كنت حريصة ألا يضحك عليّ أحد المشاهدين، لأنه لو ضحك فلتبت الدراما والأحاسيس من النيلة، فكانت جولة شاقة ومتعبة، وفي أحد الأيام وجدت الساعي يدخل عليّ مكتبي ويقول لي إن هناك فتاة تحضر كل يوم وتنتظرني وأنه فشل في إقناعها بأني مشغولة فقلت له دعها تدخل، ومن أول نظرة إلى هذه الفتاة أدركت أنها تريد العمل بالسينما، وكانت جميلة وبريئة، قالت لي إنها طالبة بالجامعة وأنها تريدني أن أمنحها الفرصة في أحد أفلامي، سألتها ولماذا حضرت إليّ أنا بالذات، أجابت بصراحة لتجنبي ذئاب السينما.. رأيت فيها استعداداً وحيوية فقررت أن أسند إليها دوراً في فيلم "المراهقات"، وكانت تلك الفتاة هي نادية النقراشي، التي أصبحت مذيعة بعد ذلك..

وأيضا كانت سعاد حسني فتاة لطيفة جميلة، وكانت مازالت وجهاً جديداً لم تقدم على التمثيل من قبل، واتفقت معها على أن تجسد دور صديقتي في المدرسة،



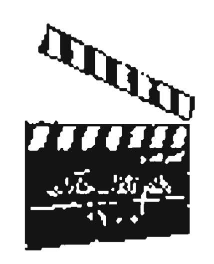
وكانت فرحة جداً بهذا الدور، ولكنها فجأة بعد مرور بضعة أيام اعتذرت لي
لأنها تعاقدت على فيلم "حسن ونعيمة" أول أفلامها مع محرم فؤاد، وقبلت
اعتذارها وتمنيت لها النجاح والتوفيق، وأسندت الدور إلى ممثلة كانت جديدة
أيضاً "زيزي مصطفى" التي برعت في تأديته، وكان انطلاقتها الحقيقية...
وبدأنا تصوير الفيلم، وفي أحد مشاهده تتطلب الاستعانة بالمطر الصناعي، وكان
المشهد عبارة عن لقاء مع رشدي أباظة تحت المطر، وخرجنا لتصويره واستعنا
بالمطافي في عملية المطر الصناعي، وبدأ التصوير ونزل المطر، ففوجئت ببوليس
النجدة يحضر، وتبين أن أحد الجيران الموجودين بالمنطقة التي يتم التصوير
فيها "رجل أجنبي"، يهوى تربية الدواجن، اتصل بالبوليس واستنجد به من
المطر الذي أغرق الدواجن، وجاء البوليس فوجد أن المطافي هي التي تتولى عملية
المطر الصناعي، وانتهت المشكلة والأزمة بغسل بيوت الدواجن...

ومن الأشياء التي كانت تغضبني كمنتجة للفيلم، ومسئولة عن التكلفة التي
تنتج عن تعطل التصوير، أن رشدي أباظة كان دائم التأخير عن مواعيد التصوير
لارتباطه بأعمال فنية أخرى، فكان الجميع يكونون جاهزين ويضطرون للانتظار
حتى يأتي رشدي، وهنا فاض بي الكيل فحصلت على قطعة كبيرة من العصي
"شومة" ومسكت بها جيداً وجلست وراء باب الاستوديو أنتظر حضوره، وفي
نيتي أنه لن يمر اليوم إلا وهو مصاب مني حتى لا يتأخر مرة أخرى عن مواعيد
التصوير، ولكن كان العمال جميعاً يحبونه لأنه كان كريماً معهم ويمازحهم
دائماً، فعندما حضر وقبل أن يدخل الاستوديو قالوا له عما أنوي أن أفعله به،
وما كان منه إلا أنه جاء إلى المكان الذي أنتظره فيه ببطء شديد ودون أن أشعر
به وحملني فجأة وعنوة ودخل بي مسرعاً إلى الاستوديو وأنا أصرخ وأطالبه بأن
ينزلني حتى لبى صرخاتي وأنزلني في وسط الاستوديو أمام المخرج والمصورين
والعمال، وهو يضحك بشدة قائلاً "لقد حملتك بالعصا حتى أرى كيف تستطيع
١٦ ملي مثلك أن تضرب رشدي أباظة الذي لا يقوى أحد على ضربه"،



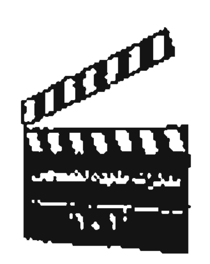
وضحكت وغاص الجميع في موجة من الضحك الهستيري، فأخذته ودخلت الحجرة وقلت له "رشدي.. أنت تتأخر عن التصوير وأرجو أن تعي حجم الدور الذي تؤديه وابتعد عن طريقتك المادية التي تجعلك تقدم على أكثر من فيلم في وقت واحد"، وكان يتقبل حديثي ويعتذر لي عن التأخير. وللعلم رشدي أباظة لم يكن مجرد زميل بالنسبة لي بل كان أخاً وصديقاً غالياً جداً إليّ فكان هو الوحيد من الوسط الفني الذي تجمعه صداقة بأسرتي، خصوصاً كلا من أخي مصطفى وتوفيق...

وانتهى تصوير فيلم المراهقات وعرض بسينما "ريفولي"، وكان إقبال الجمهور عليه كبيراً جداً، حتى أن حركة المرور كانت تتعطل بسبب الزحام على شباك التذاكر، وأثناء العرض كان الجمهور متأثراً بالمشاهد لدرجة أنه يبكي لمعاناة البطلة، وحدثت معجزة بالنسبة لي لم أكن أتوقعها أبداً وهي أن مدير السجن الذي كان يعمل به أخي مصطفى طلب منه أن يشاهد الفيلم وبالتالي جاء به مصطفى وكنت معهما ليشاهدا الفيلم. وكانت هذه أول مرة منذ أن بدأت التمثيل منذ عشر سنوات يشاهد مصطفى الصباحي فيلماً لي. فكنت سعيدة جداً بذلك، ولكن السعادة لم تكتمل، فعندما وصل الفيلم لمشهد قبلة رشدي أباظة معي رأيت الشرر يتطاير من عينيّ أخي مصطفى ولكنه صامت من أجل رئيسه الذي يشاهد العرض. ولكني لم أتحمل وملأني الرعب والخوف منه فاستأذنتهما بالانصراف، وخرجت خارج "اللوج" حتى أهرب من عينيّ أخي اللتي تلومني على هذا المشهد. ودخلت على صرخات أخي مصطفى الذي ظننت أنها بسبب ذلك المشهد لأجده يحاول أن يوقظ مديره من غيبوبة لحقت به نتيجة عدم تحمله مشاهدة مشهدي وأنا أقطع شرايين يدي لكي أنتحر، فقد اتضح أن مأمور السجن مريض بالقلب وأثر فيه المشهد لهذه الدرجة، وطلبنا الإسعاف وقال مصطفى موجه حديثه لي "أنا كده اترفدت". ولكن الله أنقذ



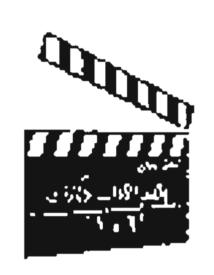
روح الرجل الذي ضحك بعدما استرد وعيه في المستشفى وقال لأخي بلغ "فنانة آل الصباحي تحياتي"، وغضب مصطفى مني كثيراً بسبب تلك القبلة ولكنه لم يتكلم معي بشأنها أو يعقب؛ فاكتفى بأن أخفى غضبه وهذا كان يؤلمني أكثر، وظللت أوجه يدي للسماء وأدعو على المخرج ورشدي طوال الليل.. وكان الاتفاق مع سينما ريفولي على عرض الفيلم في أربعة أسابيع فقط، ولكن بعد انتهاء المدة المتفق عليها وجدت أن الإقبال يتزايد فلم أرفعه من السينما وإدارة السينما قالوا "تعاقدنا كده سيصاب بالعجز بالتزاماتنا مع الشركات الأجنبية والمصرية الأخرى"؛ فقلت لهم "طالما أنه مازال هناك إقبال عليه فلن نستطيع رفعه و إلا سيؤثر سلباً علينا كجهة منتجة وعليكم كجهة عرض تنفرد بكل هذا الإقبال والنجاح"، واستمر عرض الفيلم ٢٤ أسبوعاً، وكانت مدة العرض هذه أكثر مدة عرض استمر يعرض فيها فيلم بدار العرض في تاريخ السينما المصرية، وحقق "المراهقات" إيرادات ضخمة جداً لم أر مثلها من قبل؛ وكانت الأموال تأتي من السينما معبأة في "أشولة" ولكني لم أحصل منها على مليم واحد ولا أعلم أين ذهبت كل هذه الأموال، فقد كنت لا أفهم شيئاً في الحسابات ولا أعرف شيئاً عن حساباتي، وكان أخي مصطفى لا يتدخل في أي شيء يخص عملي ونهبني الموظفون في تلك الفترة.. وكان مدير مكتبي ومسئول التوزيع فيه هو سعد صيام الذي أصبح أبناؤه بعد ذلك شركاء في بعض الأعمال التجارية مع أبناء صفوت الشريف وزير الإعلام ورئيس مجلس الشورى سابقاً...

وواجه الفيلم حرباً عدائية شرسة نتجت عن الغيرة والحقد من نجاحه الذي سحق كل أفلام تلك الفترة؛ ففي ذلك التوقيت كان تقريباً فيلم "سيدة القصر" لفاتن حمامة، يعرض في سينما "ميامي"، وكان إنتاج حلمي رفلة؛ وحدث أن منير رفلة نجل المنتج حدثت مشاحنات بيني وبينه بسبب أن إنتاجهم لا يستطيع الصمود أمام المراهقات....



ولكن نجاح الفيلم جعلني لا أنظر لمثل هذه المواقف التافهة، وكان من مؤشرات النجاح القوية حرص سيدة الغناء العربي، ذات الحنجرة الذهبية "أم كلثوم" على مشاهدته، وذهبت إلى سينما ريفولي متخفية وجلست في الصف الرابع بالصالة وسط الجمهور العادي. ورفضت أن تجلس في "اللوج" لما سمعته عن الفيلم وقرأت ما في الصحف عن الضجة التي صنعها وهي أخبرتني بذلك أثناء محادثة تليفونية بدأت عندما رن جرس التليفون ووجدت السكرتيرة تقول لي بفرحة شديدة "الست أم كلثوم علي التليفون" فقلت لها وكنت أعني من ذلك كثيراً "بدأنا، أكيد حد بيعاكس" فمسكت السماعة وقلت "ألو" فوجدت محدثتي على الجانب الآخر صوتاً غليظاً وضخماً يقول لي "عاوزة أكلم الآنسة ماجدة". فقلت في نفسي "مش معقول هذا يكون صوت أم كلثوم المغرد الجميل"، فقلت لها "حنبتدى بقى المعاكسات، نعم يا هانم أنا ماجدة"، فضحكت وقالت "مبروك يا ماجدة كنتِ مراهقة هائلة كالعادة سحرتيني واستمتعت واندمجت فأبكيتني وأنا قلت أهنيكي من كل قلبي". فوجدت في الكلام لهجة الجدية، قلت لها "أوعي تكوني أم كلثوم بجد". فضحكت "وقالت بجد أنا أم كلثوم"، فقلت "أنا مش مصدقة نفسي اتصالك نيشان وجائزة كبرى لفيلمي، فيكفيني أجمل كلمة إعجاب سمعتها من سيدة الغناء العربي" وعرفت بعد ذلك أن صوتها في الحديث مختلف عنه في الغناء...

ولقي "المراهقات" دعماً قوياً من الدولة عندما أصدر وزير التربية والتعليم في ذلك التوقيت منشوراً يوزع على كل المدارس يحث جميع الطلبة والطالبات أن يشاهدوا "المراهقات" لكونه فيلماً تربوياً هادفاً. ولكن الصحف هاجمت وزارة التربية والتعليم. والكاتب الصحفي الكبير أحمد بهاء الدين علق بسؤال للوزارة "لماذا منشور كامل ورسمي لفيلم المراهقات؟!". فردت الوزارة قائلة "لأنه فيلم يوضح الأضرار السلبية السيئة للتفرقة العنصرية بين الذكر والأنثى داخل الأسر".



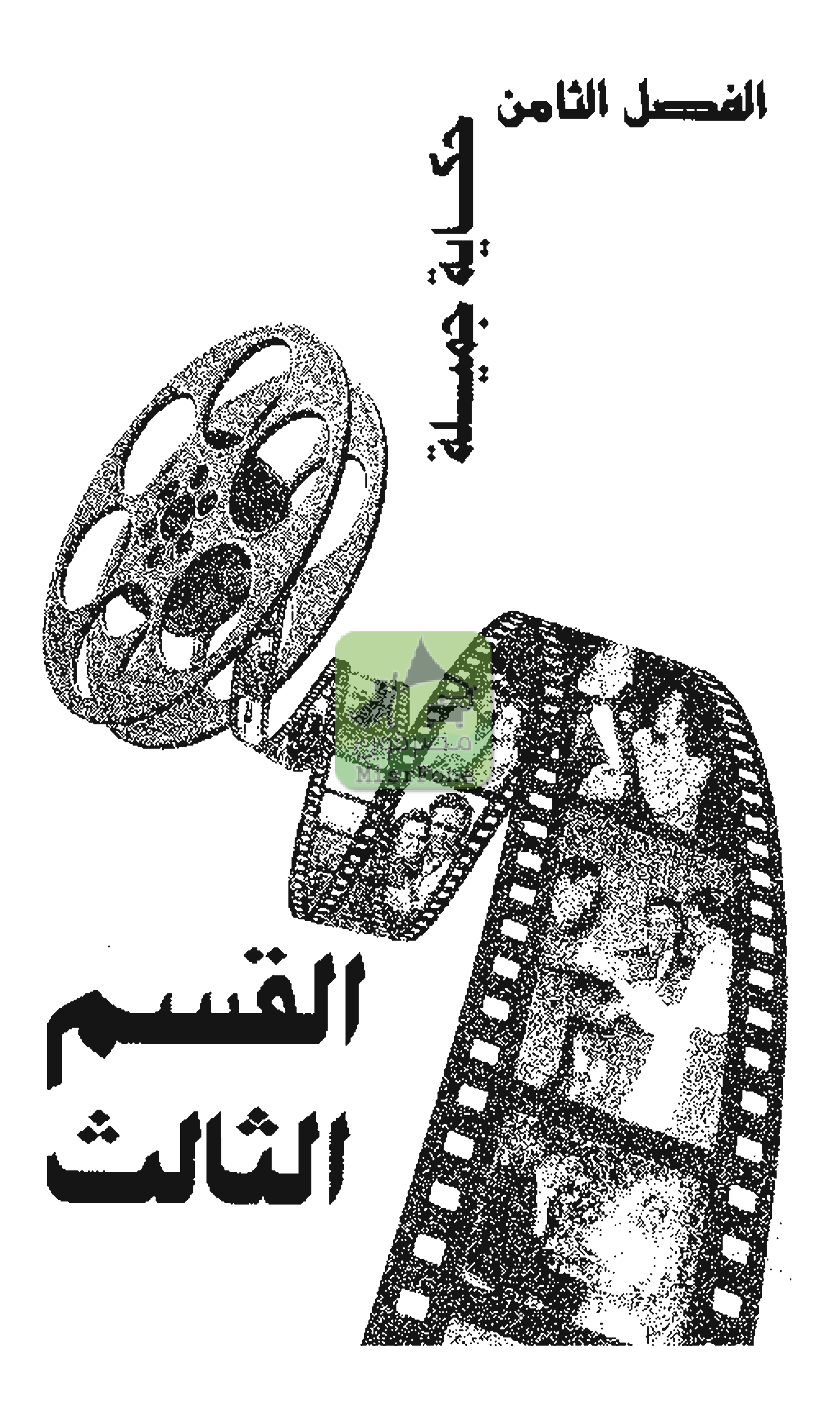
وسافر "المراهقات" وعُرض في جميع الدول العربية، وأيضاً في أمريكا، ودخل مهرجانات وحصلت على شهادة تقديرية، وسافر فينسيا وعمل ضجة إعلامية واجتماعية في الخارج لأن التفرقة العنصرية داخل الأسر لا توجد داخل الأسرة المصرية فقط بل توجد في دول أخرى كثيرة، ولكن أثناء التوزيع الدولي للفيلم كشف الستار عن مخطط دعائي صهيوني ضد الأفلام العربية، فقد حدث عندما بعث "المراهقات" لفرانكفورت وشحنت النسخ بعد توقيع العقد على عرضه في الصالات السينمائية هناك أن جاءني جوابهم بالرفض لأنه يحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة، وأنهم لن يعرضوه إلا إذا حذفت اسم الدولة "بلدي"، وبالطبع كان جوابي الرفض، وإذا كان صاحب بعض الصالات السينمائية هناك صمم على عرض الفيلم لكانوا أقفلوا صالاته السينمائية كلها. وفي أوروبا كان الصهاينة يحاربون الفيلم العربي في الستينات تحت شعار "ادفع دولاراً تقتل عربياً"، وهذا قلت لن يغزو الفيلم العربي أسواق العالم إلا بعد اتحادنا ووقوفنا في وجوه الصهاينة والصهيونية وتضييق الخناق على المغتصبين، فلقد بكيت في دمشق ولم أستطع أن أقاوم فنزلت دموعي عندما رأيتهم يعانقون الرئيس جمال عبدالناصر، وشاهدت الاستفتاء على الوحدة بعيني وسمعته بأذني كل ما كتبته الصحف ونقلته الإذاعة، ووجدت أنه لا يساوي شيئاً مما رأيته، فكانوا يهتفون من قلوبهم ويلوحون بأيديهم ويتدافعون لمصافحة الرجل الذي حقق لهم الحلم كانوا يزأرون "نحن فداؤك يا ناصر العرب"، لقد حدثني جدي وأنا طفلة صغيرة عن ثورة ١٩١٩ وكان يروي لي بفخر كيف اشترك مع الطوفان الشعبي الذي خرج يطالب برد حريته، وكم كنت أتمنى أن يرى جدي ما رأيته في دمشق، وأن يراه أحفادي أيضاً حتى يعرفوا ماذا ستفعل الوحدة بنا...



القسم الثالث

الفصل الثامن

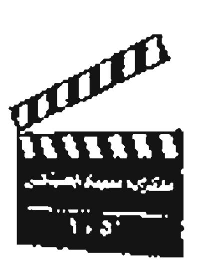
حكاية جميلة



- رحبت بانسحاب عز الدين ذو الفقار من إخراج الفيلم، ومزقت كتاباته لأنها كانت مؤلفة، وأنا أريد أن أقدم حقائق ....
- كنت أتناول المهدئات بسبب خلافاتي مع يوسف شاهين، وأبلغت المخابرات عندما سرق نيجاتيف الفيلم ليوقف التصوير....
- "سارتر وصديقته سيمون دي بوفوار ونزار قباني" تأثروا بالفيلم، وكتبوا عنه وعن جميلة....
- المخابرات العامة واللجنة العليا لتحرير الجزائر كانا يشرفان على التصوير بشكل يخدم نجاح الفيلم....
- استقبل الشعب السوفييتي فيلم "جميلة" بالتصفيق وبالهتاف وبسقوط الاستعمار والبصق على أعمال العنف الفرنسي في الجزائر....
- عشت في بيروت تحت حراسة مشددة، وتم تأجيل عرض الفيلم للتهديد باغتيالي من المتعصبين الفرنسيين والإسرائيليين....
- في الجزائر احتفلوا بي وبالفيلم ولم يحتفلوا بجميلة، وعرفت أنهم يرفضونها بسبب زواجها من محاميها الفرنسي، وصدمت عندما قابلتها....

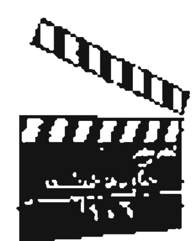
- سألوا الحق ذات يوم أين كنت في صولجان الباطل؟ قال كنت أنزع جذوره من الأعماق
- ولقد تعودنا أنه لا يكسب من يملك الحق وإنما من يحسن المساومة
- فالدنيا كوميديا لمن يفكر وتراجيديا لمن يشعر
- فكل شيء ثابت سوى "التغيير" فهو الثابت الوحيد ولا يتغير .

(ماجدة الصباحي)



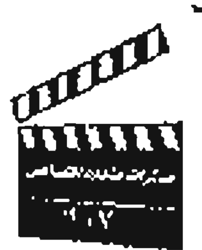
"تفكير ناضج في سن صغيرة.. حسن اختيار لما تقدمه للجمهور.. البحث وعدم الكلل أو الملل.. جرأة في اتخاذ القرار والتنفيذ".

كل هذه صفات كانت ولا تزال تتمتع بها ماجدة الصباحي، تلك الفنانة التي غاصت بأعماقها في بحار ومحيطات الفن المصري الأصيل الذي فرض ثقافة ولغة الشعب المصري على المنطقة العربية وجزء كبير من العالم.. كانت حريصة دائما على صناعة فيلم ناجح، خصوصاً بعد أن أصبحت أفلامها وأول خطوات إنتاجها يقبل عليها الجمهور وتتصدر الشباك والإيرادات، وهنا تستكمل ماجدة مذكراتها قائلة... في تلك المرحلة بدأ يشغلني كثيراً أن أقدم على إنتاج فيلم ضخم عن قصة حياة عمر الخيام، وهو "عالم فارسي ولد في مدينة نيسابور في إيران عام ١٠٣٨ وتوفي فيها ١١٣١، فيلسوف وشاعر تخصص في الرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ والخيام: هو لقب والده، حيث كان يعمل في صنع الخيام، وهو صاحب رباعيات الخيام المشهورة".. وأرسلت مدير مكتبي سعد صيام إلى الهند لأتواصل مع بعض شركات الإنتاج الهندية ليدخلوا في شراكة معي في الإنتاج؛ لأن عمر الخيام سيحتاج إلى ميزانية إنتاج ضخمة جداً لكونه سيتم صناعته ليتناسب عالمياً مثل فيلمي "عمر المختار والناصر صلاح الدين"، وجرت المفاوضات بيني وبين الشركات الهندية لمدة حوالي ستة أشهر، وكان سيقوم بدور البطولة أمامي الممثل الهندي الكبير، الذي كان يتمتع بشعبية عالمية



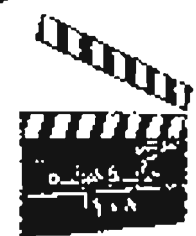
آن ذاك: "أبي تبت شان"، ولكن تعطل المشروع بسبب بعض الخلافات التي نشبت بيني وبين سعد صيام بسبب حسابات، المكتب وترك العمل لدي والتحق بالعمل في التلفزيون بقطاع الإنتاج والتوزيع، وأرسلت لأخي توفيق وكان يقيم ويعمل في الخليج "الكويت"، في ذلك التوقيت، وطلبت منه أن يحضر ليعمل معي ويسوي لي حساباتي لأني أشعر أنني نُهبت، وطلب مني الانتظار حتى يصفي أعمالا كان مرتبطا بها بالخليج، التي استغرقت حوالي ستة أشهر، وفي هذه المدة كان يجب أن يأتي شخص يتولى إدارة المكتب والتوزيع، فعينت "تاكفور أنطونيان" الذي أنتج بعد ذلك فيلم "خلي بالك من زوزو"، وهو أرملي الجنسية، وتولى إدارة المكتب حتى عاد أخي توفيق من الخارج، وأعطى جميع موظفي المكتب إجازة وأغلق المكتب حتى يُعيد هيكلته ومراجعة حساباته، ووجد أن العمل بالشركة كان يسير بشكل عشوائي وغير منظم، وأعاد "تاكفور انطونيان" لتولي إدارة الإنتاج والتوزيع، وأصبح هناك رقابة من أخي توفيق دائمة على أعمال المكتب، وشعرت بالاطمئنان بعد ذلك لوجود أخي بجواري، وتحدث إليَ تاكفور حول أن أجدد عرضي مع الهند لإنتاج "عمر الخيام" ولكني كنت تراجعت عن الفكرة لكونها ستكون مكلفة، والشركات الهندية قالت إنها ستساعد بنصف التكلفة فقط، وكان عليّ أن أدفع النصف الآخر، وهذا لم يكن في إمكاناتي حين ذاك، وفكرت في إنتاج موضوع فيلم ديني عن نزول القرآن وكيف كان تأثيره على البشرية ولكن لم ينفذ أيضاً، فكنت دائماً أحاول أن أصل لأفضل المواضيع التي ستهم الناس وتحمل رسالة للمجتمع، ولهذا كنت مطلعة وأقرأ الأدب المصري والأدب العالمي، وكنت أتعاون في شراء الكتب مع محمد مدبولي، وكان لا يزال صغيراً ودائما يوجد في ميدان سليمان باشا...

وأصبحت بعد ذلك مشغولة بكل كياني في البحث والتحضير لموضوع فيلمي الجديد، وعُرض عليّ مواضيع كثيرة ولكني كنت أتراجع عنها في اللحظات الأخيرة لأني لا أشعر بأنها ستضيف لي، ووجدت أنني مشغولة طوال الوقت



سواء بالتحضير أو الإنتاج أو التوزيع. ففي سن صغيرة أصبحت مسئولة عن مؤسسة "ماجدة الفنية"، وهذا كان يحرمني من الاختلاط ويجعلني دائماً انطوائية، وكان نادراً أقابل زملائي وزميلاتي، وكانت مقابلاتنا إن تمت خارج الاستوديو تكون في حفلات رسمية والمؤتمرات والأعياد....

ووجدت أن اليأس أصابني لعدم عثوري على قصة جديدة أشعر بها، وفي صباح أحد الأيام. وأنا أتناول الإفطار وأتصفح الصحف، قرأت خبراً مستفزاً يقول إن السلطات الفرنسية المحتلة للأراضي الجزائرية قامت بالقبض على المناضلة الجزائرية "جميلة بوحريد"، وأعجبتني جميلة وكفاحها الذي أصبحت أتابعه وأداوم على قراءته يومياً من خلال الصحف، بل طلبت من بعض أصدقائي أن يأتوا لي بالصحف العربية والعالمية التي تنشر قصة جميلة، وما ترتب على عملية القبض عليها من تعذيب وإهانة، وتدخلات الصليب الأحمر لحماية جميلة من وحشية الفرنسيين، ومن هنا جاءت الفكرة: وقلت في نفسي "لماذا لا أقدم حياة جميلة في فيلم كرمز للنضال الوطني العربي ضد الاستعمار؟"، خصوصاً أن مصر كانت تساند الجزائر سياسياً واقتصادياً للصمود أمام المستعمرين الفرنسيين، وبالفعل جمعت كل ما لدي من صحف وذهبت بها إلى يوسف السباعي لتكون تلك مادة يكتب من خلالها قصة فيلم أحداثه حقيقية، ورحب السباعي وأثنى على الموضوع. ومن خلاله حصلنا من اللجنة العليا للجزائر، "التي كانت موجودة في مصر بأمر الرئيس جمال عبدالناصر"، على بعض المواد العلمية عن قصة حياة جميلة وما كتب عنها بالجزائر لتساعد السباعي في كتابة القصة التي بدأ يكتبها من خلال منظور اجتماعي، وعندما انتهى منها، لجأت بها إلى أعتى الكتّاب حين ذاك "نجيب محفوظ وعلي الزرقاني وعبدالرحمن الشرقاوي" ليكتبوا السيناريو والحوار، وأيضاً رحبوا بها، وفي فترة وجيزة استطاعوا إنهاء ما كلفتهم به، وبقيت المرحلة الأخيرة والأصعب التي واجهت فيها مشاكل كثيرة وهي المخرج والإخراج للفيلم.. اتفقت مع عز الدين ذو الفقار

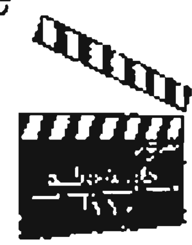


على أن يخرج الفيلم، وكان في حينها من كبار مخرجي مصر ويعيش بكيانه في أفلامه، وأعطيته نسخة من السيناريو ليقرأها، ولكنه غيرّ بعض المشاهد وكتبها بنفسه من خلال رؤيته الخاصة، وأراد أن يربط بين جميلة والجزائر وما يحدث في مصر، وعندما أبلغني باقتراحاته رفضت لأنه سيكون هناك خلل في بناء الفيلم بالفروق التي ستظهر جيداً على الشاشة بين فكرة المخرج وفكرة كتّاب السيناريو، وفي جلسة مناقشة بيننا قلت له "لقد أتيت بكبّار الكتاب في مصر ليكتبوا السيناريو والحوار، فكيف تعترض على ما كتبوه، وما تحاول إقحامه عن مصر في السيناريو سيضعفه، لأنه لا يتناسب مع إيقاع الفيلم الذي يتكلم عن قصة كفاح الشعوب العربية من خلال كفاح الشعب الجزائري من أجل تحرير واستقلال أوطانهم، و"جميلة" ليست جميلة فقط بل هي رمز تمثل كل مناضلة ومناضل يدافع عن تراب وطنه، وجميلة قصة حقيقية، وهي تاريخ لا يمكن أن أسمح بتحريفه، فماذا تريد أن تقوله أكثر من هذا، فقال "أنا المخرج ومتمسك برأيي"، وأنا قلت "أنا المنتجة والبطلة ومتمسكة برأيي"، فقال "التعديلات الموجودة بالصفحات كذا وكذا قوية وستضيف للفيلم ولن أنفذ الفيلم إلا بها"، فمسكت السيناريو ومزقت الصفحات التي أشار إليها التي كانت مشاهد كتبها وأضافها للسيناريو وألقيت بها من شباك مكتبه، الذي كنت موجودة به وحدي، وكان هو معه اثنان من مساعديه، وفي حينها كان عز الدين ذو الفقار هرماً رابعاً لا يستطيع أحد أن يقف في طريقه أو يرفض له طلباً، فقال بعصبية شديدة "جرأتي على الإلقاء بكتاباتي من الشباك"، فقلت بقوة وفي تحدٍ "وألقي أي شيء يقف أمام هذا العمل الضخم الذي يجسد تاريخ وطن، ومزقت كتاباتك لأنها كتابات مؤلفة، وأنا معي كتابات كلها من الحقيقة تكفي لصناعة عشرات الأفلام وليس فيلم جميلة فقط"، وحدث الخلاف الشديد بيننا وانسحب من إخراج الفيلم في محاولة منه للضغط عليّ فكنت قد بنيت الديكورات على ثلاثة أفدنة من استوديو مصر وتكلفت الديكورات حوالي مائة ألف جنيه، وكان هذا رقماً



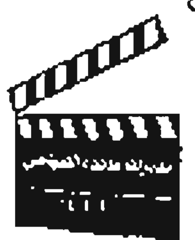
ضخماً في حينها، وكانت الديكورات هي بناء كامل لحي "القصبة الجزائري"، كما هو بالضبط على الحقيقة، وكما صورته لنا لجنة تحرير الجزائر بمرتفعات ومنخفضات والطرق والسلالم والمنازل..

وكنت قد أمرت بإخراج أمر بداية التصوير بعد خمسة أيام فظن عز الدين بأنني أقع تحت ضغط وسأنفذ ما يريد، أو أن ينسحب من العمل، ولكني فاجأته بقولي "وأنا أوافق على انسحابك لأني على حق وصوت الحق دائماً عالٍ"، فقال "أنت يا اللي لسه مطلعتيش من البيضة تقفي أمامي وتتحديني"، فقلت له "وأقف أمام جبل، من تكون أنت"، وهنا تظهر "ابتسامات وضحكات ماجدة، وتقول للشباب جرأة وحماسة"، ولم أفكر فيما سيحدث وما سيترتب على قراري هذا، خصوصاً أن فيلم جميلة كان ثالث إنتاج لي، ولكنني في الليلة نفسها اتصلت بيوسف شاهين الساعة الثانية ليلاً - على عكس ما كان يقوله يوسف شاهين في لقاء تلفزيوني بعد ذلك بأن عز الدين ذو الفقار هو الذي اتصل به ولكن هذا كان كذباً من يوسف - وطلبت منه أن يأتي لمكتبي في الصباح، وقد حضر وعرضت عليه أن يخرج الفيلم، وأعطيته نسخة من السيناريو، وبعد أسبوع عاد واستطاع أن يقنعني بتغيير بعض المشاهد، متعللاً بأنه لا يوجد شخص يولد وطنياً ورافع الراية، وأن الفيلم يجب أن يبدأ بشخصية البنت الهادئة المسالمة التي ليس لها علاقة بالعالم والحرب والنضال، ثم يحدث التحويل في شخصيتها تدريجياً، وكان الفيلم مكتوباً بطريقة أنها عادية ثم أصبحت وطنية فجأة، ولكن يوسف شاهين قال يجب أن تكون هناك أسباب لأن تكون وطنية، فالوطنية بذرة داخل الإنسان وأحداث يتعرض لها ويفجرها موقف، وجلس يوسف مع الكتّاب وتناقشوا ووافقوا على رأيه.. وكان يوسف شاهين في تلك الفترة مشهوراً بأن أفلامه لا يصيبها النجاح ولا يستطيع فهمها الجميع، ويرجع ذلك لكونه هو صاحب الفكرة وكاتب السيناريو والحوار والمخرج، ويتحول كل الفيلم من وجهة نظر شخص واحد، وبالتالي لا يفهمه غيره..



وذهبت لزيارة الفريق محمد عبدالغني الجمسي في مكتبه لأطلب منه بعض المساعدات التي تسهم بها القوات المسلحة في الفيلم، ورحب بشدة، وكان رجلاً كريماً ويتمتع بأخلاق النبلاء، وكلف مجاميع وفرقاً من الجنود لتكون معنا في التصوير وتمثل دور جنود الجيش الفرنسي وجيش الفدائيين، وكانت مساعدته لكون مصر كانت في ذلك التوقيت تعمل دائماً على مساعدة الجزائريين.. وبدأنا في التصوير، وبدأ الخلاف الأكبر الذي كنت أتوقعه ينشب بيني وبين يوسف شاهين، فكان كلما أجده فقد السيطرة على التعبير بـ"يتهته المعروفة" أعرف أنه يمارس تطبيق أفكاره البالية، فأقول له "أرجوك أريد فيلماً ناجحاً يشاهده الناس ولا أكون أنا جمهوره الوحيد"، وكان ضمن أسباب الخلاف الدائم أنني درست الإخراج وفن التصوير والعدسات، وهذا شيء يتسبب في متاعب للممثل والمخرج، فعندما وجدت يوسف يوظف الحركة داخل الفيلم لتتسم بالسرعة غير الطبيعية، بمعنى "أنني أسير بخطوات عادية ويشاهدني الناس وكأنني أهرول، ومثال ذلك عندما كنت ذاهبة في أحد المشاهد لنسف وتفجير مطعم للفرنسيين، فأنزل من السيارة وفجأة يجدني المشاهد أمام باب المطعم": فرفضت هذا الأسلوب في التصوير الذي يبتعد عن الواقعية، فمن الطبيعي عندما أذهب لأفجر مطعماً أسير بشكل طبيعي حتى لا يلتفت وينتبه أحد لما سأقوم به..

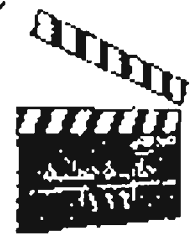
وأيضا ازدادت مشاكلنا، وكان شاهدها الراحل المصور الكبير عبدالعزيز فهمي، فكان يوسف يهتم دائماً بالعمق الموجود داخل الكادر الذي من الممكن أن يكون ضوءاً ينعكس على الشجرة، وهذا يكون في خلفية الممثل الموجود أمام الكاميرا، وبالتالي سيتحول وجه الممثل الموجود ليس له قيمة، فقلت له "يوسف أنا أرفض هذه الطريقة في التصوير، فأنت تصور بعدسة ٢٨ وهذه لا تظهر طبيعة وجه الممثل، ومن أجل هذا صوّر بعدسة ٣٥ وهي مناسبة وتظهر الممثل والعمق الذي يريده المخرج". ولكن يوسف صرخ وأعتبر هذا تدخلاً في عمله، ولكن لم أهتم لصرخاته، وذهبت لعبدالعزيز فهمي وأشرت له أن يصنع ما أريد، ولكن



يوسف أشار إليه بأن يصنع ما يريده هو، وهكذا تبادلنا على التصور مرات عدة حتى فوجئنا بأنه يصرخ وقال لنا "حرام عليكو أنا بشر جننتوني"، ووقع على الأرض فاقد الوعي وتوقف التصوير يومين ولم يعد التصوير إلا وأنا منتصرة، ووضعت العدسة التي أريدها، وطوال فترة التصوير كنت أتناول أدوية مهدئة بسبب خلافاتي مع يوسف شاهين...

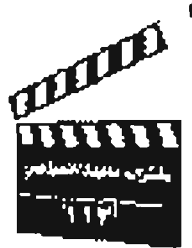
ضحكت ماجدة قائلة: كان يوسف يقوم بتمثيل المشهد أمامي، فكنت أرفض صارخة وأقول له "جو متمثلش قدامي حتى لا أفعل مثلك وأروح في داهية والناس تبطل تتفرج على أفلامي، فتبقى مصيبة لو اتكلمت زيك وبطريقتك". وحدث بعد ذلك أننا أخذنا القرار بعدم محادثة بعضنا البعض، وكان علي رضا مساعد مخرج، فكان يوسف إذا أراد أن يبلغني شيئاً يقول لعلي رضا "قول للآنسة تذهب في هذا الاتجاه وتقف"، فأقول لعلي قول للأستاذ "هي ليها طريقتها"، وحدث في أحد المشاهد، وكنا نصورها في الفيوم، وطلب يوسف أن تحضر له "بقر وجاموس"، ولم يكن هذا مطلوباً بالمشهد المكتوب، فاعترضت فقال لعلي "قولها بلاش تتكلم كتير وتسكت خالص"، فقلت لعلي قول له "ميتكلمش بهذا الأسلوب وإلا حجيبلوا رشدي أباظة"، فنظر إليّ في غيظ وصمت تماماً. وكان يوسف يخشى رشدي أباظة ويحترمه بشدة، وكان رشدي يقف بجانبي كثيراً، ولكن على رغم كل ما بيننا فكان يوسف عندما يعجب بمشهد لي فكان يقول بطريقته المعروفة "برافو برافو"، ولكن بدون أن أراه..

وفي إحدى المرات ونتيجة معارضتي الشديدة له قام يوسف شاهين بسرقة بعض نيجاتيفات بمشاهد مصورة للفيلم وأخفاها واختفى قائلاً "خليها تبحث عني"، وتوقف الفيلم، فذهبت لمبنى جهاز المخابرات العامة المصرية لأقابل فتحي الديب، وكان من كبار المسئولين بالمخابرات والمسئول عن الشئون العربية، ومكلف بالتضامن مع اللجنة العليا للجزائر لمتابعة الفيلم، وعندما وصلت



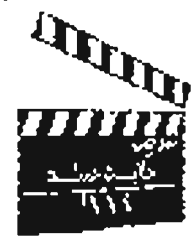
للمبنى وطلبت مقابلته وكانت هذه أول مرة أذهب لهذا المبنى، وسمحوا لي بالدخول وعبرت طرقات كثيرة ومختلفة حتى استقر بي الأمر في النهاية بحجرة مكتب وشعرت بالخوف الشديد وظننت أنني قبض عليّ، خصوصاً أنني جلست داخل هذه الغرفة وحيدة حوالي ساعة أنتظر، وفجأة دخل فتحي الديب مرحباً بي ويعتذر عن التأخير، وأخبرته بما فعله يوسف شاهين معي وطمأنني، وفي جلسة أخرى جمعت بيني وبينه وكانوا قد أتوا بيوسف وقالوا له "لا يصح ما حدث وأعلم أننا نتابع سير العمل بهذا الفيلم لما يمثل من أهمية بالغة، وماجدة مشكورة على ما تقدمه بعملها هذا ودون أي مساعده من أحد، فيجب أن تقف بجانبها كزميل، ويجب علينا جميعاً أن نساندها ولو معنوياً، وأنا أمرت بأن يكون هناك لجان من المخابرات واللجنة العليا لتحرير الجزائر يشرفوا ويتابعوا سير العمل بالفيلم حتى ينتهي"، وكان يوسف شاهين يجلس وهو مرعوب وأعاد لي النيجاتيف المسروق، وقال "ماجدة دي قوية"، فكنت دائماً لا أخشى أحداً وجريئة في عملي، ولكني كنت دائماً جبانة في حياتي الخاصة، وبالفعل انتظم العمل بالفيلم بعد ذلك، وأصبح يحضر للاستوديو بين الحين والآخر اللجان التي أشار إليها فتحي الديب واتضح بعد ذلك أن ضمن الذين كانوا يحضرون "إيهاب نافع" ـ وسنتحدث عنه بعد ذلك باستفاضة.

ومن أكثر المشاهد التي أرهقتني كان مشهد المستشفى، حيث قال يوسف شاهين لرشدي أباظة "ستقوم بالضغط على ذراعها الذي من المفترض أنه مكسور، ثم تقوم بلفها في غطاء السرير وتلقي بها على الأرض، فقلت له "نعم، أنت تريد أن تتخلص مني، خليك على طبيعتك وأخرج ما بداخلك"، ثم جاءوا بممثلة بديلة "دوبليرة" نفذت المشهد، ولكن أصعب المشاهد التي مررت بها، التي لم تمر بها ممثلة أخرى هي مشهد "قص الشعر"، فلم تكن باروكة أو ديكوراً بل قصصت شعري حقيقة من أجل أن أتقن دوري في "جميلة"، فلم يكن هناك بديل آخر، وقص الشعر كان للتطابق مع الشخصية الحقيقية لكونهم فعلوا بها هذا ضمن

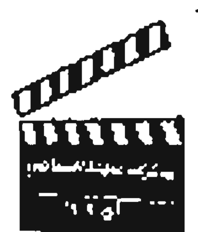


وسائل تعذيبها. وكنت على استعداد أن أفعل أي شيء لإتقان الدور الذي كان قادراً على تخليد، وللأبد، من يقوم به، ولكنني كنت أبكي كلما أنظر لنفسي بالمرآة بعد إزالته، وجلست في المنزل فترة كبيرة بعد ذلك. وكنت دائماً أضع على رأسي الأغطية. وأصبح عملية قص شعري هذه مضرب الأمثال للمخرجين وجميع الزملاء والزميلات بالوسط الفني، والفيلم كان أكبر بكثير من موضوع قص الشعر، والدليل على ذلك أن الجمهور لم يهتم بمعرفة مخرج الفيلم "وستجد على الإنترنت الآن كثيرين يتساءلون عمن هو مخرج فيلم جميلة؟". فجميلة ارتبطت بماجدة وهذا أغضب يوسف شاهين بشدة، وفي كل أحاديثه التي كان يجريها قبل رحيله، كان يتكلم عن كل أفلامه ولا يتحدث عن جميلة، وفي إحدى المرات سألوه عن "جميلة" قال لهم "نيس فيلمي ولكنه فيلم ماجدة". وإذا كان يستطيع مهاجمته فكان لن يتهاون، لأن يوسف شاهين كان يعشق ومغرماً بيوسف شاهين ونيس أي شيء آخر في العالم..

ولكنني كنت أريد المشهد الأخير في نهاية الفيلم يضم مجاميع مختلفة للثورة والثوار في العالم كله يتكلمون عن أزمة جميلة التي هي أزمة الجزائر، وكل الأراضي العربية المحتلة. وكل ضحايا الاحتلال في كل بقاع العالم، ولكن الدكتور ثروت عكاشة- وكان وزير الثقافة والإرشاد في حينها- أشار إلى أن يكون مشهد النهاية يضم مجاميع تظهر فيها أفريقيا فقط، ونفذ يوسف شاهين ما أراده ثروت عكاشة. وكنت ولازلت غير راضية عن هذا المشهد.. وانتهى تصوير الفيلم، وحضر فتحي الديب واللجنة العليا للجزائر، وأحمد بن بيلا، الذي أصبح بعد ذلك أول رئيس للجزائر في عام ١٩٦٢، لمشاهدة الفيلم في الاستوديو. ووقفوا في نهايته وأدى "ابن بيلا" ومن معه التحية العسكرية الجزائرية، وصفقوا بشدة وشكروني على تلك الهدية التي وثقت بها جرم الاحتلال الفرنسي للجزائر. وخرج الفيلم وعُرض في سينما "راديو" في عامي



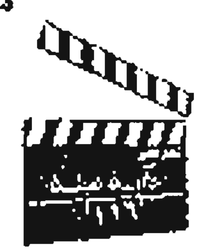
١٩٦٠ و١٩٦١، "وهو العام الذي تقرر فيه إعدام جميلة"، وقامت مظاهرات من داخل السينما، وعلت الهتافات لتحرير الجزائر، ولتحرير جميلة، ولتحرير الأوطان العربية، ولكن فيلم جميلة في النهاية أضاف لكل من عمل فيه وقدمهم وكأنه يكتشفهم للمرة الأولى، وتحول إلى فيلم عالمي، صنع المظاهرات في كل بلد عُرض فيه، خصوصاً "أفغانستان وروسيا"، وكانت فرنسا تحتج في كل بلد يُعرض فيها الفيلم، وكتب الفيلسوف العالمي الفرنسي الجنسية "جان بول سارتر" بعد مشاهدته للفيلم قائلا "إنني شاهدت هذه الممثلة الصغيرة الكبيرة التي انتزعت مني الدموع وأنستني جنسيتي"، وكتبت صديقته - التي كان يشاع أنها عشيقته - "سيمون دي بوفوار" الفيلسوفة الفرنسية عموداً في "الفيجارو" تمدح في فيلم "جميلة" الذي هز كيانها.. لقد تسبب الفيلم في ضجة عالمية كبرى وضغط على الرأي العام العالمي، فتراجعت فرنسا عن إعدامها، وكتب نزار قباني قصيدة شعر بعد مشاهدته للفيلم قائلاً "الاسم جميلة بوحريد.. رقم الزنزانة تسعونا.. في السجن الحربي بوهران.. والعمر اثنان وعشرونا.. عينان كقنديلي معبد.. والشعر العربي الأسود.. كالصيف، كشلال الأحزان.. أربعة للماء وسجان.. ويد تنضم على القرآن.. وامرأة في ضوء الصبح.. تسترجع في مثل البوح.. آيات مزقت الأوثان.. من سورة مريم والفتح.. اسم مكتوب باللهب.. مغموس في جرح السحب.. في أدب بلادي في أدبي.. العمر اثنان وعشرونا.. في الصدر استوطن زوج حمام.. والثغر الراقد غصن سلام.. امرأة من قسطنطينة.. لم تعرف شفتاها الزينة.. لم تدخل حجرتها الأحلام.. لم تلعب أبداً كالأطفال.. لم تغرم في عقد أو شال.. لم تعرف كنساء فرنسا.. أقبية اللذة في "بيغال".. أجمل أغنية في المغرب.. أجمل طفلة أتعبت الشمس ولم تتعب.. يا ربي هل تحت الكوكب.. يوجد إنسان.. يرضى أن يأكل أن يشرب.. من لحم مجاهدة تصلب.. أضواء "الباستيل" ضئيلة.. وسعال امرأة مسعولة.. أكلت من نهديها الأغلال.. أكل الأنذال.. "لوكوسف" وآلاف الأنذال.. من جيش فرنسا المغلوبة..



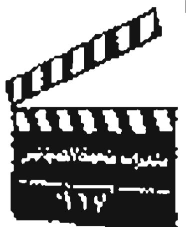
انتصروا الآن على أنثى.. أنثى كالشمعة مصلوبة.. القيد يعض على القدمين.. وسجائر تطفأ في النهدين.. ودم في الأنف والشفتين.. وجراح جميلة بوحريد.. هي والتحرير على موعد.. ومقصلة تنصب والأشرار.. يلهون بأنثى دون إزار.. وجميلة بين بنادقهم.. عصفور وسط الأمطار.. الجسد الخمري الأسمر.. تنفضه لسات التيار.. وحروق في الثدي الأيسر.. في الحلمة.. في.. في.. يا للعار.. الاسم جميلة بوحريد.. تاريخ قرون بلادي.. يحفظه بعدي أولادي.. تاريخ امرأة من وطني.. جلدت مقصلة الجلاد.. امرأة دوخت الشمس.. جرحت أبعاد الأبعاد.. ثائرة من جبل الأطلس.. يذكرها الليلك والنرجس.. يذكرها زهر الكباد".

ولكن كان "وحشية.. اغتصاب.. تعذيب.. انتهاك للحريات"؛ صفات يتمتع بها المستعمرون حتى لو أظهروا عكس ذلك في بلادهم. فلا ننسى أن أمريكا التي ترعى الحريات في العالم بنت دولتها على أنقاض الهنود الحمر: السكان الأصليين للأرض، وزعمت أنهم أرواح الشياطين الذين يمثلون الشر على الأرض، حتى يُقدم الجميع على قتلهم وإبادتهم دون رحمة، الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي تستكمل رحلتها مع فيلم جميلة لتمتعنا بتفاصيله التي للمرة الأولى تعلن عنها قائلة...

لقد أسهم فيلم جميلة من الناحية الفنية في أن يغزو وينافس الفيلم المصري بعد ذلك جميع أسواق العالم، وكان من المعروف أن الأفلام التاريخية والوطنية لا تعود بإيرادات، ولكن استطاع هذا الفيلم أن يغطي تكلفته، ولقد طلب فيلم "جميلة بوحريد" للعرض في كل أنحاء العالم، ورشح لجوائز عالمية؛ ولقد سافرت إلى العاصمة السوفييتية وقضيت ثلاثة أسابيع في حركة دائبة. شاهدت المهرجان السينمائي، وأثار عرض فيلم "جميلة" ضجة كبرى هناك، وقابلت كثيرا من الفنانين السوفييت وأعجبتني فكرة بيت الفنانين العجائز، وزرت استوديوهات موسكو وخالطت الشعب السوفييتي، وكنا ثلاثة "أحمد علي ناصف، مندوب



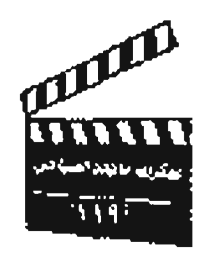
وزارة الثقافة والإرشاد، ويوسف شاهين المخرج، وأنا". وكان واضحا منذ اللحظة الأولى التي هبطت فيها أرض المطار أننا موضع حفاوة وتكريم من الشعب السوفييتي الصديق، لم يكن يضايقنا شيء سوى نظرات أعضاء الوفد الفرنسي، وكانوا خمسين عضواً يمثلون مائة عين تطاردنا في كل مكان نذهب إليه وتتطلع إلينا حائرة، وفجأة احمرت هذه العيون وتطاير منها الشرر وزدادت بحلقتها لنا عندما علمت أن فيلم "جميلة" المجاهدة الجزائرية سيعرض في المهرجان، واحتج أعضاء الوفد الفرنسي والسفير الفرنسي لدى السلطات السوفييتية على عرض الفيلم، ولكن هذه السلطات رفضت الاحتجاج، وسمحت بعرض الفيلم، وازدادت بحلقة العيون، وبدأ الحقد يأكل قلوب أعضاء الوفد الفرنسي عندما استقبل الشعب السوفييتي فيلم "جميلة" بالتصفيق وبالهتاف بسقوط الاستعمار والبصق على أعمال العنف الفرنسي في الجزائر!.. وانتهزت الفرصة وضربت ضربتي الثانية وأعلنت أنني سأكافح في سبيل دخول فيلم جميلة إلى قلب فرنسا نفسها وعرضه هناك، قلت إنني سأعمل كل جهدي بمعاونة محبي السلام في العالم لعرض الفيلم في باريس نفسها، وما كدت أنتهي من كلمتي حتى اقترب مني أحد أعضاء الوفد الفرنسي وللوهلة الأولى ظننت أنه سيقتلني، ولكني لم أخشه وصمدت شامخة أمامه فوجدته يقول لي "بالرغم من أني فرنسي إلا أن الفيلم هزني وأبكاني وجعلني أحقد على قلوب الفرنسيين القاسية، ولا يسعني إلا أن أنحني إليك تحيةً وتقديراً".. ولكن في موسكو لفت شيء انتباهي بشدة وتمنيت في وقتها أن يصبح لدينا مثله وهو "بعيد عن فيلمي وأحداثه"، وهو أن كل ممثل يصل سنه الستين يهرع إلى قصر عجائز الفنانين يعيش هناك بقية أيامه في جو مشبع بالراحة والرعاية، فالدولة تدفع له أجراً معيناً كل شهر يدفع منه الطعام فقط ولا يدفع الإيجار.. وفي البيت أشياء كثيرة تشجع على الحياة، "كل المتع"، المسرح والفكاهة والموسيقى والتسليات المختلفة، وبالقرب من القصر مستشفى كبير لعلاج المرضى من الفنانين، ومكتبة زاخرة بكل أنواع



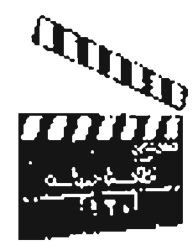
الكتب الدسمة، وللفنان العجوز بعد ذلك حق دخول كل دور السينما والمسارح وصالات الموسيقى دون أن يدفع مليماً واحداً، وبيت الفنانين العجائز قبلة لكثير من الزوار من طلبة المعاهد الفنية، وهناك يتلقى الطلبة دروساً خاصة في التمثيل على أيدي الفنانين العجائز. ويستمعون إلى محاضرات تحوي كل تجارب رواد القصر، ومن وراء هذه الدروس والمحاضرات يجني الفنان العجوز مبالغ طائلة تمنحها الدولة له. وتذكرت الممثل الكبير عبدالعزيز خليل وأنا أسمع هذا الكلام. وودت لو أن زملائي الفنانين كانوا معي ليسمعوا هذه القصة العجيبة حتى نطبقها في مصر.. ووجدت أيضاً في موسكو أن لديهم استوديوهات ضخمة وإمكانات التصوير والإخراج متوفرة بشكل ملحوظ، إنهم كانوا يحرصون على الإنتاج المشترك مع الدول الأخرى، وقال لي أحد المخرجين إن الفيلم السوفييتي عبر الحدود. ووجدت أن الناس في موسكو مغرمين بالموسيقى، يسمعونها في كل مكان في البيت والنادي وصالات الاستماع ونادرا ما تجد واحداً من الشعب السوفييتي لا يملك "بيك آب" ويحتفظ بمجموعة ضخمة من الاسطوانات، حتى أننا عندما سرنا في شارع يبلغ عرضه ستين متراً قال يوسف شاهين مازحا وضاحكا "إيه هو ده أحنا حنمشي في الحواري ولا إيه"، ولفت نظري وأنا أسير في شوارع موسكو أن الشباب من الجنسين يعملان بنشاط وهمة في رصف الشوارع وغرس الأشجار. بعضهم يحمل الأحجار على كتفيه والبعض الآخر يدق الأخشاب والابتسامة تعلو وجوه الجميع.. وشاهدت وأنا أسير إلى جانب يوسف شاهين منظر شاب وفتاة وقد غابا في قبلة حارة، ورجل البوليس على بعد أمتار منهما ولكنه لا يحاول أن يتدخل في منع القبلة، وقلت لرجل البوليس لماذا لا تتدخل، فقال الرجل على الفور ولماذا أتدخل، هل أمنع الحب، وعرفت بعد ذلك أنهم هنا يقدسون الحب طالما أنه ينتهي دائماً بالنهاية الطبيعية الزواج، والشاب في موسكو لا يقول للفتاة أني أحبك إلا إذا كان سيتزوجها..



ثم وجدت الفيلم مطلوباً للعرض في لبنان، وذهبت إلى هناك تملؤني الفرحة الشديدة لما صنعه الفيلم من ضجة عالمية وجهت أنظار الجميع إلى ما يحدث في الجزائر وإلى قضية جميلة، وذهبت إلى بيروت وقوبلت بحفاوة عالية، وتم التمهيد لعرض الفيلم ولكني فوجئت بأن حفلة العرض تُلغى خشية أن يتم تفجير دار العرض بسبب الفيلم بعد التهديد بذلك، كما أن حياتي أصبحت مهددة بالخطر نتيجة لمطالبات بعض السياسيين الفرنسيين بمحاكمتي وإعدامي، ثم أذنب في حق فرنسا والشعب الفرنسي الذي أصبح يحتقره العالم كله بسبب فيلم "جميلة"، وما أن أصبح الفرنسي يخُرج هويته في أي مكان في العالم حتى يشار إليه بأنه مغتصب واستعماري، والدليل جميلة بوحريد، وبالفعل تأكدت الحكومة اللبنانية أنني مهددة بالاغتيال من بعض المتعصبين الفرنسيين، وكانت هناك شكوك في حينها أن ما يحدث بدافع من الإسرائيليين الذين علموا أنني نويت أن أتناول قصة حياة الأطفال الفلسطينيين الذين عاشوا الحرب والدم والدمار في فيلم سينمائي بعد جميلة، وخشوا أن يحدث لهم ومعهم ما يحدث للفرنسيين، وكلفت حراسة مشددة ترافقني دائماً طوال وجودي في لبنان "تدعى فرقة ١٦"، وعرض الفيلم، على رغم أنف الفرنسيين الذين احتجوا بشدة على عرضه، ولقي قبولاً هائلاً وخرجت المظاهرات في شوارع بيروت بعد العرض تنادي بسقوط فرنسا وتحرير الجزائر.. لقد ظل الاحتلال الفرنسي قابعاً في الجزائر تحت دعاوى أنها ولاية له منذ مائة وثلاثين عاماً، ولكن صمود الشعب الجزائري ودعم الحكومة المصرية وفيلمي جميلة استطاع أن يساهم في تحريرها من قبضة الفرنسيين، وخرج الاحتلال من الجزائر بعد عرض الفيلم بثلاث سنوات، وكان "بن بيلا" أول رئيس للجزائر.. وظلت السفارة الجزائرية في القاهرة توجه لي دعاوى لحضور حفلات أعياد تحرير الجزائر على مدار خمسة عشر عاماً، وكنت أعتذر عن عدم الحضور في كل عام تأتيني الدعوة،

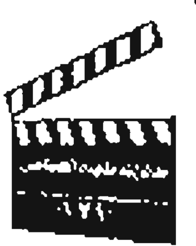


ولكن بعد كل هذه السنوات من الاعتذار زارني سفيرهم ومعه وفد من الخارجية ليعرف السبب وراء هذا الاعتذار الذي طال، فقلت له "أنتم توجهون كل عام دعاوى للشخصيات العامة في المجتمع المصري والفنانين وأنا من ضمنهم لحضور عيد تحرير الجزائر وأنا أرفض الحضور لأنه مع احترامي لكل من توجهون لهم الدعوات فأنا كنت أعتقد أنني لي مكانة خاصة لديكم، وهذا ليس تعالياً وإنما اعتزاز، لقد قدمت للجزائر الكثير بفيلمي "جميله" وأسهمت في تحريرها كما أسهم المجاهدون الجزائريون على الجبهة، وعرضت حياتي للخطر، فكنت أظن أنني عندما أدعى لزيارة الجزائر للمرة الأولى بعد تحريرها أن يكون هناك احتفال خاص بي وليس توجيه دعوة لي ضمن دعاوى كثيرة توجهونها كنوع من الدبلوماسية الخارجية لدولتكم.. لقد تأخرت دعوتكم التي كنت أنتظرها طويلاً"، فقال لي الرجل وبوجهه حمرة الخجل "لديك كل الحق، وسوف نعمل على رد جميلك علينا". وبالفعل تحقق ما كان يجب أن يتحقق منذ تحرير واستقلال الجزائر، وكانت أول مرة في حياتي أزور فيها الجزائر، وفي المطار فتحت لي قاعة كبار الزوار والفدائيات استقبلنني بالورد ووجدت أن معظمهم مشوهين بعاهات الحرب مثل "بتر الأرجل والأذرع"، وشعرت بقشعريرة جسدي وبكيت من التأثر بالمشهد وبكى المجاهدات والمسئولون الذين كانوا جميعا في استقبالي، ونزلت والوفد المرافق معي، وكانوا مجموعة كبيرة من الصحفيين والإعلاميين المصريين. في أفخم الفنادق، وكانت هناك حراسة دائماً معي وأسير في موكب كرؤساء الدول، وبدأ تنفيذ برنامج رسمي يومي زرت من خلاله كل المعالم السياحية والتاريخية بالجزائر، وكان من أهمها مقابر الفدائيين، وأقام كل وزير احتفالاً خاصاً بي وألقيت الخطب والكلمات ونظموا لي لقاءً تلفزيونياً، وقابلت رئيس الوزراء الذي شكرني وشكر مصر من خلالي على ما قدمته للجزائر، وأقاموا لي احتفالاً رسمياً ضخماً بالجزائر، وتم تكريمي

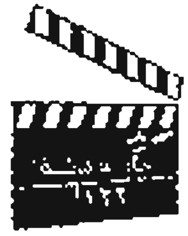


ومنحت درع المجاهدين الجزائريين، ولكني شعرت بشيء غريب جدا وهو أن الاحتفال كان بـ"ماجدة" وفيلمها وليس بجميلة وقصة نضالها. ولكني عرفت أن الخلافات نشبت بين جميلة والسلطات الجزائرية بعد زواجها من المحامي الفرنسي "جاك فير جيس" بعد خروجها من السجن وبعد اعتناقه الإسلام .وكان من أشد المؤمنين بقضيتها وحق الشعوب في تقرير مصيرها فكان عقبة في وجه الاستعمار الفرنسي الذي كان يريد إعدام جميلة ودفن قضيتها للأبد، ولذلك جاء الزواج من تأثير قصة حب نشبت بينهما، وهذا ما اعتبره الجزائريون خيانة من كبرى مناضلتهم فغضبوا عليها ونحوا الإعلام عنها، وكان هذا سبباً في أنهم لا يعرضون فيلم جميلة بالتلفزيون الجزائري.. وذهبت بعد ذلك وزرت منزله وقابلت جميلة بوحيرد وابنتها عندما جاءوا لزيارتي بالفندق، وكنت أتوقع بأنها مستهلكة ومصابة نتيجة ما تعرضت له من تعذيب، ولكني فوجئت بأنها في صحة جيدة وكانت هادئة شكرتني على فيلمي الذي أسهم في الإفراج عنها وتحرير الجزائر، وكانت مقابلة صادمة بالنسبة لي منها، فكانت عادية وكانت المقابلة رسمية جداً. وقضيت بالجزائر عشرة أيام وعدت للقاهرة وأنا سعيدة جداً لأن ما أردته حدث...

عندما عُرض "جميلة" في أوروبا حقق النجاح الذي حققه في كل بلدان العالم، وقد شاهده مخرج أمريكي وأعجب بأدائي واتصل بهيئة الاستعلامات بالقاهرة وطلب منهم الوصول لي لأكون بطلة أحد أفلامه الأمريكية التي يعد لها. ولكن المسئولين بالهيئة لم يبلغوني إلا بعدها بستة أشهر، وكان الوقت قد فات، ووجد المخرج بطلة بديلة يدخل بها تصوير الفيلم.. ولكن من أجل فيلم جميلة ضحيت بفرصة من ذهب كانت أمامي لأصبح إحدى نجمات هوليوود، بدأت أحداثها عندما جاء المخرج العالمي "سيسيل دي ميل" إلى القاهرة في عام ١٩٥٦

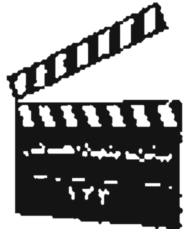


لإخراج بعض مشاهد من فيلمه الضخم "الوصايا العشر" وطلب من مرافقيه أن يهيئوا له اجتماعاً مع ممثلة عربية، وقدم المرافقون صوراً للممثلات العربيات. ولكن عندما شاهد صورتي فإذا بالمخرج الأصلع العجوز، الذي تلمع عبقريته من وراء نظارته، يهتف وجدتها، واندفع المرافقون يبحثون عني وأسرعوا في تحديد موعد معي للمخرج الأصلع الذي كانوا يصفون عبقريته السينمائية فوق كل عبقرية فنية.. وكان الاجتماع في فيلتي وفوجئ سيسيل دي ميل عندما اكتشف أنني أجيد التحدث بالفرنسية كبنات فرنسا، وهتف يا للمفاجأة لقد قيل لي إن أكثر ممثلات مصر لا يجيدون اللغات الأجنبية وها أنا أرى العكس تماماً، ثم ظل يتأملني من فوق لتحت ومن تحت لفوق وأنا أقول في نفسي ماذا يفعل هذا الرجل لعله مجنون وليس مخرجاً، وأخيراً قال لي سأكون صريحاً معك، فبرنامجي أن أخرج فيلماً ملوناً كبيراً تكون بطلته إحدى فاتنات الشرق، ولست أجاملك إذا قلت لك إنني لم أجد فتنة الشرق في امرأة كما وجدتها عندك، ثم قال لي عندما تتخذين قراراً بالسفر إلى هوليوود ستجدين تذكرة سفر بالطائرة من القاهرة إلى هوليوود بانتظارك، وستجدين سيسيل دي ميل أيضاً بانتظارك ليهيئ لك جو الظهور في فيلمه الكبير، وانحنى قليلاً وطبع قبلة حانية على يدي، وخرج من بيتي بعد أن أودع في خيالي حلماً من أمتع وأجمل الأحلام التي يمكن أن تراود فتاة وهبت نفسها للسينما، وقررت بعد ستة أشهر السفر إلى هوليوود ففوجئت بالعدوان الاستعماري على بور سعيد، وقررت مرة ثانية بعد ذلك ولكن شغلني إنتاج فيلم جميلة بوحريد، وبعد الانتهاء من الفيلم ونجاحه قررت لمرة ثالثة، ولكنني خشيت أن يكون سيسيل دي ميل نساني ونسي الموضوع، واتصلت به أسأله هل نسيت مشروع فيلمك الذي تريد له بطلة شرقية، وكان جوابه أبداً لم أنس وأنتظرك، واتخذت القرار الأخير فعلاً وقمت بتجهيز حقائب السفر، وقبل أن أقطع تذكرة الطائرة المتجهة إلى أمريكا كان سيسيل دي ميل قطع تذكرة إلى



العالم الآخر، وتلقيت مكالمة تليفون يبلغوني فيها أن موعدي مع المخرج قد لغي للأبد، وانطوى الحلم الذي ألهب خيالي في حينها..

وبعد ذلك عقد المؤتمر الوطني في عام ١٩٦٢ وقد كنت ضمن أعضاء المؤتمر وألقيت خطاباً مازالت أحتفظ به حتى الآن لأني حريصة على أن يسجل في تاريخي ليتعرف الفنانون الشباب على مواقفي التي كنت أتخذها لصالح الفن والمجتمع، وهذا نصه "سيادة الرئيس السادة أعضاء المؤتمر، يشرفني بالنيابة عن نفسي وعن زملائي الفنانين أن نؤكد لسيادتكم إيماننا العميق بما حواه الميثاق التاريخي الذي أرسى الخطوط العريضة لمستقبل شعبنا الذي عاش يأمل في الوصول بكفاحه إلى أهدافه لتحقيق العدالة من كل الوجوه، وأحب أن أؤكد أنه في سبيل التطبيق والتنفيذ يجب أن يقوم تنظيم سياسي يتولاه في القمة رجال الثورة الذين خرجوا من صفوف شعبنا وحملوا الأمانة وآمنوا بمبادئ ثورتنا الكبرى وأفنوا زهرة شبابهم في سبيل تحقيق أهدافنا، ولا يمكن مطلقاً أن نعفيهم من هذه الصدارة ومن هذا الجهد مهما كان مضنياً. فقد ثبت تاريخياً أن صاحب الفكرة هو أقدر على تنفيذها وبعد ذلك يتم التخطيط السياسي الشعبي لخلق قيادات شعبية مؤمنة مخلصة وفية لمبادئها الاشتراكية داخل إطار الميثاق.. وإني نيابة عن أهل الفن أؤمن بأن خلق القيادة الشعبية في هذه المرحلة التاريخية التي يمر بها شعبنا هي الضمان الوحيد للسير في طريق بناء مجتمعنا الجديد الذي أرسيت دعائمه ويجب أن ننظر إلى القيادة في قطاع الفن باعتباره أخطر جزء من القيادة الفكرية للأمة، وهذه القيادة الفكرة في عالم الفن مسئولة عن مسايرة تحقيق كل فكرة وردت في الميثاق، وهذه المسئولية تحتم الالتفات إلى الفن كرسالة سامية تعمل جاهدة على إزالة الرواسب التي ورثها مجتمعنا من العهود الماضية، وتؤكد أن رسالة الفن هي رسالة السلام والمحبة، إن الفن هو صورة شعبنا وثورته، وهو مرآة تفكيرنا ووجداننا وانطلاقنا نحو المستقبل، ولذلك يجب أن يحمي مجتمعنا الجديد الفن



بكل وسيلة ممكنة، وهذه الحماية للفن هي في الواقع حماية للمجتمع الاشتراكي الجديد. وإنني كما أطلب حماية الفن أطالب أيضاً بأن يقوم الفن برسالته في مسايرة ثورتنا الاشتراكية. وذلك بأن يصبح مسئولاً مسئولية كاملة عن توعية وتوجيه الشعب في مختلف الاتجاهات.. سيادة الرئيس.. إخواني.. إنه من واجبنا نحن أعضاء المؤتمر أن نتدارس الوسائل الفعالة لإشراك الشعب جميعه في تحقيق أهداف الميثاق لتكون أمتنا خير أمة أخرجت للناس ونحقق رغبة الرئيس في مشاركة الشعب ليحمل مسئولية بناء المجتمع الجديد. وإنني كفنانة سأتدارس مع زملائي الفنانين وغيرهم الوسائل التي تجعل فن الشعب مسئولاً مع قادته أمام التاريخ لتحقيق ما جاء بالميثاق، وذلك بنشر الوعي الاشتراكي عن طريق الفن متعاوناً تعاوناً كاملاً مع أجهزة الدولة ومع الأجهزة الشعبية. وعلى رأسها الجهاز السياسي المزمع تشكيله الذي أقترح أن يكون بعض أعضائه بطريق الاختيار حتى نتمكن من مواجهة ما يعترض طريقنا بالأسلوب الثوري الحازم وحتى يصبح هذا الجهاز إدارة التوجيه السياسي الاشتراكي، وذلك في القطاعات كافة حكومية كانت أو أهلية.. سيادة الرئيس سبق أن كرّمت الفن في عيد العلم سنة ١٩٦٠ وقلت في هذه المناسبة إن الفن في حقيقة أمره مظهر حي للحرية والفن هو انطلاقة الإنسان الحر لاستكشاف نفسه.. ولذلك فإنني عاتبة على السيد الرئيس بكل صراحة. عاتبة لأن مشروع الميثاق هو وثيقة إنسانية تاريخية خطيرة لم يتناول رسالة الفن. أو يضعه في الصورة التي تكشف أهميته في بناء المجتمع وضرورة تفاعله مع أمتنا على نطاق أوسع في المرحلة المقبلة من مستقبلنا.. أنتم يا سيادة الرئيس أعلم بالدور الذي يقوم به الفن في تطوير مجتمعنا الجديد ومشاركته في كل معركة يخوضها الشعب من أجل حريته ومن أجل بناء كيانه.. سيادة الرئيس حضرات الأعضاء، إنني حين أتكلم عن الفن لا أراه وسيلة من وسائل الترفية ولكنني أراه أساساً من أسس الحضارة التي يقاس



بها تتقدم الشعوب.. وفقنا الله لخدمة الوطن ويحيا الشعب"....

فكان خطاب وصفه الجميع بأنه رائع مازلت أتذكره.. كما أنني أتذكر استدعائي لمكتب رئيس الوزراء، وكان في أعقاب القبض على الكاتب الصحفي محمد عودة بتهمة الشيوعية، وعندما ذهبت وقابلت رئيس الوزراء قال لي وهو يبتسم أنتِ بقيتي شيوعية يا ماجدة، فضحكت وقلت لماذا؟ فأخبرني بأنهم قبضوا على محمد عودة وأنهم يقبضون ويحققون على كل من كان يجالسهم، وكنت في حينها أحضر جلسات واجتماعات وندوات مع عودة وأصدقائه؛ ولكن لم يكن لي أي نشاط شيوعي؛ وتفهم رئيس الوزراء موقفي بعدما شرحت له ولم يتخذ أي إجراء ضدي...





القسم الرابع

الفصل التاسع

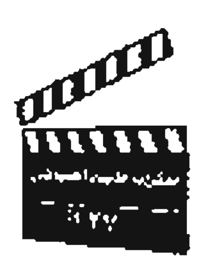
حكايتي مع الأفلام

- الأسرة رفضت رشدي أباظة عندما تقدم لي.. وعندما علم بموافقتهم على إيهاب نافع ظل يسكر طوال الليل وهو يؤكد أنه سيكسر عظامه....
- على رغم اعتذاري عن عدم الارتباط بيحيى شاهين، إلا أننا ظللنا أصدقاء وظل يطلبني في أفلامه وأطلبه في أفلامي....
- بعد تأميم السينما اختلفت مع رئيس جهاز السينما، فأشهر إفلاسي، والدولة لم تقف بجانبي، على رغم كل ما قدمته لها....
- قلت لوزير الثقافة ثروت عكاشة، رأيك ليس له قيمة، وكان من الأفضل أن يكون رئيس جهاز السينما يفهم قيمة الفن والفنان....
- لم أطلب دعم الرئيس عبدالناصر في حل قضية إفلاسي، على رغم أنه كان يعلم جيداً تضحياتي من أجل الوطن....
- لقبوني بآسيا الصغيرة، والمنتجة آسيا قالت أنتِ تذكريني بشبابي، وسيصبح لكِ مستقبل عظيم....



- ليس المال وحده قادراً على خلق السعادة
- فالمال لم يكن هدفاً لي في أحد الأيام بقدر ما كان وسيلة لاستمرار الحياة
- كان شغلي الشاغل هو عملي، ولكن الله كان يرزقني دائماً بالعمل الجيد
- لهذا أيقنت أن الله معي في محنة الإفلاس، وأنني أستطيع مواجهة دولة بكاملها.

(ماجدة الصباحي)



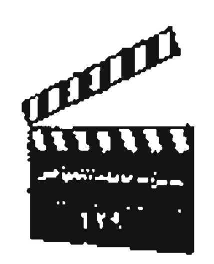
"النجاح" تلك الكلمة التي تبدو سهلة النطق وسهلة الكتابة، ولكنها بالفعل صعبة أشد أنواع الصعوبة عند تحقيقها، لا يمكن أن يتحقق النجاح لمن يتمنوا أن يحرزوه فقط، بل لابد من الاجتهاد والعمل ليل نهار من أجل الوصول إليه؛ كما أنه لابد لكل من يبتغي وجه وباطن ذلك المعنى أن يواجه الصعاب والمشكلات؛ "فما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا".. عن النجاح وعن الحفاظ عليه تقول الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي: أحد رواد السينما المصرية والرائدة الوحيدة المتربعة على عرش السينما الوطنية.. بعد النجاح الكبير الذي لم أكن أتوقع أن يصنعه فيلمي "جميلة" كان لابد أن أحافظ على الخطوات التالية له، فالصعوبة الحقيقية ليست في النجاح بقدر ما هي في الحفاظ عليه؛ وفي تلك الفترة سيطرت على عقلي فكرة مجنونة، وهي أن أقدم فيلماً جديداً عن الجزائر، ولكني سرعان ما تراجعت عنها بعد تفكير عميق، وكانت فكرته تدور في فلك "أن فتاة من أسرة جزائرية وقعت في حب شاب من أسرة فرنسية؛ وهو كان يبادلها المشاعر الجميلة نفسها ولكن كلاً من الجانبين الفرنسي والجزائري حاولا استغلال ذلك الحب في أن ينقل كل منهما معلومات وأسراراً تفيدهم في الحرب ضد بعضهم البعض، ولأن طرفي هذه العلاقة الشريفة كانا يتمتعان بالنزاهة فكان



كل منهما يخشى أن يقع في بئر خيانة وطنه الذي يؤمن به، فلم يستطيعا أن ينفذا ما طلبه منهما الجانبان؛ وكان حبهما أقوى من أي شيء، ومن أجل هذا رفضهم وطنهما ونبذوهما".. كانت قصة رائعة من واقع الحياة عاشتها جميلة بوحريد نفسها بعد تحرير الجزائر عندما تزوجت من محاميها الفرنسي، وهذا ما اعتبرته الجزائر خيانة منها، ولكنني أخطأت وفعلت مع هذه القصة مثلما فعل الآخرون فخشيت من تقديمها بحجة أنه لا يجوز لفتاة عربية محتلة أن تعشق وتتزوج من فتى فرنسي مغتصب للأرض "على رغم أن الحياة أثبتت أن هذا يمكن تحقيقه"...

وفي تلك الفترة كنت أعيش في حالة من الضغط النفسي الشديد الذي يمارسه عليَّ أفراد أسرتي الذين كانوا يرون أنني يجب أن أتزوج، فمن الخطأ أن يصل عمري لسن الخامسة والعشرين وأظل دون زواج، والحقيقة أنني كنت أخشى الزواج لكوني فنانة مرتبطة بالفن والسينما التي عشت فيها فترتي مراهقتي ونضوجي كاملتين؛ فكانت هي بالنسبة لي حياتي، ولكن كانت أمي دائماً لا ترى في مبرراتي بالرقص أي داعٍ لذلك..

ولكنني في تلك الفترة وجدت أن الحب يتسرب إلى قلبي، وكان الحبيب هو الفنان الكبير والقدير "رشدي أباظة"، الذي صرح لي بحبه، وكان هو الوحيد من الوسط الفني المختلط بنا أسرياً، وكانت مظاهرات الحب من الجميع تنشب في كل مكان يوجد فيه، فلهذه الدرجة كان إنساناً يتعامل بحرية وانطلاق دون تحفظات، ووقف بجانبي ودافع عني كثيراً، وكان يسعده نجاحي، وعندما كان يشاهدني ما كان منه إلا أن ينطلق ويقبل يدي كنوع من الذوق والتربية، "التي فقدناه الآن"، ويوصلني لمقعدي ودائماً النساء تحب أن يظهر الرجل احترامه



وتقديره لها، ولقد بدأت علاقتي برشدي منذ أن كنا أطفالاً لم يكن في حينها يتجاوز عمري السنوات العشر فكان يجاورنا في السكن أمام الأوبرا القديمة بجوار "كازينو بديعة"، وكان صديقاً لأشقائي الذين جمعت بينهم الصداقة والحب، وكانوا دائما يلعبون الكرة معاً، ولكن انقطعت الصلة فترة كبيرة بعدما انتقلنا لفيلتنا بالدقي، وخلال تلك الفترة عمل رشدي أباظة بالسينما في أدوار ثانوية بأفلام أنور وجدي ويوسف وهبي وآخرين، وظل سنوات طويلة فناناً مغموراً إلى أن أثبت أنه جدير بحمل لواء هذه الرسالة السامية وأصبح من روادها بعد ذلك...

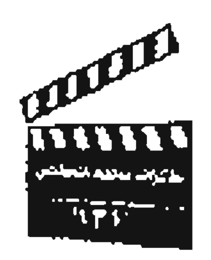
عندما وجد رشدي أنني أبادله الشعور نفسها تقدم ليطلب يدي من الأسرة الذين كانوا يعرفونه جيداً، ووجدوا أن معرفتهم الجيدة له داعية لرفض طلبه، قائلين له "رشدي، أنت صديقنا الحميم وإنسان رائع، ولكن لك حياتك الخاصة التي يعلمها الجميع، ولن تستطيع أختنا أن تعيش وتجاري هذه الحياة، ولن نقبلها نحن لها لأنك لن تتغير، فماجدة ليس لها تجارب سابقة وستعاني معك"، وحزن رشدي من هذا الرفض الذي لم يكن في حسبانه. وحزنت أنا أيضاً وكنت أبكي نتيجة رفض الأسرة، وكانوا يحاولون إقناعي بأن حياتي مستحيلة مع حياته الخاصة، وفي إحدى المرات تكلم معي رشدي عبر التليفون وقال لي "ما العمل الآن"، فقلت له "هذا قرار أسرتي ولن أستطيع أن أخالفه"، فانفعل عليّ قائلاً "هل تظنين أن نساء العالم فنوا، فجميع الفتيات يتمنين إشارة من طرف عيني، إنني كنت أتمسك بك كزوجة لأنني أؤمن أن أبنائي منكِ سينتمون لأسرة عريقة وسيتمتعون بالاهتمام والرعاية"، وعلى رغم تلك المكالمة التي كانت قاسية إلا أنه عاد بعد ذلك واعتذر، وقبل هو كما قبلت أنا قضاء الله وقدره.. ولكنه بعد



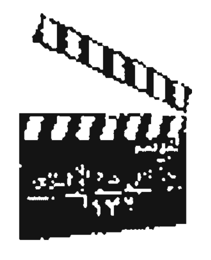
ذلك وفي اليوم الذي نُشر فيه بالصحف خبر موافقة الأسرة على ارتباطي بإيهاب نافع، ظل رشدي أباظة طوال الليل يهذي نتيجة السكر، وكان يؤكد أنه سيُبرح إيهاب ضرباً قاسياً وسيكسر له عظامه. وأبلغني في حينها صديقه الذي كان معه في تلك الليلة بما ينوي رشدي فعله، ولكنه أثناه عن ذلك في اللحظات الأخيرة. لقد سمعت من شقيق رشدي أنهم بعد وفاته وجدوا في خزنته الخاصة دبلتين حملت واحدة اسمه والأخرى اسم "ماجدة"، لقد كان رشدي أباظة فناناً حقيقياً وإنساناً رائعاً ورجل مواقف، وكنت بالفعل أحبه نتيجة إخلاصه في نظرته لي الاجتماعية والأسرية، وتلك القصة للمرة الأولى أعلن عنها...

وفي محاولة أخرى مع الحب والزواج والارتباط. قالها لي يحيى شاهين قبل زواجه، وطلب مني رأيي في الارتباط به، وكان حينها الفنان الأول في مصر، وكان شديد الإعجاب بشخصيتي وطريقتي في الحياة، ولأنني كنت زاهدة في الحب والزواج، راهبة في محراب الفن، خصوصاً بعد محاولة رشدي التي فشلت، فوجدتني أشكره على مشاعره النبيلة وأعتذر له، على رغم أنه كان يتمتع بكل صفات العريس المثالي، وكانت سمعته طيبة في الوسط الفني والمجتمعي، ولقد تقبل اعتذاري له بصدر رحب، وظللنا أصدقاء ولم يعكر هذا الموضوع صفاء تلك الصداقة التي كنت أحافظ عليها دائماً فظللت أطلبه في أفلامي وظل يطلبني في أفلامه..

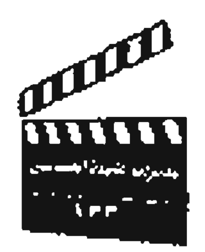
ودخلت بعد ذلك في إنتاج فيلم "الحقيقة العارية"، الذي سأروي تفاصيله لاحقاً، ولكن بعد انتهاء الفيلم، وبسببه، دخلت في خلافات مع الدولة وتم إعلان إفلاسي، وبدأت القصة عندما قامت الدولة في بداية الستينات، وعندما



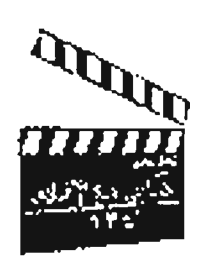
كان الرئيس جمال عبدالناصر يُأمم كل القطاعات المهمة والكبيرة في الدولة، قام بإصدار أوامره بتأميم السينما، وأوكلت إدارتها التي عرفت في حينها باسم جهاز السينما إلى شخص شيوعي يدعى "حسن"، وأصبحت بالتأميم قبضة الدولة هي المهيمنة على النصيب الأكبر من الإنتاج السينمائي من خلال سيطرتها على الاستوديوهات، وأصبحت تتدخل في الإنتاج الخاص الذي تضاءل وتراجع بنسبة كبيرة، وأصبح المسئولون عن تلك الاستوديوهات والإنتاج والتوزيع المخرجين الكبار مثل "صلاح أبو سيف وكمال الشيخ وعز الدين ذو الفقار وآخرين"، وكنت أتوقع كما كانت توقعات الكثيرين أن تأميم السينما سيمد ويدعم صنَّاعها بكل ما يحتاجون إليه من أجل الارتقاء بها، وفور تعيين ذلك الذي كان ليس "حسن" أبداً، فكان اسماً على غير مسمى في ذلك المنصب، وعقد اجتماعاً عاماً بالسينمائيين ليقدم نفسه ويتعرف عليهم، ولقد لمست منذ بداية كلامه بطريقته المتعجرفة وغير الواعية بقدر السينما والسينمائيين، ولكن كما هي الحال دائماً في مصر لم يحسن المسئولون اختيار من يدير هذه الصناعة الكبيرة، فكان هذا الشخص الذي يدعى حسن، الذي كان تفكيره متوقفاً وثابتاً عند الأربعينات، وفي بداية الاجتماع قال "إن السينما عامل مهم والدولة سترعاها وتقدم من خلالها فكراً وعلاجاً لأمراض المجتمع، وأنه يتقبل أي رأي يدعو للتطوير"، وكلام آخر كثير حمل في مضمونه تحذيراً ووعيداً، على رغم تمتعه في ظاهره بالنيات الطيبة التي سقطت أمام أول نقاش ونقد وجه له، عندما طلبت الإذن بالحديث فظهر جهله أو تجاهله، فقال "من هذه؟!"، فقال له الحاضرون جميعاً في تعجب من أمره، "الفنانة ماجدة"، فقال بلغة تحمل التهكم الذي كان غريباً منه، ونحن نتعارف للمرة الأولى، "ماذا تريدين أن تقولي يا آنسة ماجدة؟"، فقلت وأنا يملؤني الغيظ "أقول إن السينما لم تصبح مستشفى بعد، وأرجو أن تستوعب



كلامي، فالسينما لا يمكن أن تساق بالكرابيج أو التهديدات التي استشعرتها في حديثك، فالكلمة الطيبة بالنسبة للفنان هي جائزته الكبرى؛ وأنا أرى أنك لا تجيد التعامل مع السينما والسينمائيين والفنانين، فنحن لسنا عسكريين في جيش ونحتاج إلى قائد لينظم صفوفنا وكأننا عساكر، بل نحن فنانين ونحتاج إلى شكل مختلف في التعامل"، فنظر إليّ الرجل بعين ونصف يملؤها الغيظ والشرر، ووجدت حلمي رفلة يشير لي بيده أن أهدئ من حدة خطابي، وقال الرجل موجهاً خطابه للحاضرين، وكانوا كمال الشيخ وصلاح أبو سيف وفطين عبدالوهاب وسعد الدين وهبة ورشدي أباظة ويوسف شاهين وفنانين كثيرين، "هل لأحد رأي مضاد مثلما سمعته من الآنسه"؛ ولم يجبه أحد والتزموا جميعاً الصمت، وانتهى الاجتماع وهو يحمل لي في نفسه الضغينة والشر الذي ظهر بعد ذلك عندما وجدت الدولة ترسل لي خطاباً تطالبني فيه بتسديدي الفوري لمديونياتها لدي التي تخلفت نتيجة إنتاجي لفيلم "الحقيقة العارية"، وقمت بالرد على الخطاب الذي حركه الرجل ضدي ولم يراعِ أنني أنتجت فيلماً وطنياً لا يقل في قيمته عن بناء السد العالي؛ فقلت في ردي "إنني غير قادرة على السداد الفوري، ورجاء إعطائي فرصة لأسدد لكم المديونيات على أقساط"، ولكنهم ردوا عليّ، قائلين "لن نتقبل أي أعذار وسنقوم في حالة عدم السداد برفع دعوى إشهار إفلاس".. وكنت غير مصدقة لهذا التهديد، ولكن بالفعل قاموا برفع الدعوى عندما تعثرت في السداد، مستندين إلى خطابي بالرد عليهم الذي يعد قانوناً وثيقة ضدي؛ ونظرت الدعوى أمام قاضٍ كان يقطن محكمة قديمة ومهمشة في العتبة، وكان أحد الأعضاء المنتمين لنادي الزمالك؛ وفي يوم إصداره الحكم بإشهار إفلاسي ذهب إلى النادي فرحاً وأخبر الجميع بالخبر؛ وكان ضمن الحضور شقيقي مصطفى الصباحي. وكان عضواً بالنادي، ووقعت



بينه وبين القاضي مشادة في ذلك اليوم، وقال له شقيقي "هذا الحكم لا يدعو لكل هذا الفخر الذي تتحدث به، فماجدة قدمت للوطن الكثير".. ثم تم تعيين سنديك "وهو الرقيب الذي أصبحت جميع أموالي تخضع لرقابته"، واستولى على مكتبي وكل ما أملك، وكان يعطيني مرتباً شهرياً (مائتي جنيه) لأعيش منها، وكان هذا المبلغ لا يكفي لمصروفاتي النثرية.. فعانيت نفسياً بسبب ذلك الوضع، وبالطبع لم أقف صامتة أمام ما أتعرض له، وصمدت في تلك القضية، ولجأت إلى محام كان حجة في القضايا التجارية، وكان يتمتع بقدر كبير من الاحترام والأمانة وصفات أخرى، نادراً أن تتوافر في معظم المحامين، ورفض أن يحصل على أتعاب عن تلك القضية، وعندما كنت ألح عليه كان يقول لي ضاحكاً "لقد أشهروا إفلاسك فمن أين ستدفعين أتعابي"، ولكنه في أول جلسة له في القضية وداخل المحكمة سقط وفارق الحياة، وفقدت الوعي عندما علمت بالخبر من هول الصدمة، فقد كان إنساناً نزيهاً، رحمه الله، وتم تأجيل القضية لحين أوكلت القضية لمحام آخر، وظللت فترة كبيرة أقرأ في القانون التجاري حتى أصبحت مؤهلة لأن أحصل على أعلى الشهادات فيه، وكل ذلك من أجل تلك القضية التي اعتبرتها قضية كرامة وليست قضية إفلاس.. ودافعت الصحافة عني ضد هذا الموقف المشين من المسئولين وقتها، وساندتني وهاجموا رئيس جهاز السينما، الذي شن هذه الحرب ضدي لمجرد تعبيري عن رأيي، وصنعت القضية ضجة كبيرة وأصبحت قضية رأي عام، بل وأكثر من هذا، قامت المؤسسات الصحفية بمساندتي بقيامها بالتنازل عن نصيبها من المديونيات التي كانت ناتجة عن عملية الدعاية والإعلان لفيلم "الحقيقة العارية" أثناء العرض، وكان موقفاً مشرفاً منها، وأصبح أصحاب الحق في رفع الدعوى في قضية إشهار الإفلاس، "جهاز السينما"، لا يمثل نصيبهم المادي سوى ٢٠٪ فقط، بينما أسقط



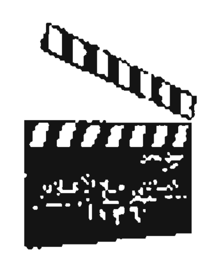
٨٠٪ من المبلغ بتنازل الذين كانوا يطالبون به. وتحول موقفي في القضية من الضعف إلى القوة بحسب نصوص القانون التجاري المصري..

وفوجئت بثروت عكاشة، وزير الثقافة والإرشاد في حينها، يبلغ الوسط الفني بكامله بالحضور لاجتماع عام لمناقشة وتسوية الموضوع. وبالفعل عقد الاجتماع ولكنه كان أشبه بمؤتمر لكثرة الذين حضروا من الفنانين، "ممثلين ومخرجين وعمال فنيين وكتاب صحفيين ونقاد"، وكان داخل مكان أشبه باستاد ليتحمل كل الأعداد التي حضرت تلبية للدعوى. وأعتلى المنصة رئيس جهاز السينما، الذي كان السبب الرئيسي في كل ما جرى ضدي، وثروت عكاشة الذي قال "نحن نحترم الفن والفنانين، خصوصاً ماجدة، ولا نقبل ضرراً لها، فلقد استطاعت وحدها في هذه السن الصغيرة أن تصنع هذه الأعمال الضخمة. وأنا دعوتكم اليوم لنعمل جميعاً جلسة صلح مع ماجدة. ونعمل على حل الخلاف الذي نشب بينها وبين الدولة"، وكلام آخر كثير كان جميلاً منه ولكنني بعد انتهاء حديثه رفعت يدي وطلبت الكلمة وشكرته على كل كلمة قالها، ولكن قلت "إنني متأكدة كل التأكيد أن الوزارة وسيادتك لا تملك الحكم أو الحل الآن، فالمشكلة أصبحت في ساحة القضاء، وأن ما تطرحه سيادتكم اليوم من رأي لحل المشكلة ليس له قيمة. لأنه لا تدخل في حكم القضاء في قضيتي المطروحة أمامه، فقد كان من الممكن ألا تنشأ تلك القضية إذا كانت الدولة قامت بوكالة أمر جهاز السينما لشخص قادر على فهم الفن والفنانين، (فضجر حسن وبعض الحاضرين وازدادوا عندما ارتفع صياحي وأنا أقول)، إن إدراك المشكلة وكلمتك يا معالي الوزير كانت ستكون مؤثرة إذا كنت تدخلت قبل أن يتم إشهار إفلاسي وتتحول المشكلة إلى قضية رأي عام، لقد جاء تدخلك متأخراً، وكلماتك ومساندتك الآن لم تعد تعني شيئاً، وليست لها أي قيمة، فكان الأحرى بك كوزير للثقافة أن



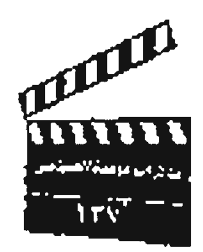
تتدخل منذ البداية، وأنا جئت اليوم ليس لوضع حلول لمشكلتي بقدر ما أن أشكر كل الذين جاءوا لمساندتي من زميلاتي وزملائي الفنانين "فنظر ثروت عكاشة في ساعته ليداري إحراجه"، فقلت له صارخة بصوت الكبرياء العالي: "من فضلك لا تنظر في ساعتك إن حديثي لم ينته بعد"، فقام حلمي رفلة وقال يا أفندم ماجدة لا تقصد: فقاطعته، أني أقصد كل كلمة قلتها، أنا الذي أدفع الثمن وحدي وليس أي شخص في القاعة، ومع احترامي لكل الحاضرين، ومن بينهم أنت يا معالي الوزير، فأنا لم ولن أهزم وسأظل صامدة وصوتي عالياً حتى أسترد كبريائي، (وهنا وقف ثروت عكاشة بعد أن أحمر وجهه)، فقلت له "شكراً أنا الذي سأغادر القاعة قبلك"، وخرجت وهرول بعض الفنانين إلى ثروت عكاشة محاولين ترضيته بعد دفاعي عن موقفي، ثم جاءوا إليّ يعاتبونني، فقلت لهم "أنا الآن في وجه المدفع وحدي، فهم يحاولون إرهاب الفنانين بما يصنعونه بي، ولكنني لن أرضخ وسأهزمهم لتستطيعوا جميعاً من بعدي أن تتكلموا بحرية دون خوف أو فزع"...

وأسرتي وقفوا بجانبي، وتنازل لي أشقائي عن حقوقهم في ميراث مشترك كان بيننا، حتى أستطيع سداد المديونيات، وهنا استطعت التغلب على تلك الأزمة بفضل الله، وسددت باقي المديونيات، ولكن استطاعت تلك الأزمة أن تعطل لفترة كبيرة مسيرة إنتاجي التي كانت تنطلق كالصاروخ، حتى أطلق عليّ في تلك الفترة لقب "آسيا الصغرى" نسبة للمنتجة العملاقة آسيا، التي حين قابلتها قالت لي "أنتِ تذكريني بشبابي وسيكون لك شأن ومستقبل عظيم"، وبعد مدة، وصلت إلى حوالي أربع سنوات، تم انتصاري في تلك القضية، وصدر حكم المحكمة لصالحي، وتم رفع الحظر الذي كان بسببه تسيطر الدولة على أموالي، متمثلة في "السنديك"، وتم إعادة تقييمي من الناحية التجارية والاجتماعية،



وعلى رغم كل ما تعرضت له إلا أنني صمدت في مواجهة هذه الرياح وحدي، ولم أطلب دعم الرئيس جمال عبدالناصر، على رغم أنه لم يكن يصعب بالنسبة لي الوصول إليه، وقد كان يعرفني جيداً كممثلة مصرية قدمت لمصر الكثير بأفلامها الوطنية.. ولكن في النهاية ما يمكن أن يقال إن الدولة في أول محنة حقيقية لي، "قضية إشهار الإفلاس"، لم تقف بجانبي كمواطنة صالحة قدمت للوطن الكثير...





القسم الخامس

الفصل العاشر

حكايتي مع الحب

- بعد خطاباته اليومية داومت على زيارة "مجنون ماجدة" حتى شفي من مرضه النفسي
- قابلت "جاجارين"، أول رائد فضاء، في حفل السفارة الروسية التي دعتني لها نجلة الزعيم الروسي خروتشوف...
- قابلت إيهاب نافع، وشقيقي مصطفى قال هذا الشاب "أما حرامي أو عريس"....
- "شعرت بتعطل بموتورات قلبي، وأنت مطاري الوحيد، وهبوطي هبوطاً اضطرارياً"، هكذا قال لي إيهاب نافع عندما طلب مني الزواج....
- كنت دائماً سمكة أسرار صديقاتي، وظللت أتلقى خطاباً يومياً لمدة عام كامل يحمل عبارة واحدة "أشكرك من أعماقي"....

- كل قديم كان جديداً
- الحب يبقى ضرورة إنسانية لا غنى عنها
- الحب أرق مراتب لتطهر الإنساني ■ في الحب بداية الحياة. فالحياة اسمها الحب
- الحب مشاركة إنسانية لمواجهة الحياة
- الحب عطاء سخي في زمن بخيل
- في الحب ملجأ الحياة وأمن الإنسان
- هيا نحب قبل الرحيل، فما عاد في العمر غير القليل.

(ماجدة الصباحي)



للحب أحاسيس مختلفة؛ تتدفق.. تتعمق.. تتداخل.. وتسيطر على مسار الأحاسيس والمشاعر وعلى مفاتيح القلوب التي لا دخل لنا في السيطرة عليها؛ فالقلوب دائماً خارج حدود السيطرة، إلا ماجدة كانت الاستثناء الأكبر، فقد كان دائماً قلبها هو مملكتها الذي تستطيع إخضاعه لما تريد، ففتحته وأعطته بكامله لحب من نوع خاص، كان هذا الحب للسينما فقط؛ فكل وقتها وتفكيرها وأحاسيسها تكون في التجربة السينمائية التي تقدم عليها؛ ورفضت الحب والزواج لسنوات طويلة، على رغم العروض التي كانت تنهال عليها من المحبين والمعجبين وهنا تقول..

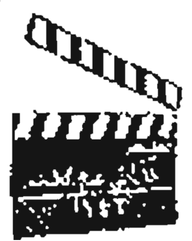
أتذكر المرة الأولى التي غازلني فيها شاب، وكان ذلك أيام كنت طالبة، وكانت لكل زميلة في المدرسة شاب ينتظرها عند باب المدرسة؛ إلا أنا، فقد كنت أسير وحدي من باب المدرسة حتى محطة الترام، وكانت زميلاتي يتحدثن طوال النهار عن عشاقهن، فكل منهن كانت تروي قصة عن حبيبها، وكنت أنا أجلس بينهن استمع لهذه القصص فقط، ولا أخفي أنني تمنيت أن يكون لي حدوتة وحبيب أتحدث عنه مع زميلاتي، وقررت ذات يوم أن أفتح الباب لأول شاب يغازلني ويطرق باب قلبي؛ وحدث ذات يوم أن صار ورائي شاب في الطريق راح يملأ أذني بكلمات الحب، وكان يجيد صياغة هذه الكلمات إلى

حد أنني شعرت بسعادة وأنا استمع إليه، ولما ابتعدنا عن المدرسة واقتربت من محطة الترام حاول الشاب أن يحملني على الحديث معه، وفجأة شعرت بخوف شديد وصرخت فيه أن يبتعد، وتلفت يميناً ويساراً أحاول الاستعانة بأحد، وأطلق الشاب ساقية للرياح، وعرفت يومها أنني أخاف من الذين يغازلونني وأخشى الحب، ثم أصبحت بعد ذلك أعيش في حياة الفن والسينما، وكان برنامجي اليومي مليئاً ولا يدع أي مجال للتفكير في الحب، فكنت أقضي يومي بأن استيقظ من النوم في الساعة التاسعة صباحاً، وافتح "البيك أب" على قطعة موسيقى هادئة، ثم أطالع الصحف وأقرأ رسائل المعجبين، وتكون الساعة بلغت العاشرة إلا ربعاً، أتناول الإفطار وأنهض من فراشي وأجلس أمام المرآة عشر دقائق بالضبط، وأكون انتهيت من ارتداء ثيابي بعد خمس دقائق، وبعد دقائق عدة أخرى أكون في سيارتي خارج الحديقة المحيطة بالفيلا، وأصل إلى مكتبي بعمارة الإيموبيليا حوالي الساعة الحادية عشرة، ويقدم إليّ وكيل مكتبي التقارير الواردة إليه، وأراجع بعض الرسائل وأنهمك في العمل حتى الساعة الثانية، وأعود مرة أخرى للبيت فأتناول غدائي وأستريح قليلاً في فراشي، ثم استيقظ في حوالي الساعة الرابعة، وأذهب إلى المكتب في الساعة السادسة وأمكث فيه إلى الساعة الثامنة مساءً، ثم أعود للمنزل، وفي بعض الأحيان أذهب مع صديقاتي إلى حفلة دُعيت لها أو سينما، وهذا في الأيام العادية، أما إذا كان هناك تصوير لفيلم فإن هذا النظام يتغير من أساسه، وكان يوم الجمعة هو العطلة وأقضيه في البيت ولا أبرحه أبداً...

كانت حياتي دائماً مليئة ولا تخلو من القصص الطريفة، وكنت دائماً وأبداً لا أؤمن بالمثل القائل "السر في بئر"، لأن هناك رأياً آخر كان يقول "إن البئر لا تستطيع أن تحتفظ طويلاً بالأسرار فقد فضحت من قبل سر أخوة يوسف عندما ألقوا به في غيابة البئر".. وكنت أؤمن بالمثل القائل إن السر في بطن السمك،

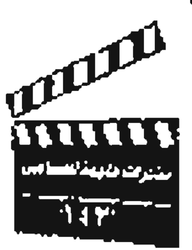


فالسمك أسرار، وأن أقدر الكائنات الحية على حفظ السر هي الأسماك، وربما كان هذا الرأي هو الأصح، وكان إيماني به لأسباب عدة، أهمها أن هناك في بطون الأسماك أسراراً لم يهتدِ إليها أحد حتى يومنا هذا، على رأسها قصة خاتم سليمان المشهورة، التي تؤكد أن الخاتم السحري العجيب يعيش حتى يومنا هذا في جوف سمكة كبيرة مجهولة تطوف بحار الدنيا كلها من دون أن يكشف سرها أحد.. وأنا كنت دائماً أشبه بالسمك، فلقد عرفت أسراراً كثيرة واحتفظت بها بكل دقة وكتمان داخل صدري، ولم أحاول ولو مرة واحدة أن أفشيها، وكانوا في المدرسة يطلقون عليّ اسم "السمكة الكبيرة"، لاحتفاظي بأسرار كل الزميلات، وأذكر وأنا طالبة أن كل زميلاتي بلا استثناء كن يودعن أسرارهن عندي وهن مطمئنات، وأتذكر أن جاءتني إحدى الصديقات ذات مرة تبكي وتبوح لي بسر دموعها، فلقد وقعت في غرام زميل لها واتفقا على الزواج، لكن والدها رفض طلب خطيبتها بسبب عداء قديم بين الأسرتين، وبكت لأنها تحبه من أعماقها ولجأت في علاج هذه الحالة إلى منطق السمكة وقلت لها عليك بالاحتفاظ به ولكن لتكن هذه العلاقة سراً بينكما، واعملي من ناحيتك على إزالة أسباب الخلاف والعداء بين الأسرتين، وحالف النجاح خطتي السمكية، ولكن بعدما ظلت علاقتهما سراً بينهما عامين كاملين.. وصديقة أخرى شكت إليّ تصرفات خطيبها، قالت إنه يريد أن يقبلها وهي تمتنع لأنها تعتبر أن القبلة حرام على الخطيبين، وطلبت نصيحتي فقلت لها إن خير وسيلة أن تجعليه يتعلق بسر ما وعليك أن تقولي له إن أسباب امتناعك ترجع إلى سر رهيب في حياتك لن تقوليه له إلا إذا أصبحتما زوجين، وفعلت صديقتي هذا.. وتعلق الخطيب بالسر، وحاول أن يعرفه بسرعة، فما كان منه إلا أن استعجل الزواج حتى يقف على السر الرهيب، ويوم الزفاف قالت له وهي تضحك لقد أصبحت حلالاً لك فقبلني كما تشاء.. وحادثة ثالثة تعد في نظري قمة من قمم الاحتفاظ بالسر، فقد ظلت



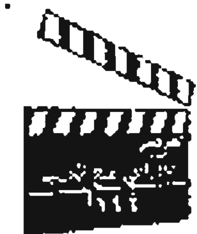
أكثر من عام أتلقى كل يوم رسالة من سيدة، ولم يكن بهذه الرسالة سوى عبارة واحدة "أشكرك من أعماقي"، ووراء هذه الرسالة سر رهيب، وهو أن هذه السيدة كانت تعمل مربية أطفال عند أسرة تربطني بها صلة قرابة، وكنت أراها دائماً ثم انقطعت أخبارها فجأة عني ولم أعد أراها في منزل أقاربي، وذات يوم دعيت لتناول الشاي عند صديقة لي، وإذا بي أرى هذه السيدة بين المدعوات ومعها زوجها المهندس الكبير.. ولاحظت أن هناك اهتماماً خاصاً من جانب المدعوات لمعرفة أصل هذه السيدة وكشف حقيقتها أمام زوجها، وانتحت بي إحداهن ركناً لتسألني عن حقيقة هذه السيدة: وهنا أدركت الموقف بدقة، فأجبت على الفور بأنني لم أرها في حياتي، وأنني التقي بها هنا للمرة الأولى. وعرفت السيدة بهذه الحكاية فراحت ترسل لي هذه الجملة كل يوم لمدة عام كامل. لقد كانت حياتها الزوجية في خطر بسبب حقد بعض السيدات عليها.. ولكن استطعت أن أتلافى الموقف باحتفاظي بالسر.. لذا فكنت سمكة كبيرة كما ترى؟!

لقد كنت أستقبل رسائل الإعجاب وكانت تنهال عليّ من كل مكان: وكان يستلفت نظري في هذه الرسائل خطاب يصلني كل يوم بخط واحد، وكلما قرأته وجدت فيه ما يشبه المذكرات اليومية، تحت عنوان "يوميات مجنون ماجدة"؛ وذات يوم فوجئت بزيارة سيدة لم أرها من قبل، وبالاختصار عرفت أنها والدة صاحب اليوميات. وعرفت أيضاً أنه مريض وسبب مرضه هو حبه الشديد لي، وقالت لي أمه إنها خشيت على ابنها أن يموت فأوهمته أنها زارت أسرتي وخطبتني وطلبت يدي له؛ كما ادعت كذباً أن أسرتي وافقت على هذا الطلب، وقدرت أنا ظروف الأم، فطيَّبت خاطرها ببضع كلمات مناسبة للمقام. ولكنها طلبت مني أن أمثل دور الفتاة المخطوبة وأزور خطيبي المزعوم، لعل زيارتي له تشفيه من مرضه، وأمام إلحاح الأم وافقت على زيارته، وصحبت أحد أقاربي وذهبت إلى بيت "مجنون ماجدة"، وما كاد الشاب يراني حتى قفز من فراشه



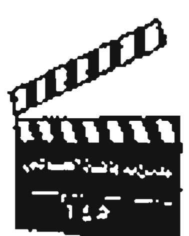
متهللاً فرحاً ورحب بي ترحيباً كبيراً. وكان الطبيب يقف إلى جواره وأحس بأثر هذه الزيارة في نفسية مريضه، فاستدعاني إلى خارج الغرفة ورجاني أن أكرر الزيارة حتى يتم شفاء المريض، ووجدت نفسي أمام عمل إنساني لا أستطيع الاعتذار عنه، فكنت أصطحب قريبي كل يوم لأزور المريض حتى تم شفاؤه فعلاً، ولم أشأ أن أصدمه بالحقيقة إلا بعد أن استرد صحته جيداً وعرف أنني لم أكن خطيبته ولكنه شكرني على ما فعلته من أجله..

وفي واقعة أخرى دارت على إثر حديث صحفي: نشرته إحدى المجلات، وأعلنت فيه أنني لن أتزوج لسببين، أولهما: أنني أحب الفن. والثاني: أنني لم أعثر على فارس أحلامي. وفوجئت ذات يوم بمكالمة تليفونية، وكان المتحدث يتكلم معي بعد أن رفع التكليف. فناداني باسمي مجرداً من أي لقب، حتى اعتقدت أنه زميل عزيز وثيق الصلة، إلا أنني عرفت من المتحدث أنه يريدني في أمر مهم جداً ويريد أن يقابلني، فحددت له موعداً بعد أيام عدة نظراً لانشغالي في الاستوديو. وفي الموعد كان المتحدث يطلب مقابلتي وكان شاباً من أبناء الريف يرتدي الملابس البلدية الأنيقة. ويدل مظهره على أنه جمع بين ثقافة العصر وتقاليد الريف، وعرفت أنه جاء لزيارتي ليطلب يدي للزواج، اعتقاداً منه أنه فارس أحلامي، والحقيقة أنني أعجبت بمظهر هذا الشاب كوجه جديد للسينما. وقلت لنفسي ماذا لو قدمته للسينما فيصيب نجاحاً، وأكون أنا صاحبة الفضل في اكتشافه، وعدنا نتحدث عن الزواج، فقلت له إنني لا أفكر في الزواج الآن. ولكنه أكد أنه لن يفقد الأمل. واتفقت معه على موعد لنلتقي مرة ثانية في الاستوديو، والواقع أنني ضربت له الموعد الجديد لكي أقدمه للمخرج كوجه جديد، ليشاهد اكتشافي السينمائي، وفي الموعد المحدد جاء الشاب بمفاجأة أدهشتني وأغضبتني، فقد استبدل بملابسه الريفية ملابس إفرنجية. فأضاع بذلك ملامح وجهه وشخصيته كوجه سينمائي صالح، وقرأت في عين المخرج



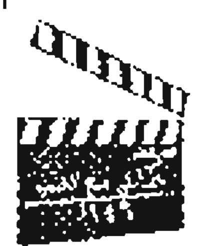
أسفه على فشلي في اكتشاف وجه جديد للسينما، وفي ثورة غضبي صحت في هذا الشاب عندما وجدته يعرض عليّ الزواج مرة أخرى، "أنا لا أتزوج ومع السلامة"، وغادر الشاب الاستوديو كسير الخاطر، وجلست أنا غاضبة على ضياع اكتشافي السينمائي..

لقد أردت بتلك الروايات أن أوضح كيف كانت ملامح حياتي الخاصة، وكيف كانت تسير، فتلك الحياة لم أكن أتمتع بها لإغراقي في العمل السينمائي.. ولم تكن الصحافة تعلم شيئاً عن ذلك، ولهذا كانت تتساءل دائماً في ذلك التوقيت وتقول لماذا لا تحب؟ ولماذا لا تتزوج ماجدة؟.. ولقد نشرت بالمجلات الفنية في حينها رداً على ذلك السؤال لأوضح وجهة نظري في هذا الموضوع، تحت عنوان (هذا هو الرجل الذي سأتزوجه)، وكان نصه "الرجل الذي سأتزوجه يجب أن يتمتع بشخصية قوية، فاشترط هذه الصفة فيه لأني لا أريده أن يكون زوج الست، فيجب أن انتسب أنا إليه فيشير الناس إليّ بقرينة فلان ولا يقال عنه هذا زوج ماجدة!.. يجب أن أشعر بوجوده وكيانه وأن يشعر به الجميع لأفخر به.. لا يهمني دخله من المال فمهما كان مرتبه فإنه لن يفوق دخلي، وسوف أسهم طبعاً في نفقات حياتنا ولكن يجب أن يقوم بمصروفاتنا العامة حتى لا أشعر أنني أنفق عليه، فإن الزوج الذي يعيش عالة على زوجته لا تحترمه زوجته، أما إذا احتاج إلى مال لظروف ما فإنني أقدمه إليه طائعة.. إنني أريد زوجاً يحب عمله وأن يكون ناجحاً فيه وأن يقدر عملي ويحبه، لأنني سأبادله هذا الشعور، فمن واجب الزوجة أن تحب عمل زوجها، لأن اهتمامها بعمله يجعله يغرم به وينجح فيه، إن المرأة إذا أحبت عمل زوجها فتحت له طريق النجاح، أما إذا كرهت عمل زوجها فهي امرأة أنانية!.. أريد أن يكون زوجي طويل القامة غير بدين ولا قبيح، فلا يهمني الجمال وإن كنت لا أحب القبح أيضاً، أريد أن يكبرني ببضعة أعوام، أنني سأبلغ الخامسة والعشرين الشهر المقبل، وإذا

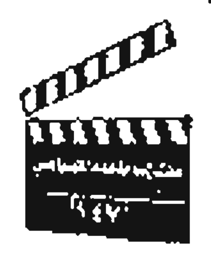


توافرت هذه الصفات في رجل في الأربعين فلن أرفضه بسبب فارق السن... أريده كريماً لأنني لا أحب البخل، ثم أنني فتاة مدبرة غير مسرفة، وبذلك تتعادل الكفتان.. وليطمئن، فلن أقتله بالغيرة. لأننا سنتبادل الثقة والحب، كما أنني لن أدعه يغار عليّ لأنني لن أتصرف أي تصرف يسيء إليه أو يثير غيرته.. إنني لم أتزوج حتى الآن بسبب عملي، فمازلت في حاجة إلى الوقت لأبني مستقبلي كممثلة ناجحة، ولذلك فأنا أعمل كثيراً وأعمل كل يوم ولا أستطيع أن أكون زوجة إلا "يوم الأحد" فقط وهو يوم عطلتي! سأعمل على أن أعطيه وقتاً يناسب واجباتي الزوجية، لأنني أقدس الحياة الزوجية.. إنني في انتظار هذا الزوج، وأرجو أن يكون هو الآخر في انتظاري!"..

كنت دائماً أرفض زواج الصالونات، التي تحاول الأسرة أن تفرضه عليّ، وأقول لهم إن من حق الفتاة أن تختار العريس، فما الفرق بين فتيات الجيل الذي سبق جيلي وفتيات جيلي، ما التغيير الذي طرأ على عقلية بنت جيلي، ما الألوان التي تصبغ تفكيرها وتوجه سلوكها؟ فالفرق بينهن كالفرق بين سرعة السلحفاة وانطلاق الصاروخ، فإن الجيل الذي سبقني كان تفكيره محدوداً يختلف عن الجيل الذي أنتمي إليه الذي يفكر بعقلية الأقمار الصناعية، إن بنات جيلي كن أكثر رومانتيكية مما سبقوهن، لقد كنت أحلق بخيال فسيح في الأماني والأحلام، فكل شيء في حياتي كان يأتي بسرعة ويتغير بسرعة، فكنت دائماً أعيش في عالمي الخاص، فيه كثير من التفاؤل والأمل والاندفاع، ولذلك فأنا تمتعت في سن مبكرة بقدر كبير من الذكاء وتفتح الذهن، وكنت أعرف كل شيء يدور حولي، فكان لي كيان وشخصية، وأعرف كيف أرسم خطوط حياتي ومستقبلي، وكنت قادرة على اختيار عريسي. ولكني كنت أخشى أن يعطل مسيرة عملي، ومشيئة الله دائماً كانت فوق كل اعتبار...

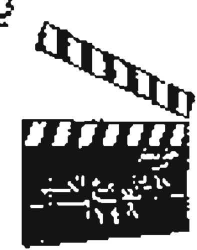


وفي الوقت الذي أراده الله حدث ما لم أكن أتوقعه، ففي حفل السفارة الروسية تقدم مني شاب أثناء الحفلة وصافحني وضغط على يدي وهو يقول أنت فكراني ولا نسياني.. وتطلعت إليه وكان رياضياً أنيقاً، وشعرت كأني أسمع أغنية لأم كلثوم في لحن جديد، وكان الشاب يتكلم بثقة عجيبة كأنه يعرفني منذ ولادتي، وكنت التقيت آلاف المعجبين وتمرنت على طريقة حديثي معهم، ولكني في هذه المرة تلعثمت ولم أعرف لماذا تلعثمت، هل بهرني قوامه الرياضي، أم أني وجدت في بريق عينيه شيئاً غير عادي، أو أني شعرت أنه شخصية غير عادية، أو أن ثقته بنفسه أثارت اهتمامي، أو أن هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلتني أهتم بهذا المعجب الجديد، ومضى في حديثه قائلاً أنا الطيار إيهاب نافع. لقد جئت إلى الاستوديو مرات عدة مع وفد الضباط أثناء تصوير فيلم "جميلة بوحيرد". فأنا أعرف عنك كل شيء، وأعرف أسماء أشقائك، وأعرف أين تسكنين، وأعرف أيضاً تاريخ حياتك منذ ولادتك.. ودهشت لما أسمع.. ومضى الطيار الشاب يروي لي كل ما يعرف عن حياتي كأني مطار يعرفه جيداً وهبط فيه بطائرته آلاف المرات، وبعد مدة من الوقت خرجت من حفل السفارة الروسية "الذي كان أقيم على شرف ابنة الزعيم الروسي الذي حكم الاتحاد السوفييتي من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٤ "نيكيتا سير غيفيش خروشوف"، التي كانت جاءت لتحتفل بعيد الثورة المصرية، وقد نشبت علاقتنا لكونها كانت من أشد المعجبين بي، وكانت دائماً تدعوني لزيارتها في روسيا، وأيضاً قابلت بالحفل عالم الفضاء الروسي وأول رائد فضاء صعد إلى سطح القمر، الذي كان حديث العالم في حينها "جاجرين"، وعبرّ عن إعجابه الشديد بي كممثلة مصرية والتقط الصور معي"، وعلى رغم كل هذا إلا أن تفكيري كان ينحصر كاملاً في هذا الطيار الشاب العجيب الذي قابلته بالحفل وتحدث معي وكأنه يعيش معي منذ فترة طويلة، وعندما خرجت وجدت أن إطارات سيارتي فارغة وتقدم مني



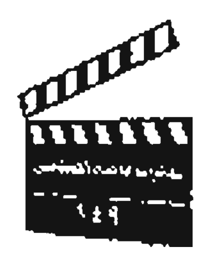
الشاب الطيار وأصر على أن يوصلني، وكانت معي سكرتيرتي ومرافقتي "ميري الفلسطينية": التي رحبت بالعرض، ولكني كنت معترضة، وبعد إلحاح من جانبهم وافقت، وفي داخل سيارة الطيار الشاب تحدث إليّ كثيراً عن امتنانه لي لقبولي التوصيلة، وأسترسل قائلاً إنه من أشد المعجبين بي، ووصلت أمام المنزل وشكرته، ولكنه طلب أن أسمح له بزيارتي في المكتب فرحبت به في أي وقت، وتوجهت للمنزل وشاهدت شقيقي مصطفى الصباحي فرويت له لقائي مع الطيار الغريب، وقال لي مصطفى "هذا الشاب إما حرامي وإما عريس"، ولكن لم يلبث بعد أسابيع أن اكتشفت أنه عريس وحرامي معاً، وذلك عندما عرض عليّ أن يتزوجني وسرق قلبي في الوقت نفسه، وأصبح طبيعياً في كل يوم أن يدق التليفون في بيتي وأن أسمع صوتاً يقول لي أنا إيهاب، ولم أكن أعطيته رقم تليفوني ولم يستأذنني في أن يتصل بي، ولم يعتذر لي لأنه يحدثني كل يوم، فكان يشعر بأنه صاحب حق، لقد نزل إيهاب على مطار قلبي بالباراشوت، ثم لم يلبث أن استولى على المطار، ثم أصبح بعد ذلك يتردد على مكتبي كثيراً، وفي أحد الأيام قال لي إنه قرر أن يتزوجني، ودهشت من هذا القرار...

فهذا شيء "بارد" للغاية، وتساءلت كيف يصدر إيهاب مثل هذا القرار، ومن هو حتى يصدر لي، أنا التي رفضت مئات العروض بالزواج، قراراً يُلزمني فيه بالزواج منه، ومن الذي أعطاه حق إصدار الأوامر الملكية والقرارات الوزارية.. وأصدرت أنا ثورتي على القرار، وقلت للطيار الجريء هل تظنني مطاراً، وحتى لو كنت مطاراً فإن من واجب الطيار أن يستأذن المطار قبل أن يهبط عليه، فكان عليك أولاً أن تستفسر عن حالة الجو، وأن تسأل عن طريقة الهبوط، ولكن أن تنزل فجأة هكذا بغير استئذان. فضحك إيهاب قائلاً إن هذا هبوط اضطراري، فلقد شعرت أن موتورات قلبي تعطلت فجأة وأنكِ المطار الوحيد الذي يصلح لي في جو حياتي المتليء بالعواصف والنوات.. وتوقعت أن يسقط الطيار وينكسر



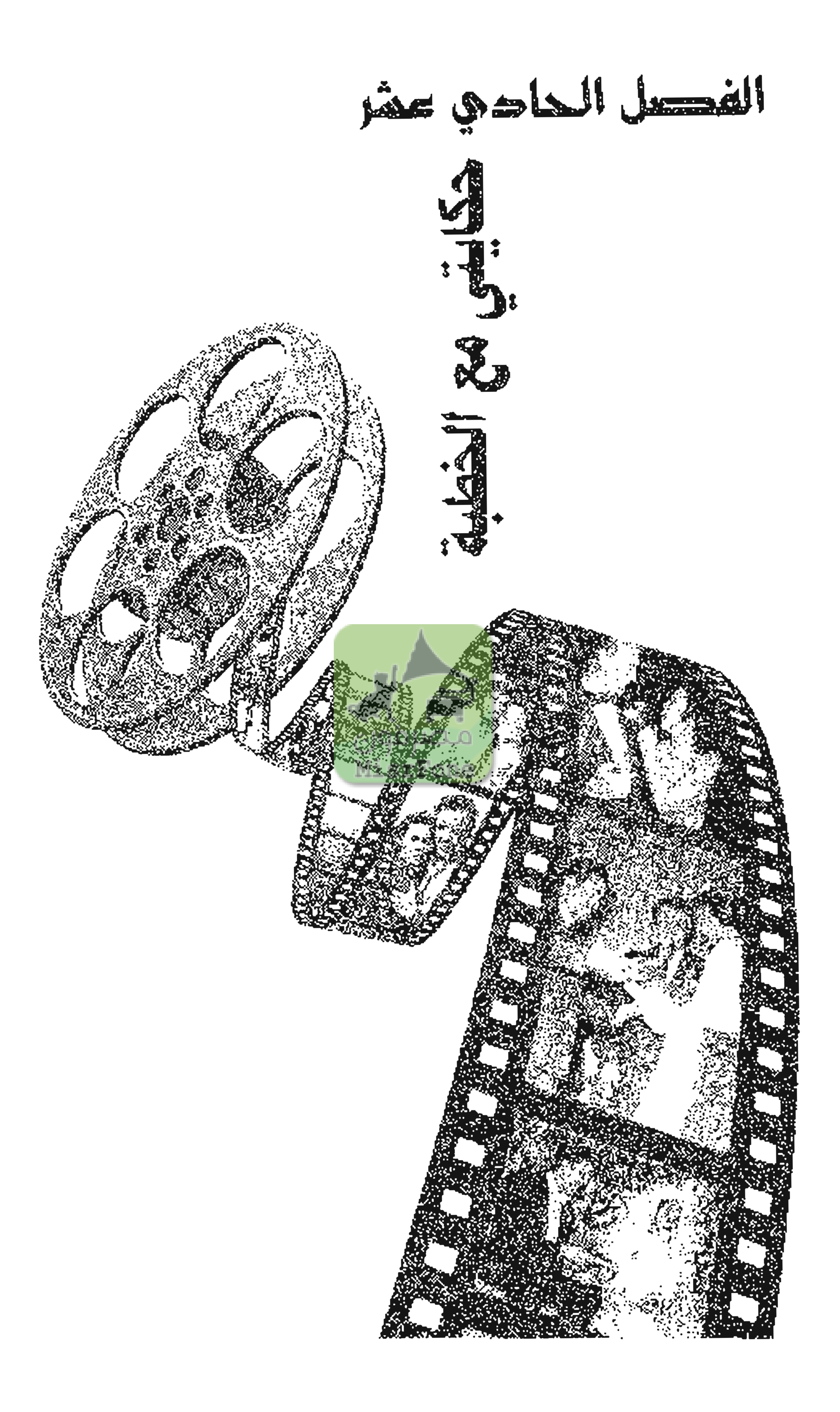
رأسه، ولكن الطيار هبط إلى قلبي ببراشوت ونزل سليماً، وأحسست أن مطاري الذي أغلقت أبوابه سنوات طويلة فتح ذراعيه للطائرة المصرية المنقضة، وشعرت أني وللمرة الأولى أعجبت وخضعت وأحسست أنني مضطرة إلى أن أقبل القرار الذي أصدره الطيار، وقلت له ذات يوم وبعد مدة معتدلة من التفكير إنني قررت أن أقبل طلب زواجك، وطلبت إليه أن يكتم السر....





الفصل الحادي عشر

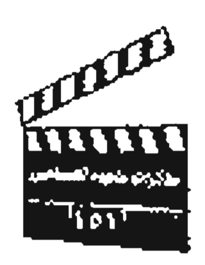
حكايتي مع الخطابة



- أكشف للمرة الأولى السر وراء الخبر الذي نُشر يعلن خطبتي على الموسيقار فريد الأطرش في بداية الستينات....
- ميكانيكي اقتحم عليّ شقتي وأدعى أنه زوجي، وأن إيهاب نافع شاهد على عقد الزواج...
- للمرة الأولى من أجندة ماجدة نصوص أدق تفاصيل السبعة الأيام التي سبقت ليلة خطبتها...
- أقيم حفل خطبتي على الباخرة "الدلتا"، واشتعلت به المنافسة بين تحية كاريوكا ومشجعي الزمالك....
- بسبب عزوفي عن الحب والزواج خرجت شائعة تقول إنني "سحاقية".....

- الدنيا لا تزال بخير.. قرأت أن عبدالوهاب جمع فريد الأطرش وعبدالحليم حافظ ليزيل ما بينهما من سوء تفاهم
- إنني أقدر فن فريد الأطرش، وأحب أغاني عبدالحليم حافظ، ولكن إخوان السوء نجحوا في الإيقاع بينهما
- ولو لم أكن حريصة على عدم الوقوع فريسة للدساسين لكنت الآن في خصام مع كل زملائي
- إن الذي هزني أن عبدالوهاب كان يستطيع أن يستفيد من هذه الخصومة بين فريد وعبدالحليم لأنهما يتنافسان في الميدان نفسه، ولكن عبدالوهاب كان "كبيرا" وحاول أن يمحو ما فعله "الصغار"..

(ماجدة الصباحي)



لم يكن أحد يستطيع تصديق أن النجمة الخمرية ماجدة ستقع في الحب، فلقد انشغلت الصحافة الفنية كثيراً وكانت تتساءل دائماً عن سبب عزوف عذراء الشاشة عن الحب. وكانت تقترح الصحف على قرائها بأن يبحثوا لها عن العريس المناسب.. ولم يكن خبر خطبتها يمكن أن يصدق بسهولة، فقد كانت صدمة أصابت الجميع فور نشره.. فقد نُشر في مجلة "أخبار النجوم" في أبريل ١٩٦٢ موضوع كان فحواه "خطبة ماجدة وفريد الأطرش"، وسرد فيه المحرر التفاصيل التالية: "كنا على موعد مع الفنانة ماجدة لعمل موضوع صحفي؛ فتدخل القدر فشغلنا عن الموعد، تأخرنا بضع ساعات، وعندما ذهبنا إلى منزلها فوجئنا بوجود الموسيقار الكبير فريد الأطرش، وبجواره الفنانة ماجدة، ومن ناحية أخرى جلست السيدة والدتها وتوفيق الصباحي شقيقها، صاحب شركة "ستار فيلم السينمائية"، واعتقدنا أننا وقعنا على نبأ فني "سينمائي" جديد؛ ولم نكن نتوقع أن القدر يُعد لنا مفاجأة ضخمة أخرى غير "خبر" زيارة الموسيقار فريد الأطرش لبيت ماجدة، وبدأنا في الحديث، بينما جلست ماجدة وشبكت يديها بعضها ببعض، وبدا عليها الكثير من الحرج والاضطراب، وراحت تتبادل النظرات مع والدتها وشقيقها.. وفجأة سحبت ماجدة يدها اليسرى من حول يدها اليمنى بسرعة فانفلتت منها "شيء" ارتطم بأرض الحجرة قريباً منا؛ وكان هذا الشيء عبارة عن "دبلة" ماسية بها شرار كثيرة من الماس؛ وفجأة سمعت

شهقة عالية من ماجدة، وحاولت أن تسرع إلى التقاط الدبلة لكننا كنا أسرع إليها منها، ولم نقدم الدبلة إلى ماجدة، فقد أحسسنا من ارتباكها وشهقتها العالية أن الدبلة تحمل سراً تحاول الممثلة الكبيرة ماجدة أن تخفيه عنا، فأمسكنا بالدبلة نقلبها وقرأنا في تجويفها الداخلي "فريد الأطرش ١٩٦٢/٣/٨"، وتدخل القدر مرة أخرى، فقد دخل فريد الأطرش علينا في هذه اللحظة بعد أن أنهى محادثة تليفونية، فنظرت إليه ماجدة تستنجد به وهي تقول "انكشفنا"، ونظرنا إلى فريد الأطرش فرأينا، وللمرة الأولى، الدبلة الذهبية الأنيقة وهي تتألق في يده اليمنى، وابتسم فريد الأطرش وقد اصطبغ وجهه بالخجل وقال "أيوه يا سيدي الخطبة تمت وأنت أول واحد يعرف بالخبر، وأرجوك خلي الحكاية في السر إلى أن تنتهي المسائل كافة المعلقة بيني وبين الآنسة ماجدة وأسرتها".

لكن ماجدة كذبت هذا الموضوع بكامله في حينها، والآن في مذكراتها، وقالت إنه كان من أكبر الشائعات التي خرجت عليها، وهنا تقول ماجدة... دائماً كنت أرفض الحب والارتباط والزواج، وبسبب ذلك انتشرت حولي الشائعات، وكان ضمن ما قيل عني وانتشر في الوسط الفني شائعة تقول بأنني سحاقية، "وتضحك ماجدة قائلة"، تلك الشائعة التي لم يكن لها أساس من الصحة، "فلم تأخذ حيزاً واهتماماً"، والدليل على ذلك أنني أرددها الآن في مذكراتي من دون خجل، التي سجلت صدقيتها بعد ذلك بتسرب خبر خطبتي على إيهاب نافع، ولم نكن أقمنا حفل الخطبة بعد، ولكن تسرُّب الخبر تسبب في أني فوجئت في صباح أحد الأيام بشاب يقتحم عليّ غرفة نومي، بعد أن دخل مع الخدم في صراع ومعركة مريرة، مدعياً أنه زوجي، عندما حاولوا أن يطردوه، ولكن الخدم استطاعوا إمساكه والسيطرة عليه، واتصلت بالشرطة التي أسرعت بإرسال سياراتها وقبض عليه، وفي التحقيق قرر المتهم، وكان يدعى عوض، ويعمل "ميكانيكي"، أنه تزوجني منذ أشهر عدة، وشهد على عقد القران إيهاب



نافع. وأنه فور أن قرأ خبر خطبتي جاء ليقتل إيهاب ويأخذني، ولو بالقوة، إلى بيته، وقررت النيابة تحويله لمستشفى الأمراض العقلية الذي قرر أنه يعاني من اضطراب نفسي وعصبي..

وهنا أخرجت لي الفنانة الكبيرة ماجدة أجندة، لا تزال تحتفظ بها، وتحتوي على أدق تفاصيل الأيام السبعة التي سبقت خطبتها ونصها:

☐ الأربعاء....

- صباح جميل يا ست الكل.

- صباح جميل يا إيهاب.

هكذا بدأنا يومنا أنا وإيهاب. وذهبنا معاً نتمشى في شارع ٢٦ يوليو، وقد قابلنا سيدتين لم أكن أعرفهما من قبل، كل منهما هنأتني بعبارات كثيرة جميلة، وقد أهدتني إحداهما إحدى الخرزات الزرقاء واستحلفتني أن أقبلها منها، فهي تطرد الأرواح الشريرة وتحميني من عين الحسود.. وذهبت إلى نادي الجزيرة لأقدم طلب الالتحاق للنادي، بصفتي سأكون حرم الطيار إيهاب نافع. إنني سعيدة.. سعيدة.. سعيدة.. خصوصاً أن غداً موعد خطبتي.

☐ الخميس....

اليوم سيظل مشرقاً في حياتي.. اليوم أعلنت خطبتي في حفل كبير. اليوم بدأت صفحة جديدة في حياتي، استيقظت صباح اليوم على تليفون من إيهاب.. إنني سعيدة بأن أسمع صوته في بداية يومي، لقد سهرت ليلة أمس حتى الساعة



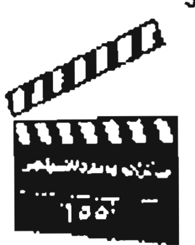
الثالثة والنصف صباحاً، أعمل في استوديو جلال. وكان في نيتي ألا أصحو في وقت مبكر هكذا، ولكن هكذا شاء خطيبي إيهاب. وقد قال لي في التليفون:

ـ هل قرأت الصحف؟

وأسرعت إلى الصحف، إن صحيفة يومية كبرى نشرت تحقيقاً صحفياً أذاعت فيه أسرار خطبتها بدقة.. والحقيقة أن هذا التحقيق أعجبني، إذ كان بعيداً من الإثارة، وجاء إيهاب خطيبي بعد نصف ساعة وقال لي ونحن نتناول إفطارنا معاً كيف تستطيعين النوم هكذا إلى الساعة التاسعة والنصف صباحاً.. قلت له: إنني سهرت حتى الثالثة والنصف صباحاً.. فقال إيهاب: لا.. يجب أن تنامي مبكرة.. وأن تستيقظي مبكرة.. إن إيهاب دقيق ومنظم ولذا أقنعني بسهولة برأيه هذا، وفي الحقيقة أنني اكتشفت شيئاً جديداً كلما جلست مع إيهاب.. لقد كان إيهاب معي أيضاً نتناول الغداء مع الأسرة بعد أن قضيت فترة الصباح في شركتي السينمائية، الغريب أنني اكتشفت أن نفسي تكون مفتوحة كلما شاركني إيهاب الطعام، أليس هذا شيئاً جميلاً، وإن كان يهددني بالسمنة ولكن لا بأس!

☐ **الجمعة...**

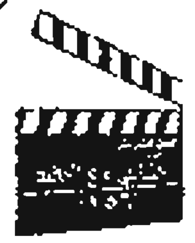
إن جرس الباب لا يكف هذه الأيام عن الرنين، ففي الصباح انطلق الجرس يرن ويرن بإلحاح، وعندما فتحت الخادمة الباب وجدت سيدة أنيقة ودعتها للدخول، وأسرعت استقبل هذه السيدة، فقد أحسست أن وراءها أمراً، ما دامت تدق جرس الباب بهذه الطريقة.. ووجدت أنني أعرفها، إنها زوجة طبيب معروف كبير، وشقيقة لشاب دبلوماسي، وسألتني بالإنجليزية عن صحة ما نشر في الصحف عن خطبتي، فقلت لها إنه صحيح، واكتسى وجه السيدة



بالأسى: وهي تقول "خسارة"، قلت إنني أعرف هذه السيدة: لقد رأيتها عندما كنت أنتج فيلم "جميلة": جاءت إلى بيتنا لتخطبني لشقيقها الدبلوماسي، ولما قابلت والدتي وعرضت الخطبة عليها، ونقلت والدتي إليّ الخبر اعتذرت بانشغالي بفيلم "جميلة" الذي لا يدع لي مجالاً للتفكير في أي شيء آخر غيره، ولكن السيدة يومها لم تقبل هذا الاعتذار: قائلة إن شقيقها سوف ينتظر حتى تنتهي مشاغلي ثم يتقدم لي ثانية، وهكذا سافر شقيقها إلى عمله في الخارج ولم يخيل إليه أن هذه الأيام مناسبة لعرض فكرة الخطبة عليّ مرة أخرى. اشترى خاتماً ثميناً وعاد إلى القاهرة ليفاجأ بما نشرته الصحف عن خطبتي لإيهاب، ولكن الأمل كان لا يزال يداعبه، فأرسل شقيقته تتأكد من صحة ما نشرته الصحف، وعرفت الشقيقة أن الخبر صحيح، وقالت لي وهي تودعني خارجة "إن كل شيء قسمة ونصيب، وأن شقيقها يكفيه أنني سعيدة ولا بأس من أن يحتمل سوء حظه"، وفي المساء تناولنا العشاء في "سميراميس" وسهرنا، كنت أنا وإيهاب وشقيقاي توفيق ومصطفى.

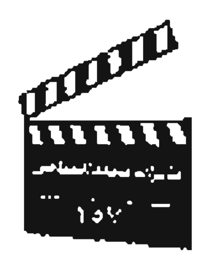
☐ البيت....

صحوت من نومي مبكرة ووجدت إيهاب في انتظاري في حجرة الاستقبال. لقد كنا اتفقنا على هذا أمس، وكم أنا معجبة بدقة إيهاب في محافظته على مواعيده، ودار حديثنا ونحن نتناول الإفطار عن برنامج اليوم: واتفقنا على أن نطوف القاهرة لشراء بعض ما نحتاجه وللبحث عن شقة مناسبة نبني فيها عش زواجنا: إن إيهاب كان يرغب في إحدى الشقق القريبة من السماء، هرباً من الضوضاء: أما أنا فأتمنى أن نعثر على شقة تطل على مناظر جميلة، واتفقنا أنا وإيهاب على أن نسكن في شقة تطل على النيل، وعندما غادرت البيت وركبت



إلى جوار إيهاب في سيارته "ايزابيلا" واتجهنا إلى شارع الهرم، وكان الحديث حلواً؛ فحدثني عن هواياته الرياضية؛ وحدثته عن حبي لركوب الخيل. لقد كانت هذه هواية محببة إلى قلبي، شغلني عنها الفن؛ ولذا كنت سعيدة عندما ذهبنا إلى "مينا هاوس"، وسابقت إيهاب بالحصان، كان يخيل إليّ أن سعادة الدنيا كلها كانت من نصيبي، وعدنا بعد الظهر لنعاود البحث عن المسكن المناسب، والحمد لله عثرنا على شقة على النيل في عمارة "جوهرة النيل": سوف نستأجرها ثم نعهد بها إلى مهندس ديكور لإعدادها، أما السهرة فكانت ممتعة، لقد قضيتها بصحبة إيهاب ووالدي وأخواتي وبعض الأقارب على الباخرة "الدلتا"، وانفتحت نفسي أيضاً وأكلت الفراخ المشوية بشهية كبيرة.

أنني مشغولة جداً.. إنني وإيهاب منذ الصباح معاً نعد قوائم بأسماء المدعوين إلى حفل زفافنا، لقد جاء إيهاب في الصباح إلى بيتنا ومعه قائمة جاهزة بأسماء أصدقائه الذين سيدعوهم إلى الحفل وقرأنا القائمة معاً. ثم أخذنا نستعرض أسماء من سأدعوهم: إن هناك أصدقاء كنت أتمنى أن يشاركوني سعادتي في هذا الحفل ولكنهم مسافرون؛ وقد أسعدني اليوم كذلك أنني تلقيت باقة ورد جميلة من أحد الذين اعتذرت عن عدم قبول خطبتهم لي.. ومع الباقة بطاقة مكتوب عليها "سعادتك هي سعادتي"، لقد أعجبت بهذه الروح وقلت لنفسي إن الدنيا فيها خير، وزاد تقديري لهذا الشاب، وقد زارني اليوم أيضاً "كونسوني" مهندس الديكور المعروف، الذي اشتهر بتنسيق أفخم فنادق العالم، واتفقت معه على أعداد شقتنا الجديدة، وعلى فكرة هذه الشقة لن نقضي فيها غير عامين اثنين حتى ينتهي إعداد الفيلا الجديدة التي قررت بناءها في الدقي فننتقل إليها..



الاثنين....

هذا اليوم عشته مع أسرة خطيبي إيهاب، إنني أشعر أن والدة إيهاب وشقيقته يحملان لي حباً كبيراً، إنني كذلك أحبهم من كل قلبي. إن الحديث بيننا كان جذاباً وودوداً وممتعاً، وفي المساء حضرنا معاً إحدى حفلات الماتينيه السينمائية، ثم تناولنا العشاء في "عمر الخيام"، ثم أوصلني إيهاب بسيارته وعاد إلى بيته مع أسرته.

الثلاثاء....

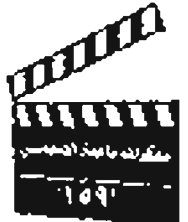
إن الجمهور يُبارك خطبتي لإيهاب، لقد وصلتني أكثر من خمسمائة برقية من ناس لا أعرفهم فيها تهنئة وتمنيات رقيقة بالسعادة، إن مكان هذه البرقيات في قلبي، لأني دائماً اعتز بالصلة التي تربطني بجمهوري، وقد طرت اليوم مع إيهاب، إن الطائرة قطعت بنا رحلة شائقة، واهتمامي بالطيران سوف يتضاعف بالطبع لأن إيهاب طيار.. لا.. إنه أعظم طيار في رأيي، وأعتقد أن هذه الرحلة بالطائرة سوف تفيدني كثيراً أنا وإيهاب، وبعد رحلة الطائرة ذهبنا إلى نادي الصيد، إن إيهاب من الرماة الممتازين ومهارته في الرماية تفوق ما كنت أتصور، وقد حاول إيهاب أن يعلمني الرماية وصيد الحمام والأطباق الطائرة ولكنني لا أطيق رؤية حمامة بريئة تقتل.. ولذا اعتذرت عن عدم صيد الحمام واكتفيت بإصابة الأطباق الطائرة، ويبدو أن لي مستقبلاً في هذا المضمار، وقد التف حولنا أصدقاء إيهاب في النادي وانهالوا علينا بالتهنئة بخطبتنا، وقالوا لي هل تعلمين أننا نسمي إيهاب الآن أبرع من يصيب الهدف، وظننت أنهم يتحدثون عن الرماية، فقلت لهم أنتم على حق فقد رأيته معكم، وضحكوا وهم يقولون أنت



الهدف، لقد فشل الكثيرون، كنتِ تعتذرين عن عدم الخطبة، ونجح إيهاب. وضحكت معهم من أعماقي...

الأحد....

"انتهى تدوين ماجدة لأدق تفاصيل حياتها ومشاعرها في تلك الأيام". وتستكمل قائلة: أقيم احتفال الخطبة بعد تلك التدوينات بيوم واحد في حفل أقيم على ظهر الباخرة "الدلتا"، التي كانت راسية على شاطئ النيل، وقد كان الحفل رائعاً، ارتديت فيه فستاناً تكلف خمسمائة جنيه، وقدم لي إيهاب خاتم الخطبة من الماس، وكان ثمنه خمسة آلاف جنيه، ولكن سرعان ما انقلب الحفل إلى مباراة في كرة القدم، راح المدعوون يتحدثون عن كرة القدم، وانقسموا إلى فريقين: فريق يشجع النادي الأهلي، بقيادة تحية كاريوكا وبمساعدة زوجها المخرج الإذاعي فايز حلاوة، وآخر يشجع نادي الزمالك، بقيادة هدى سلطان وزوجها فريد شوقي، وكانت تحية في قلب الهجوم، وكانت قذائفها تنطلق لتصيب الأعداء، أي مشجعي نادي الزمالك، فكان علي الزرقاني عبارة عن ميكروفون يردد كل كلمة هجوم تنطلق من بين شفتي تحية، كان عبدالحليم حافظ آخر مدعو جاء إلى السهرة، فاستقبل بالقبلات من الجميع، وبعد أن بارك لي ولإيهاب انضم إلى فريق تحية بوصفه من مشجعي النادي الأهلي، ليغيظ مشجعي الزمالك، ويقول لهم "الأهلي وبس"، ولم يستطع مشجعو الزمالك أن يردوا على مشجعي الأهلي، وعلى رغم أنه كان هناك جلال معوض وزوجته ليلى فوزي، واللاعبون حنفي بسطان وعلي قنديل من الزمالك. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يردوا على هجمات تحية كاريوكا، وكان هناك من بين المدعوين رمسيس نجيب، ولبنى عبدالعزيز، وفطين عبدالوهاب، ومحمود فوزي، ورشدي أباظة، الذي جاء متأخراً وانضم إلى مشجعي الزمالك، وقال بعد احتسى الكأس العاشرة "مين يا



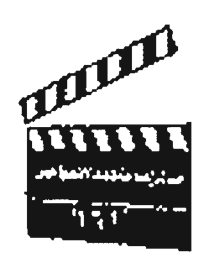
ولاد البواطيش اللي بيهاجم الزمالك"، فردت عليه تحية قائلة بتقول أيه يا سي رشدي، ناقص كمان تقول إنك زملكاوي، وأنت لا تفهم أي شيء في الكرة، وبعد ذلك بلع رشدي ريقه ولم يستطع أن يرد على لسان تحية الطويل، فتركها وراح يحتسي الكأس الحادية عشرة، وكان يقف بجانبه صلاح ذو الفقار، الذي آثر الصمت، على رغم أنه زملكاوي.. فلقد كانت ليلة جميلة وممتعة، ملأها المرح والسرور، وحضرها الكثير من زملائي وزميلاتي بالوسط الفني، وكان الغريب فيها أن تحية كاريوكا كانت تجلس ومعها على مائدة واحدة كل من تزوجتهم، سواء السابقين، أو زوجها الحالي فايز حلاوة، وكانوا جميعاً سعداء لسعادتي من قلوبهم...

إن إيهاب كان إنساناً لطيفاً وهادئاً و"جنتلمان" جداً، وذكياً لبقاً، يحترم الناس، وميزته أنه كان يحترم حتى أعداءه، وقد شعرت بالارتياح نحوه، ويقولون إن المحبين في فترة الحب أو الخطبة التي تسبق الزواج يمثلان على بعضهما البعض، وكلاً منهما يرسم لنفسه شخصية فتى الأحلام وشريك الحياة المنشود، حتى إذا ما تم الزواج ظهرت العيوب عندهما، ولكني كما عرفته قبل الخطبة عرفته بعدها، وكان عيبه الوحيد هو انه كان صريحاً زيادة على اللزوم، حتى أن نسبة الصراحة عنده تبلغ أعلى النسب والمعدلات، والصراحة عندما تتجاوز هذا الحد تكون متعبة.. ولكن الحقيقة تقال، لقد شعرت بعد حفل الخطبة أن كل شيء في حياتي بدأ يتغير منذ أن همس في أذني بعد الخطبة بأيام ونحن ذاهبين للطائرة قائلاً لقد اخترتك من دون نساء الأرض لتكوني شريكة حياتي، وأغمضت عيناى في استسلام لذيذ، ولم أشعر إلا وهو يمسك بيدي إلى سيارتي ثم ينطلق بي إلى المطار، حيث استقل طائرته الخاصة، وأنا إلى جواره، ولفرط سعادتي تناسيت المغامرة التي تنتظرني في السماء، وعندما بدأت الطائرة ترتفع فوق المباني، وتعبر النيل، وتصعد شيئاً فشيئاً لتختفي بين طيات السحاب، استفقت على نفسي فنظرت إليه في قلق وخوف، ولكن إيهاب



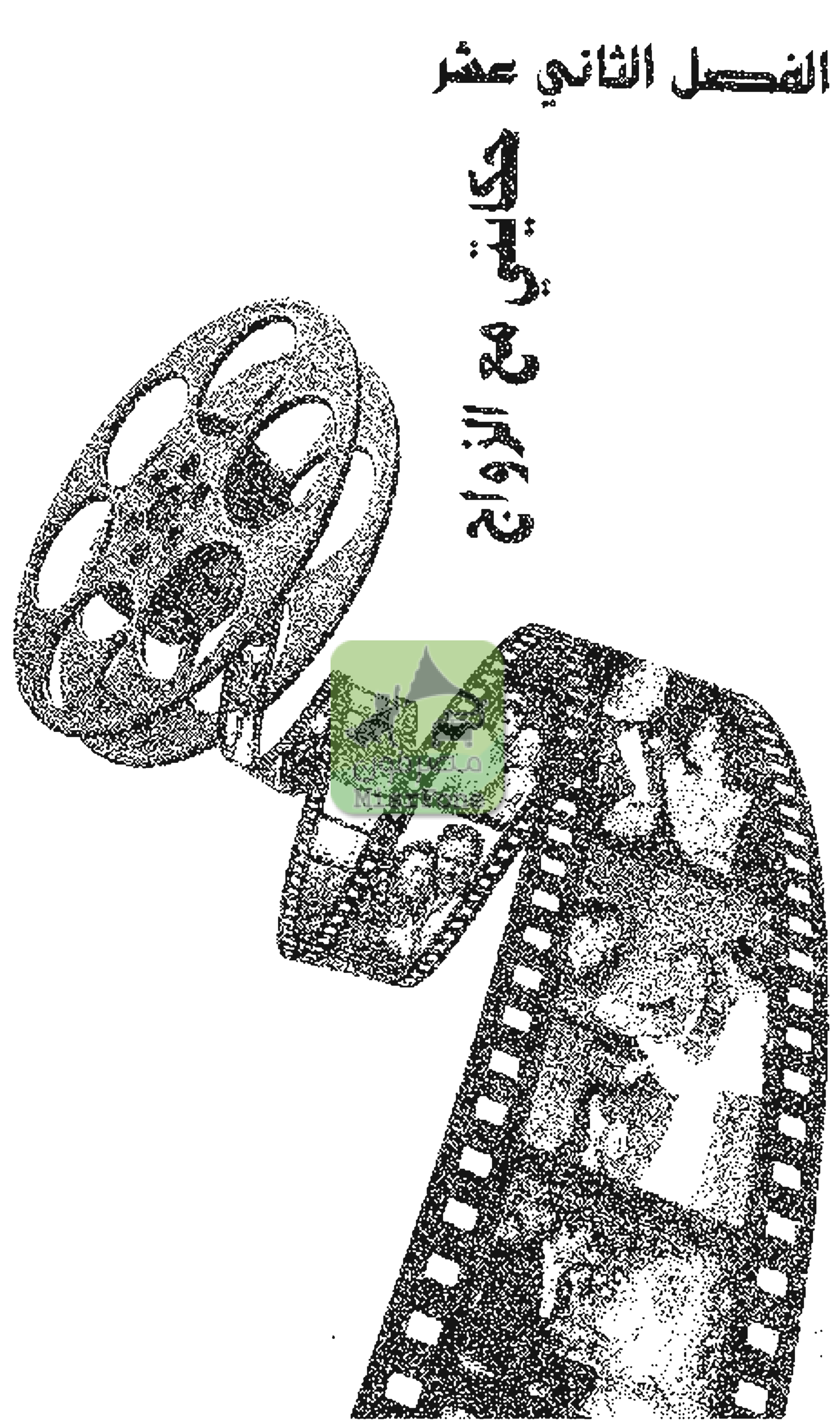
وهو يتأملني في شفق وينظر إلى عيناي في حنان، أعاد إلى نفسي المضطربة الهدوء والاطمئنان. فأغمضت عيناي في إغفاءة حالمة، في الوقت الذي كنت فيه استسلم لشتى الصور والخيالات الحلوة، كانت همسات إيهاب، الفارع الطول، تتساقط على قلبي برداً وسلاماً وتبعث في نفسي الغبطة والنشوة والطائرة تنتقل في أرجاء السماء الفسيحة، كأن العالم كله لا يتسع للحب الذي في قلبي، فآثرنا الابتعاد عن الناس والهروب إلى السماء، حيث لا رقيب ولا عزول، وعندما عدنا إلى الأرض ذهبت إلى منزلي لألقي برأسي فوق وسادتي وأنام، اكتشف شيئاً جديداً بدأ يدخل حياتي ويحوّل دنياي إلى عالم آخر. وعرفت للمرة الأولى طعم الحب ولونه وشكله. حتى وأنا أغمض عيناي لأنام كانت الأحلام تطوف فوقي أطيافاً وراء أطياف، تصور لي أي جديد ينتظرني، وأي سعادة هي التي تحملها لي الأيام المقبلة...





الفصل الثاني عشر

حكايتي مع الزواج



- حسن الإمام وعبدالحليم حافظ تسببا في تأخير ليلة الزفاف، وأمي سافرت إلى الكويت لتشتري لي فستان الفرح...

- إيهاب نافع دفع المهر ٢٥ قرشاً، وشقيقي مصطفى كان وكيلي، ووالدي وقّع على وثيقة الزواج...

- الدكتورة بنت الشاطئ اعتذرت عن عدم حضور حفل الزفاف، لأنها لا تملك فستان سهرة...

- والدتي فقدت الوعي من شدة الزحام، وانقلب الفرح إلى بكاء بسبب شقيقي مصطفى...

- حضر حفل الزفاف خالد وزكريا محيي الدين، وفي الصباح أرسل الرئيس عبدالناصر هدية الزواج "ماكيت لمركب ناصر"...

- قضيت شهر العسل أنا وإيهاب وشاهدنا:

في لندن: فيلم "سقوط الإمبراطورية الرومانية"، مثّل فيه عمر الشريف كضيف شرف، ولكنه أعجبني فرفع رأس الممثل العربي عاليا...

وفي باريس: تخفينا خشية من المتعصبين الفرنسيين، ولكن ظهرت لي صورة تحت عنوان "بطلة جميلة تزور باريس"، ولفت نظري الدعاية الإسرائيلية "زوروا إسرائيل جنة الشرق"، تحت صورتين لفلسطين قبل وبعد اغتصابها...

- للمرة الأولى أكشف وأُخرج تسع رسائل كتبها لي إيهاب نافع من دول مختلفة في العالم...

- سألني قلبي لماذا لا تتزوجين يا ماجدة؟ وأجاب عقلي أنا لا أفكر في الزواج...

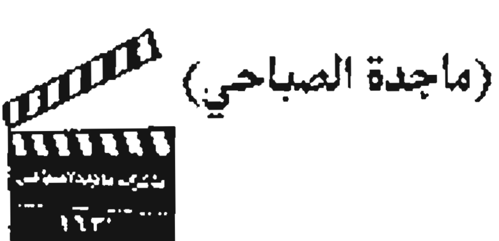
- وهذه الفرصة التي قد لا تعود؟ الزواج "قسمة ونصيب"، ولما تيجي قسمتي أتجوز...

- ما الذي تنتظرينه؟ في رأسي أفكار ضخمة ولن أستريح قبل أن أحققها...

- والحب؟ عندما يطرق الباب سوف أفتح له...

- انه لا يطرق الباب أحياناً.. ألم أقل إن الحياة كلها قسمة ونصيب، لقد رضيت بأن أنتظر نصيبي...

(ماجدة الصباحي)



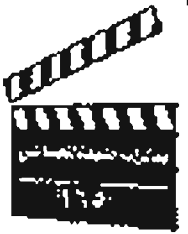
بعد تفكير طويل وعميق فيما مضى، سألت الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي عن تلك المشاعر التي كانت تسيطر عليها وهي مقبلة على عقد القران والزواج، سألتها عن الخوف الدفين القديم من الحب والارتباط، سألتها عن الطرائف التي حدثت في ذلك العرس الذي قيل عنه إنه كان أسطورياً، سألتها دون خجل عن تفاصيل ما حدث بينها وبين إيهاب في ليلة الدخلة، ضحكت ماجدة كعادتها بطريقة ضحكتها المعهودة نفسها، التي يعلمها عنها الجميع من محبيها وجمهورها قائلة...

أنت تساعدني في أن أتذكر أجمل أيام العمر. فكان من المفترض أن تتم ليلة الزواج والدخلة منذ أشهر قبل تلك الليلة، التي تمت، ولقد تسبب المخرج الكبير حسن الإمام في تأجيل ليلة الزفاف.. والحقيقة أن المخرج حسن الإمام، ملك الاقتباس في السينما المصرية، كان أسند إليّ دور البطولة في فيلم "بائعة الجرائد"، ومن غرائب الدنيا التي زادت على غرائب الدنيا السبع، هي شروط عبدالحليم حافظ، بصفته أحد أصحاب شركة أفلام "صوت الفن"، موزعة الفيلم، التي وافق عليها حسن الإمام، وكانت أن أمثل دوري بالفيلم قبل ليلة الزفاف، فقد كانوا يخشون من أن يأخذني الزواج من التمثيل، وإيهاب قال في حينها عندما علم بذلك "منهم لله الذين يعطلون زواجنا"، ولكن كانت والدتي مرحبة بهذا التأخير واستغلت فترة انشغالي بالتصوير وسافرت إلى الكويت لتشتري لي قماش



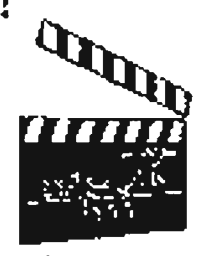
فستان الفرح وبعض الأشياء الخاصة بجهازي، حيث تعيش هناك جالية من آل "الصباحي"، على رأسهم كان خالي وابن عمتي ومجموعة أخرى من أقاربي، وانتهيت من تصوير آخر مشهد في ليلة حفلة عقد قراني، وبعد إرهاق مستمر وعمل مضنٍ كانت ليلة الزفاف بالنسبة لي أمنية ومولداً وعيداً..

وعُقد القران قبل ليلة الزفاف بحديقة فيللتنا بالدقي، وحضر الثلاث من أقاربنا، وقال إيهاب للشيخ أحمد الشرباصي، الذي أجرى مراسم عقد القران، إن المهر هو ٢٥ قرشاً فقط أما مؤخر الصداق فهو عشرون ألف جنيه، وكان وكيلي في عقد القران شقيقي الأكبر الرائد مصطفى الصباحي، وأمسك الشيخ أحمد الشرباصي مصحفاً وقرأ الفاتحة، بينما جلس مأذون قسم الدقي الشيخ عبدالحميد الأبحر في انتظار إنهاء الإجراءات الشكلية للتوقيع على قسيمة الزواج، وقد أنبت والدي للتوقيع على القسيمة، وكان الشهود عمي إبراهيم الصباحي، والدكتور حلمي عبدالشافي، أحد أصدقاء العائلة، وأهدى الشيخ لي مصحفاً محلى بماء الذهب، وبعد القران وزع الشربات، بينما دخلت أنا والكثير من العائلة في موجة من البكاء، ثم أقيم حفل ساهر حتى منتصف الليل، وكان حفل زفافي في اليوم التالي، لم يماثله إلا حفل زفاف أميرة "موناكو جريس كيلي"، فهو أول حفل زفاف من نوعه يُقام لفنانة، "فلقد جرت العادة أن زواج بعض الفنانات يتم سراً ويُكتشف فجأة دون رغبتهم في إعلانه"، وكان من أكبر حفلات الزفاف في الشرق، فقد قامت القاهرة ليلتها ولم تجلس، وأتي آلاف المدعوين والمدعوات من وكالات الأنباء في العالم العربي، وامتلأت قاعة ألف ليلة وليلة في "فندق هيلتون"، الذي أقيم به الحفل، وكان الازدحام شديداً، لدرجة أن الفندق لم يكن يتسع لموضع قدم واحدة، حتى أن أمي فقدت الوعي من شدة الزحام، ولكن أسرع إليها أشقائي وبعض أقاربي واستردت وعيها سريعاً، وأيضاً تعثر صعودي لقاعة الزفاف طويلاً واستمر لنصف ساعة حتى أعبر بعض درجات السلم، ووصلت للقاعة مرهقة بشدة، وتلقيت يومها خمسة آلاف تلغراف تحمل لي



التهنئة بهذه المناسبة، وكان أكثرها أهمية "تلغراف من الدكتورة بنت الشاطئ تعتذر فيه عن عدم حضور حفل الزفاف، لأنها لا تملك فستان سهرة، ولم ترتدِ في حياتها فستان سهرة، ولم تحضر أي حفل ساهر، وهكذا كتبت الصحف وقتها"، ولكن وسط الزغاريد انقلب الفرح إلى بكاء، وكان السبب شقيقي مصطفى فقد طبع على جبيني قبلة تهنئة بزواجي، ثم بكى فانتقلت عدوى البكاء إليّ ثم إلى إيهاب ووالدي وأشقائي وبعض أقاربي، وواحدة فقط احتفظت بأعصابها هي أم إيهاب، لم تدمع عيناها، ولم تمسك منديلاً لمسح الدموع، وكان اسمها نفيسة ذو الفقار، وحضر الحفل جميع الزملاء والزميلات بالوسط الفني المصري وبعض الفنانين العرب، وأحيا الليلة من المطربين والمطربات "شريفة فاضل، ومها صبري، وهدى سلطان، وشفيق جلال، وفرقة نوبية كانت إهداءً من الفندق"، ورقصت نجوى فؤاد وسهير زكي، وحضر آلاف من الصحفيين ووكالات الأنباء لتغطية الحفل، وحضر بعض قيادات الثورة مثل "خالد محيي الدين وزكريا محيي الدين"، وكانت تربطهما بإيهاب صلة قرابة، وأيضاً حضر الكثير من أصدقاء إيهاب الطيارين، والكثير من رجال المخابرات، لأن إيهاب كان ضابط مخابرات، والطيار الخاص للرئيس عبدالناصر، وقد كان قائده ورئيسه الرئيس السابق محمد حسني مبارك، وقد أعطى بعد ذلك صورة له لإيهاب موقعة منه، وفي الصباح التالي لليلة الزفاف أرسل إلينا الرئيس جمال عبدالناصر هدية الزواج عبارة عن "ماكيت مركب ناصر"، الذي مازلت أحتفظ به حتى الآن...

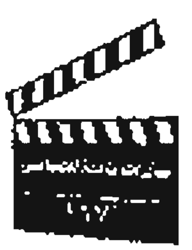
سافرت أنا وإيهاب نافع، الذي أصبح زوجي، صباح ليلة الزفاف، الذي قضيناها بالفندق، لقضاء بضعة أسابيع في أوروبا، "شهر العسل"، فقد استأجر إيهاب شقة في حي "ماربل آرش"، وهو من أجمل وأنظف أحياء لندن، وحين سألت على البواب تقدم مني رجل أنيق شديد العناية بمظهره ونظافته، وقالوا إن كل البوابين في لندن على هذا الطراز، ولا يستطيع أحد أن ينكر على الشعب



الإنجليزي نظامه التقليدي الذي يسهل الحياة ويحفظ الوقت.. الطوابير في كل مكان، لا يأخذ إنسان حق الآخر في مكانه، وحدث أن دخلت مع إيهاب أحد المطاعم، وكانت كل الموائد مشغولة، عدا واحدة جلس إليها شخص واحد ومد ساقه على مقعد، وتقدم منه إيهاب يستأذنه في الجلوس، ولكن الرجل رفض بأسلوب وقح، وبدأت مشادة بينه وبين إيهاب، وتدخل ثلاثة وأعطوا الرجل درساً لا أعتقد أنه سينساه أبداً، وحضر صاحب المحل وطرده.. واعتذر الثلاثة بأن هذا الرجل ليس إنجليزياً! ولاحظت شدة حرص المرأة الإنجليزية على وضع المكياج في الصباح بكثرة، والمرأة الإنجليزية تتزين في كل وقت بإفراط شديد كأنها مدعوة إلى حفلة.. وشهدت في لندن حفلة العرض الأول لفيلم "سقوط الإمبراطورية الرومانية"، وهو إنتاج مشترك بين أمريكا وإيطاليا وبريطانيا، ومثّل عمر الشريف في هذا الفيلم كضيف شرف، وعلى رغم صغر دوره فقد أعجبني جداً واستطاع أن يرفع رأس الممثل العربي عالياً..

شهدت أيضاً فيلم "لعنة الحب"، الذي عُرض أخيراً في القاهرة، ويبدو أن هذا الفيلم في إنجلترا كان الإقبال عليه ضئيلاً..

وقد سافرنا إلى باريس، وأقول الحق إن مخاوف كثيرة كانت تطاردني وأنا في طريقي إلى باريس، وهاجمتني ذكريات الحملات الصحفية الفرنسية عند عرض فيلم "جميلة"، حتى أن "الفيجارو" الفرنسية طالبت بإعدامي.. وتذكرت انسحاب الوفد الفرنسي من مهرجان "موسكو" منذ أربع سنوات احتجاجاً على عرض "جميلة"، وقررت أن أخفي شخصيتي حتى تنتهي الزيارة، وفوجئت في اليوم الثاني بعدد كبير من المصريين يرحبون بي، وفي اليوم الثالث ظهرت صورة لي من فيلم "جميلة" نشرتها إحدى الصحف اليومية الفرنسية تحت عنوان "بطلة جميلة تزور باريس"، وتوقعت شراً لكني وجدت ترحيباً من الفرنسيين في كل مكان وذابت مخاوفي..



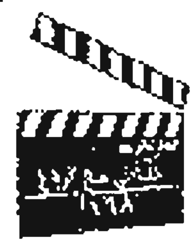
ولكن لفت نظري الدعاية الإسرائيلية الضخمة في كل مكان، فأينما سرت كنت اصطدم بلافتات أنيقة كتب عليها "زوروا إسرائيل جنة الشرق"، ومع كل لافتة صورتان لفلسطين قبل اغتصابها وبعد اغتصابها، ويحاول المغتصبون أن يوهموا العالم بأنهم غيّروا الحياة في الأرض السليبة. ولا يقف الأمر عند حد هذه اللافتات، ولكن إسرائيل تعمل دائماً وبكل الوسائل ضد الجمهورية العربية المتحدة التي يدعو لها الزعيم جمال عبدالناصر.. وقد التقينا سائحاً أرجنتينياً. وخلال الحديث وجه سؤالاً إلى إيهاب عما إذا كنا أحدثنا جديداً غير الأهرام وأبو الهول؟! ودهش إيهاب من طريقة إلقاء السؤال التي تنطوي على سخرية نتجت عن تأثر هذا السائح بالدعاية الإسرائيلية. ورد عليه ذاكراً المصانع الجديدة، والسد العالي، ودعونا هذا السائح بعد ذلك إلى عرض خاص شهد فيه فيلم "الحقيقة العارية"، بعد أن صورناه، وقد عقدت الدهشة لسان هذا السائح عندما شهد الحياة الصاعدة في مصر، خصوصاً عملية بناء السد العالي، الذي يعتبر أعظم مشروع إنساني في القرن العشرين..

وعدت إلى القاهرة بعد ذلك في حالة من الفرحة الشديدة والحلم..

ثم سافر إيهاب بعد ذلك في عام ١٩٦٧ في رحلات للخارج، وكان يرسل لي خطابات من لندن ولوس أنجلس ونيويورك، وهذا أكشف عنها للمرة الأولى وكان نصها...

أثناء العمل.. قبلاتي من لندن...

أنا هنا أفكر فيك ليلاً ونهاراً، الآن صورتك التي حملتها معي من القاهرة دائماً أمامي.. أرجو أن تكون صحتك على ما يرام، وتنفذي تعليمات الطبيب بكل دقة وعناية، إنني أعد الأيام بل الساعات الباقية على موعد حضوري إلى القاهرة لألقاك.. نتائج تحميض الفيلم بدأت تظهر وهي تبشر، كما أكدوا لي بنتائج



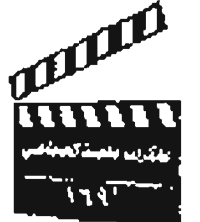
هائلة، الجو هنا ممطر والبرد شديد جداً، ولكن لا يهمك.. قبلاتي.. وحبي لقطتي الحلوة، وللثالث القادم في الطريق.

☐ ٢٩ أكتوبر...

حبيبتي.. حلمي الجميل.. أملي.. أكتب إليكِ من لندن بعد وصولي بساعات، وقد وصلت إلى مطار لندن ووجدت في استقبالي صديقي مستر بيتر وزوجته، وطبعاً أنت تعرفينهما جيداً، إن بيتر صاحب شركة الطيران التي كنت أعمل بها، وزوجته سألتني عنك وكانت تتمنى لو كنت معي في زيارة لندن لتعيدي معهم الأوقات السعيدة التي قضيناها معك في "ماريل آرش"، ولقد تحدثت مسز بيتر عنك كثيراً جداً. وكانت مفاجأة حلوة حين وجدت صورتك التي أهديتها لها في مكان بارز عند مدخل شقتها الفاخرة في طريق المطار.. على فكرة عرض عليّ مستر بيتر أن أقيم في الشقة نفسها التي أقمنا بها أنا وأنت في حي "ماريل آرش"، ولكنني اعتذرت وفضلت الإقامة في إحدى الاستراحات القريبة من مقر شركة الطيران، لأنني استعد للسفر إلى لوس أنجليس.. قبلاتي لغادة.. وأرجو ألا تكثري من ملابس الشتاء فوق جسمها فهذا مضر جداً..

☐ ٢ نوفمبر...

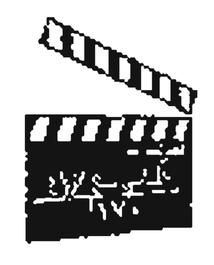
هل تعلمين يا قطتي من أين أكتب لك.. إنني أكتب من فندق "لوس انجليس"، وهو أكبر فندق في المدينة، يصل عدد طوابقه إلى ١٥٢ طابقاً، وقد عثرت بصعوبة على غرفة في الطابق رقم ٨٦، تخيلت فور صعودي إلى هذا الطابق أنك معي، وقد أغمي عليك من شدة الخوف من هذا المكان المرتفع.. وتذكرت ما حدث لنا في لندن، حينما صعدنا إلى العمارة المرتفعة، وأنك صرخت حين نظرت



من الشباك، ورأيت الارتفاع الهائل.. عندما وصلت إلى مطار لندن وجدت في استقبالي مستر شيلتون والسيدة زوجته وبعض الصحفيين الذين التقطوا لي صوراً كثيرة، وقدمت لي مسز شيلتون باقة ورد جميلة ودعتني إلى تناول الشاي في بيتها بعد أن أوصلتني هي وزوجها إلى الفندق.. وفور أن أنتهي من كتابة هذا الخطاب سأغادر "اللوكانده" في سيارة مستر شيلتون إلى بيته لتناول الشاي..

□ ٥ نوفمبر...

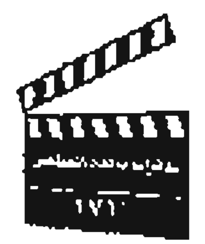
في الأيام الثلاثة التي انقضت على وصولي إلى لوس أنجليس حضرت أكثر من عشر حفلات.. إن مستر شيلتون شخص اجتماعي جداً يتمتع بمكانة طيبة في المجتمع الأمريكي.. شوقي يا قطتي العزيزة سأصف لك بيت مستر شيلتون، بعد أن انتهيت من كتابة خطابي السابق لك ركبت السيارة التي قادها سائقها بسرعة جنونية.. وأنا راكب السيارة قلت فين "ماجي" كانت تصرخ لو شافت السرعة الجنونية دي: وبعد عشر دقائق بالسرعة الجنونية - وصلنا إلى ربوة عالية فيها قصور عدة جميلة، بينها القصر الذي يقيم فيه مستر شيلتون وزوجته، وقد دعاني مستر شيلتون للطواف بالقصر، إنه في الحقيقة تحفة جميلة جداً، مكون من ١٤ غرفة في طابقين: كل قطعة أثاث في البيت تنطق بالذوق الجميل: اللوحات جنان يا ماجي: وكل ما أبص للوحة أقول لنفسي: آه.. يا سلام لو ماجي شافت اللوحة دي راح تصرخ من الإعجاب.. تعرفي يا ماجي، على رغم اللي بنسمعه عن أزمة الخدامين في أمريكا وعلو أجورهم، وجدت عند مستر شيلتون حوالي سبعة خدامين بيخدموا في حفلة الشاي اللي أقامها تكريماً لي، ودعا إليها كاتب السيناريو الأمريكي: الذي طلب أن يراني ويجلس معي، ووجدت نفسي مضطراً لحضور حفلات أخرى أقامها أصدقاء مستر شيلتون للتعارف.. الحقيقة قابلت



ناس كتير في الحفلات دي وعرفت ناس كتير. وعرفت كمان حقائق مهمة وهي أن الناس دول مش عارفين حاجة عن مصر خالص. راح أحكيلك في جواباتي الجايه اللي حصل منهم، ومستر شيلتون وضع سيارة من سياراته تحت أمري. ولكن أنا بأترك السيارة في جراج اللوكانده وبنزل على رجلي أطوف شوارع لوس أنجليس، فيه يا ماجي حاجات تجنن في المحلات.. وحاجة شفتها.. نجوم زمان في هوليوود كلهم الآن بيشتغلوا بالتجارة بعد ما بيعتزلوا العمل الفني، إنني بعد ما أنتهي من هذا الخطاب سأتوجه إلى السينارست الأمريكي لنقضي مع بعض جلسة طويلة. أخبار كويسة يا ماجي راح أبعتها لك قريباً..

☐ ١٤ نوفمبر ....

أنا الحقيقة في دهشة.. أنا قلت لك عن الحفلات اللي حضرتها مع مستر شيلتون وزوجته، وأنا بندهش إزاي أغلب الشعب الأمريكي كده ميعرفش الحقائق التي تجرى حوله في العالم، الدعاية الصهيونية مأثرة عليهم خالص، لكن وحياتك يا ماجي أنا نجحت جداً في أن أعطي لكل اللي سألوني فكرة صحيحة عن الشعب المصري، الذي اختار الاشتراكية طريقاً له، وأحب جمال عبدالناصر وسار وراءه ليقوده إلى النصر.. الرئيس جمال عبدالناصر معروف جداً لكل الشعب الأمريكي، لكن الدعاية الصهيونية تصوره بأنه يحارب اليهود ويضطهدهم، فشرحت لبعض الذين قابلتهم مواقف الرئيس جمال الذي يحارب الصهاينة الذين اغتصبوا فلسطين من أهلها، وحولوهم إلى لاجئين، كمان حاجة تانية كل واحد يسألني عن مستوى معيشتنا وحياتنا الحقيقية: إحنا لازم نضاعف من وسائل الإعلام والدعاية التي تشرح حقيقتنا وحياتنا وكفاحنا وجهدنا العربي.. ماجي آسف يا روحي شغلني الكلام في السياسة ونسيت أقولك أنت وحشاني،



عندي حاجة لطيفة كل جواب أكتبه لك بسجله مع مذكراتي على الريكوردر، عندي لغاية دلوقتي حوالي عشر ساعات ونصف الساعة على الشريط، راح نسمعها سوا إن شاء الله لما أرجع لنقاهرة..

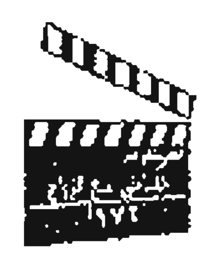
□ ١٩ نوفمبر...

سأقول لك خبراً مهمًا جداً، شيلتون يريد إنتاج ٦ أفلام في خطته سنة ١٩٦٦، على أن يصور منها ثلاثة في مصر، وثلاثة في إيطاليا والمكسيك واليونان، ولكني نجحت في إقناعه بتصوير أفلامه الستة في مصر، تصوري ميزانية الأفلام الستة راح تدخل بلدنا بالعملة الصعبة، وراح يجي مصر عدد كبير من الفنانين الأمريكيين للعمل مع السينمائيين المصريين، ده يبقى مكسب كبير لمصر والسينمات المصرية..



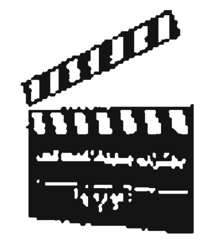
□ ٢٢ نوفمبر...

كان في الحفلة اللي عملها شيلتون نجوم كتير من هوليوود، قابلت "لانا تيرنر" وتعرفت عليها هي و"انطونيو كوين" و"روك هدسن وجين بيترز"، وكمان بنت أخت مستر جونسون رئيس جمهورية أمريكا، اللي عزمتنا على حفلة في البيت الأبيض، وأنا قبلت الدعوة ورحت مع شيلتون لزوجته وشفت وتعرفت على شخصيات لامعة في المجتمع الأمريكي، ولانا تيرنر كانت طلبت تشوف صورتك، وفعلاً قدمت لها الصورة في البيت الأبيض، وفضلت تتأمل فيها بإعجاب، وقالت لي مراتك جميلة خالص، وكمان شافت مجموعة صور غادة هي وبعض المدعوين وكانوا بيبوسوا الصور بإعجاب..



□ ٢٥ نوفمبر ...

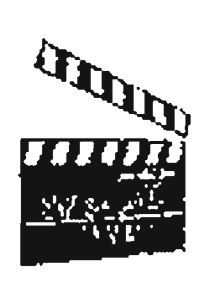
عايز أبشرك بحاجة مهمة خالص، أنا لاحظت أن محطات التلفزيون في أمريكا بتعرض الأفلام غير الأمريكية اللي فيها حاجة جديدة في القصة أو الإخراج، وطلبت من مستر شيلتون أن يعرفني بمدير مركز اختيار هذه الأفلام، وفعلاً تقابلنا في حفلة عند شيلتون وعرضت عليه فكرة عرض الأفلام المصرية في محطات التلفزيون الأمريكي، وكنت أتوقع أن يرفض، ولكن المفاجأة أنه رحب جداً: بس طلب يشوف بعض أفلام مقاس ١٦ ملليمتراً ليعرضها على لجنة متخصصة، فإذا كان ممكن ترسلي بعض أفلامك، أو الأفلام التي تشوفي أنها جديرة بالعرض في التلفزيون الأمريكي.. لو المشروع الأمريكي ده نجح يا ماجي سيكون انتصاراً كبيراً للسينما المصرية: ونقدر ساعتها نعمل أفلام تصحح فكرة الشعب الأمريكي عنا، وترد على دعاية الصهاينة، وأمس صحبني مستر شيلتون إلى بلدة قريبة من لوس أنجليس، وكانت مفاجأة لي عندما وجدت البلدة تعيش في احتفالات دينية، فقد كان هذا اليوم الذي وصلنا فيه اسمه "يوم الشكر لله"، ودهشت جداً وقلت لمستر شيلتون إني كنت أعتقد أن الشعب الأمريكي تستغرقه الأعمال: فضحك شيلتون وقال لي هذه فكرة غلط، إن كل فرد يخصص يوماً في السنة يشكر فيها الله على نعمه التي منحها للناس في الحياة.. هل تعلمين يا قمتي من أين أكتب لك هذا الخطاب، إنني أكتبه من نيويورك، وفي نيويورك ذهبت مع شيلتون لمقابلة رولد هدسون، الذي كان على موعد ليتفاوض معه للقيام ببطولة فيلم سيصور في القاهرة، بعد أن اعتذر انطونيو كوين عن الدور، لأن له شروطاً مادية معينة.. تعرفي شروط روك هدسون إيه: وهي طبعاً أقل من شروط أنطونيو كوين: امسكي نفسك شوية: طلب أول مليون دولار نقداً، و١٠٪ من إيراد الفيلم في جميع أنحاء العالم: وأن يصبح نيجاتف الفيلم ملكاً له بعد سبع سنوات من العرض الأول، والغريبة أن شركة "كولومبيا" موزعة الفيلم،



وافقت على الشروط ولم تعترض إلا على الشرط الأخير: شوفت يقي يا قطة أجور الفنانين في أمريكا أد أيه..

٢٧ نوفمبر...

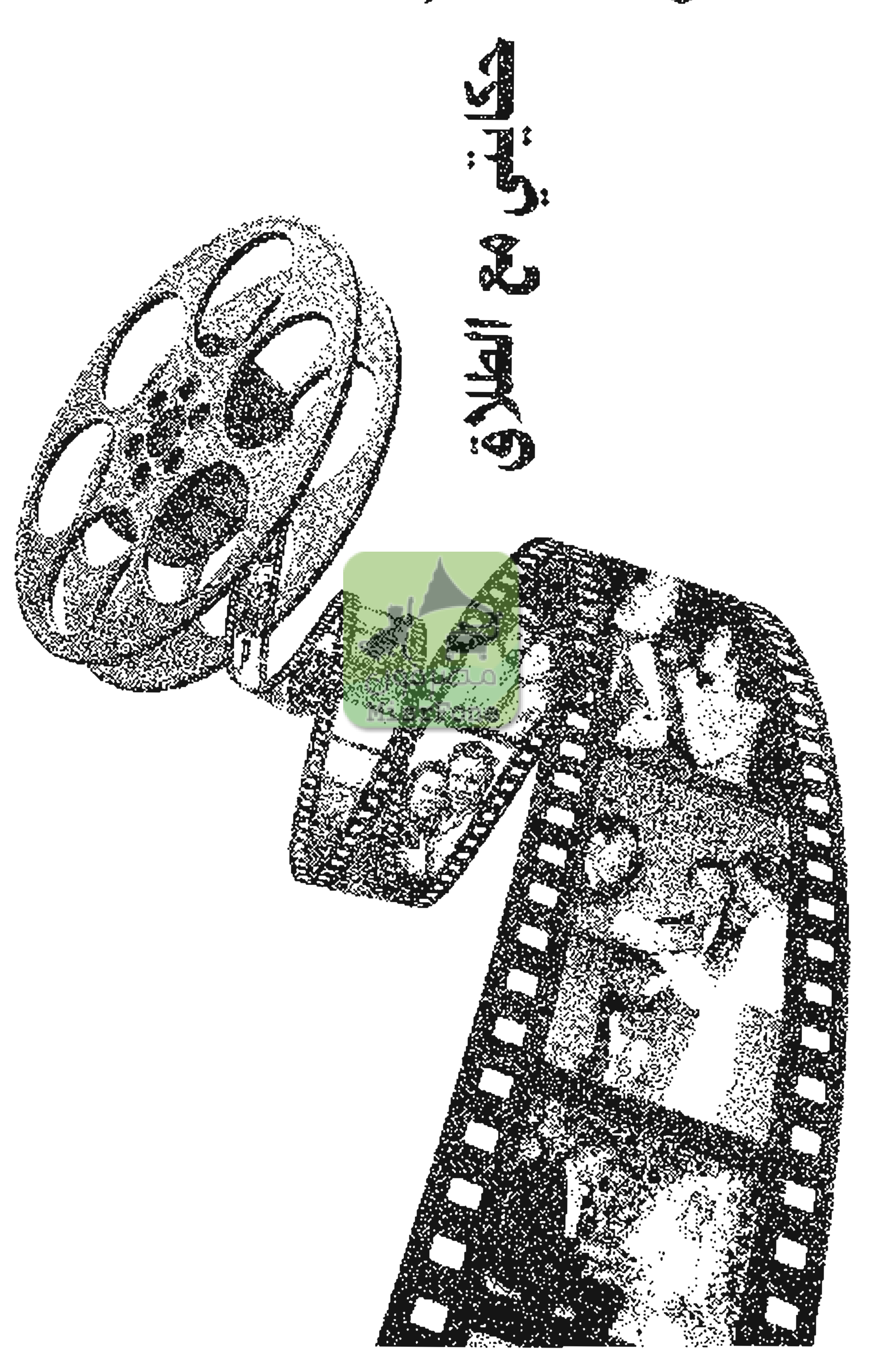
يا قطتي يا حلوة، كل ما أبعد عنك بأحس إن في حاجة نقصاني، كان لازم تكوني معايا في أمريكا، وحشتني غادة أوي، راح أضرب لك تليفون وعايز أسمع صوتها مرة ثالثة: كمان آخر مرة كلمتك في التليفون كنت مندهشة من وضوح الصوت لأن في أمريكا بيهتموا بالخط التليفوني خالص. وأنا كنت ساعتها قايم من النوم، كانت الساعة ٨ صباحاً في أمريكا في الوقت اللي كان عندك في مصر الساعة خمسة ونص بعد الظهر.. قبلاتي يا ماجي لك ولحياتي غادة.. اللي اشتريت لها لعبة راح تخليها تقلب الدنيا في البيت..




مصر فون
MisrFone

الفصل الثالث عشر

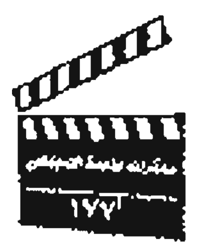
حكاياتي مع الطلاق



- بسبب تأخر إيهاب ليلاً رفضت أن يدخل الشقة، وقضى ليلته في بيت والدته...
- فقدت الوعي ونُقلت للمستشفى بسبب أحد مشاهد فيلم "الحقيقة العارية"، واستنكرت نقد موسى صبري للفيلم...
- أدخلت إيهاب نافع للوسط الفني حتى لا يعاني بعد زواجنا من عقدة "زوج الست"...
- طلبت الطلاق من إيهاب، فسافر إلى بيروت، فذهبت وراءه وجددت طلبي، فسافر إلى اسطنبول فذهبت وراءه ألح في طلبي وطلقني عندما عدنا للقاهرة...
- مذكرات إيهاب نافع تحمل الكثير من المغالطات، عكس ما أعرفه عنه، ولم أصدق ما جاء بها...
- إنني أعترف لقد أخطأت في حق إيهاب عندما لم أعطه فرصة أخرى، وأشعر بالذنب تجاه حالة الضياع التي عاناها بعد طلاقنا وحتى رحيله...

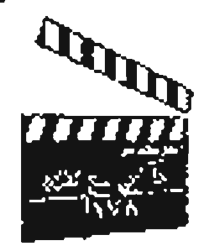
- لم يكن الزواج هدفاً أسعى إليه بقدر ما كنت أنا هدفاً يسعى إليَّ...
- أبغض الحلال عند الله الطلاق، ولكن الله أحله في حالة استحالة العشرة، رحمة منه ليكمل الإنسان تواصله النقي وحياته مع آخرين
- دائماً كنت زوجة مثالية للفن والسينما فقط...

(ماجدة الصباحي)



الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي لم تخشَ أن تجيب عن الكثير من أسئلتي التي طاردتها في كل مكان وفي كل جزء دقيق من حياتها الخاصة، توقعت أنها ستغضب وسيكون نصيبي هو الفشل، وستظل تلك المساحة الشخصية مظلمة، فمواليد برج "الثور"، وهي من بينهم، لا يحبذون ذكر التفاصيل الخاصة جداً في حياتهم، ويعتبرونها أسراراً لا يجوز إطلاع الغرباء عليها.. ولكنها فاجأتني بشجاعتها وصراحتها التي ظهرت وهي تفرغ كل ما تبقى لديها في حقيبة الذكريات عن الزوج الأول والأخير في حياتها فتقول...

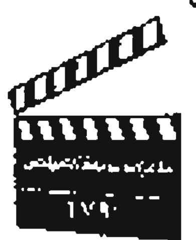
عشت في بداية حياتي مع إيهاب نافع أياماً وشهوراً من السعادة، ولكن الغريب في شخصيتي كزوجة أنني لم أكن أشعر بالغيرة عندما تتخاطفه المعجبات من الفتيات في الحفلات التي كنا نذهب إليها في بعض الأحيان، بل كنت أشعر بالسعادة لكونه أصبح نجماً كبيراً وله معجبات، كما أنه أيضاً لم يكن بطبيعته غيوراً، فقد كان كل منا يتفهم بدون أي اتفاق مسبق طبيعة ومتطلبات النجومية الفنية في التعامل مع الجمهور، ولذلك لم نكن نختلف كثيراً ولكن في إحدى المرات دب الخلاف بيننا، لأنني لم ألبِ طلبه في الساعة الثالثة فجراً بأن أسمح له أن يدخل الشقة التي كنا نعيش فيها بمساكن شيراتون، وبعد طول انتظار على الباب رحل لوالدته غاضباً، وذلك لأنني كنت في نهاية حملي، وكنت عصبية بعض الشيء، وكنت أجلس في الشقة وحدي: "فقد حصل جميع



الشغالين على إجازة في ذلك اليوم"، وقبل أن يخرج رجوته ألا يتأخر لأنني أخشى الجلوس وحدي، خصوصاً أنه كان هناك شاب يدعى "مجنون ماجدة" يقف دائماً أمام العمارة ويطاردني في كل مكان أذهب إليه...

"ضحكت ماجدة" وهي تقول: لقد كنت متحمسة لإيهاب منذ فترة التعارف والخطبة كوجه سينمائي جديد أن يتوج بالاكتشاف. وبالفعل عرضت عليه أن يشاركني بعض أفلامي ووافق؛ لقد حاولت إدخال إيهاب للوسط الفني والسينما حتى لا يُقال عنه بعد ذلك "زوج الست"، وليستطيع تقدير ما أعانيه من عملي، وحتى لا يطلب مني ترك العمل والجلوس في المنزل؛ وبالفعل كان "هجرة الرسول" الفيلم الأول له، ودخل التصوير بعد أن حصل على موافقة من جهة عمله الأساسي داخل "جهاز المخابرات"، وكنا في حينها لا نزال في فترة الخطبة. وكان الفيلم من تأليف حسين حلمي المهندس، الذي كتبه بشكل روائي واقعي وأخرجه إبراهيم عمارة، وعلى رغم أن تكلفته كانت باهظة إلا أنني قمت ببناء الديكورات للكعبة والأصنام لتضفي الواقعية على العمل، فمهما كانت التكلفة كنت أقدم عليها بروح فدائية لإيماني بالعمل الديني، ومن دون أن أنتظر مقابلاً طالما سأسهم في نجاح العمل، وعُرض الفيلم ولقي النجاح، وتقبل الجمهور إيهاب نافع: الوجه الجديد في ذلك التوقيت، ثم قمت بإنتاج أفلام دينية أخرى "عظماء الإسلام، وانتصار الإسلام"، وفي بدايتي اشتركت بفيلم "بلال"، وعلى رغم أن الأفلام الدينية لم تكن تحقق أرباحاً إلا أنني أقدمت على إنتاجها لكوني أقدم رسالة وليست تجارة...

أيضاً قدم معي إيهاب فيلم "القبلة الأخيرة"، الذي كانت قصته هي "سامي مخرج سينمائي مشهور يتبنى الممثلة الجديدة نيرة، ويقع في غرامها، وتصير نجمة مشهورة ويتزوجها، ويكبر اسمها في عالم الفن، لكنه أثناء إخراج أحد أفلامها يفاجأ بأن قصة حب شديدة تولدت بين امرأته وبين الممثل الجديد



رؤوف، فيشعر المخرج بالعجز أمام هذه المشاعر الوليدة، ويشعر بالخطر يقترب من مهنته وأسرته، فحين تصدم إحدى السيارات رؤوف تهرول إليه نيرة وترعاه، وهناك يأتي سامي ليراها وهي في أحضانه في غرفته بالمستشفى، يقرر المخرج أن يتصرف بحكمة، وألا يصرح لزوجته بأي شيء حتى ينتهي من إخراج الفيلم، وفي حفل الافتتاح يعلن لها أنه يعرف كل شيء، وتتزوج نيرة من رؤوف، ويقرر سامي أن يهب حياته للسينما". كانت قصة رائعة من تأليف إبراهيم الورداني، وإخراج محمود ذو الفقار، الذي كان ابن خالة إيهاب نافع، وعلى رغم ما كان يحمله رشدي أباظة لإيهاب دافع بسبب زواجنا، "وسبق أن ذكرته"، إلا أنه احتضن إيهاب وساعده حتى يؤدي الدور بشكله القوي الذي ظهر عليه، وتحولا إلى أصدقاء بعد ذلك، وبعد زواجنا عمل إيهاب مع سعاد حسني ونادية لطفي وفاتن حمامة وهند رستم، وكان يعرض عليّ ما يأتيه من أعمال ليستمع إلى رأيي..

ولكن يُعد فيلم "الحقيقة العارية" من أقوى الأفلام التي جمعت بيني وبين إيهاب، وكان فيلماً وطنياً وقومياً قمت بإنتاجه وسجلت فيه مراحل بناء السد العالي وآثار النوبة قبل أن تزال، وكان من تأليف الكاتب المبدع والمميز محمد عثمان، الذي بلوّر الموضوع في مشكلة اجتماعية كانت تعاني منها النساء، وهي "بيت الطاعة.. فكنت أشعر أن بسبب هذا المصطلح تحولت المرأة لسلعة، ونادى الفيلم بإلغائه لكونه يُهين ويهدر كرامة المرأة التي كرّمها الإسلام بقول الرسول (لا يكرمنهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهن اللئيم، وإني أفضل أن أكون كريماً مغلوباً على أن أكون لئيماً غالباً)". وقامت بعد ذلك الكاتبة الكبيرة "حسن شاه" بتقديم الفكرة نفسها ولكن بشكل مختلف في فيلم "أريد حلاً".. لقد كنت أتوقع أن تسهم الدولة معي في إنتاجه، ولكنها لم تقدم أي دعم أو مساندة، ولكن من أسهم بالفعل شركة عثمان أحمد عثمان، فوفرت لنا

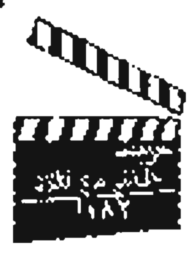


أماكن للتصوير والإقامة، وكنت أصطحب معي أكثر من ٦٠ فرداً، وجاء تصوير مشاهد الفيلم في شهري "يونيو ويوليو"، فعانينا جميعاً من الحرارة الحارقة التي كانت تصل لـ ٥٥ درجة مئوية، فكنت في بعض الأحيان أفقد الوعي من شدة الحرارة، وكنا جميعاً نضع قطع الثلج على وجوهنا، وكنا نفشل في تثبيت المكياج، حتى أن "السراير" كانت غير صالحة للنوم عليها لشدة حرارتها تأثراً بهذا الجو، فكنا نغمرها بالمياه الباردة، وكانت تجف في ثوانٍ معدودة، وعلى رغم كل هذا فكانت تأتي مشاهدنا ونحن نبتسم "فهذا ما يقاسي الفنان من الفن"، وتعطل أحد أيام التصوير بسبب أنني فقدت الوعي أثناء التصوير داخل أحد الأنفاق لقلة الأكسوجين، ونقلت للمستشفى، وانتهى الأمر على خير، ولقد تفوق إيهاب على نفسه في هذا الفيلم، وكنت أوجهه وأساعده كثيراً، ومن الطريف أن عاطف سالم، مخرج الفيلم، كان يقوم داخل حجرته، بالمركب التي صورنا عليها بعض المشاهد، بحبس عروسه الجديدة الفنانة "نبيلة عبيد" ولا يسمح لها بحضور بعض مشاهد التصوير غيرة عليها من أن يراها أحد، وبعد هذا العمل الأشبه بالعسكرية انتهى التصوير وعرض الفيلم بسينما "قصر النيل" ولقي إقبالاً لم يلقه فيلم مصري أو عربي، وعُرض الفيلم في مهرجانات عدة من بينها مهرجان "فينسيا"، ولكن لم تكتفِ الدولة بأنني تصديت لهذا الإنتاج الضخم وحدي، الذي تسبب - كما قلت من قبل - في إشهار إفلاسي، بل "كان ممدوح الليثي أحد المسئولين عندما عرض بالتلفزيون بعض المشاهد لبناء السد العالي وآثار النوبة، وعندما وجهته بسؤالي لماذا لم تنسب هذه المشاهد للفيلم؟ فأنكر في البداية قائلاً بأن العاملين بالتلفزيون هم من قاموا بتصويرها، ولكنني عندما أطلعته على وجودي داخل المشهد أكد أنه سيحقق في الموضوع!! لقد ظن ممدوح أنني أريد ماديات نتيجة عرض المشاهد ولكنه لم يعي أن ما أريده هو أن تنسب المشاهد إلى فيلمي الذي سجل بالصوت والصورة ما لم تهتم بتسجيله الدولة عن أحد أعمالها القومية"...



وعلى رغم كل ما عانيناه أثناء تصوير الفيلم إلا أن قلم النقد لم يتركنا، فكتب موسى صبري في صباح الخير.. "فيلم شاهدته هذا الموسم جعلني في حيرة من أمري وهو (الحقيقة العارية)، فالدور كله على صدر منتجته وممثلته ماجدة، إذا قلنا إنه فيلم لا يعتمد على أحداث قصة مكتملة بقدر ما يعتمد على عرض التطور الصناعي والاجتماعي في بلادنا بأسلوب الحدوتة المسلية؛ والتصوير الرائع الملون، والمغامرة الفنية الذكية إلى آفاق جديدة في حياتنا لم يتقدم نحوها منتج آخر، لأن الكثيرين يفتقرون إلى شجاعة ماجدة وفكرها المشتعل.. والشوك كله حول عنق ماجدة، إذا حاسبناها على قصة أباح مؤلفها لأحد مهندسي السد العالي أن يترك عمله في السد ويجري وراء محبوبته إلى أبو سمبل، ثم إلى القاهرة، ثم إلى الإسكندرية في أي وقت شاء. وكأنه يعمل في ورشة خاصة للنجارة. والشوك كله حول عنقها، إن السد العالي ليس مجرد صخور تُنسف أو آلات ضخمة تحارب الجبل، إنه مجتمع جديد، إنه الحب الأعظم الذي تدرب فيه العواطف الذاتية أنه أوضح علامات التطور، إنه قصة شعب جديد، والفيلم بعد ذلك عودة طيبة للمخرج عاطف سالم بعد صمت لا أعرف سببه، ومنارة ساطعة ألقت بأضوائها على نجم جديد ولد ناجحاً وكبيراً هو إيهاب نافع، وكل هذه ورود جميلة تقدمها مع باقة الشوك!"... واستنكرت نقد موسى صبري للفيلم ووجدت أنه من واجبي أن أرد عليه لأوضح له بعض الأمور فكتبت له تحت عنوان (الحقيقة الكاملة) هذا النص:

"كان بودي أن يراجع السيد موسى صبري نفسه قبل أن يكتب كلمته في "الحقيقة العارية"، فقد كان واضحاً أنه تعمد الإساءة إلى شخصي وللفيلم لأسباب لا أعرفها، ولكن النتيجة أن كلمته أساءت إليه حين أظهر معرفته العميقة بالسيناريو وتكنيك الفيلم، وأنني أتساءل لماذا أواجه بهذا العنف في النقد، بينما أضع حياتي وإنتاجي كله في خدمة المواطن العادي وخدمة حياتنا الاشتراكية الثورية؟ وإذا كنت قدمت بدلاً من "جميلة" فيلماً سطحياً لا غاية له،



وبدلاً من "المراهقات" عملاً خليعاً لا يحمل رسالة اجتماعية، وبدلاً من "الحقيقة العارية" شيئاً آخر، هل إذا كنت قدمت أفلاماً من نوع آخر، هل كنت واجهت هذا الأسلوب العنيف من نقد عملي وإنتاجي من الأقلام التي تحاول أن ترى الشوك فقط من الورد، وترى في كل شيء جانباً سيئاً وتجسمه وتغفل النظر إلى كل الجوانب الطيبة الأخرى! وقد وجدت من واجبي أن أسجل عجلة العمل الثوري في بناء السد العالي، فجعلت ذلك مجالاً للقصة تجري بين فتى وفتاة، قصة لا تحمل انحرافاً ولا تؤثر في قيمة أخلاقية، بل تمجد الحب الشريف وتدعم كل القيم العاطفية النبيلة، لقد أردت أن أنقل على الشاشة إلى المتفرجين في جميع أنحاء العالم صوراً من عظمة بلادنا وعظمة اشتراكيتنا، ولعلي كنت رائدة في مجال الانتفاع بمناطق آثارنا الخالدة، وحاضرنا الإرادي العظيم في بناء أكبر سد في العالم، فهل يمكن أن يلومني أحد على تمجيد بلادي، يكفيني أن كبار الكتّاب والنقاد الشرفاء كافأوني بما كتبوه، وقد أسفت وأنا أطالع تلك الكلمات التي تناولت عملي ولكنني أقطع بأن هذا الأسلوب يزيدني حباً لخدمة مجتمعنا الاشتراكي في ظل قائد ثورتنا الرئيس جمال عبدالناصر، ولا كلمة لي غير العمل.. ومواصلة العمل من أجل وضع السينما في خدمة الناس.. كل الناس!"...

ولكن للحقيقة لقد شعرت أن إيهاب لم يعط حياته للتمثيل فكان يعتبره مجرد مرحلة، على رغم أنه ممثل يتمتع بموهبة حقيقية، وكان أصبح ذا شعبية طاغية وأصبح مطلباً ومحط أنظار جميع شركات الإنتاج المصرية والعالمية، فكان دائماً منشغلاً برحلاته التجارية في الخارج، وعلى رغم ما كان بيني وبين إيهاب نافع إلا أن رحلاته الكثيرة هذه بعد ذلك تسببت في تثليج قلبي، وخلقت تباعداً بيننا، وأدركت في النهاية بأن الحياة على هذا الشكل لا يمكن أن تطاق، وفجرت شرارة الخلاف بيننا، وقلت له في لحظة يسودها الجنون، إما البيت



وإما رحلاتك، فلا أستطيع أن أكون زوجة مركزية، فكان إيهاب "لا يعرف الاستقرار على الأرض متأثراً بمهنته الأصلية كطيار"، وكنت أنا لا أصلح أن أكون تلك الزوجة التي تعيش لتنتظر زوجها بعد أن يقضي رحلاته في الخارج، وكان ضمن أسباب انفصالنا سماح إيهاب لأحد أصدقائه بالتدخل في التدخل في حياتنا، وفي النهاية وجدني في كل مرة يعود فيها من رحلة سفر أطلب منه أن ننفصل بهدوء، وكان يظن أنني أمزح، فعرض عليَّ أن أصحبه في رحلاته ولكني رفضت، فأمام إلحاحي الشديد في طلب الطلاق الذي كنت اتخذت قراره دون رجعة، قال لي "أنا سأرحل في رحلة إلى بيروت وسأفكر في الأمر وفكري أنت أيضاً في ابنتنا الوحيدة غادة". ولكنه غاب في رحلته فوجدني أدخل عليه الفندق ببيروت، واصطحبني للعشاء ورقصنا معاً في حب. ولكن أثناء الرقص فوجئ بي أطالبه بنتيجة تفكيره، وحاول أن يثنيني عن قراري ولكني أكدت له أني أريد أن يكون انفصالنا في هدوء ودون اللجوء لطرق ليست لائقة بما كان بيننا، فاصطحبني في اليوم التالي إلى القاهرة ووجدني أطارده بطلبي الذي لا يهدأ فأخبرني بأنه سيذهب في رحلة إلى اسطنبول، وعندما يعود سيكون اتخذ قراره وأخبرته أنا أيضاً أنني سألحق به إذا تأخر في رحلته. وبالفعل تأخر وسافرت إليه وما حدث في بيروت حدث مثله تماماً باسطنبول.. وتدخلت والدته وأخته محاولة إصلاح ما تبقى بيننا، حتى أن والدته في مشهد طريف أرادت أن تعاقبه وهي تؤكد أنه بالتأكيد بتصرفاته التي تعلمها، كان هو السبب في إصراري على طلبي للطلاق، فقالت له أريد أن أعاقبك وأصفعك على وجهك ولكنك طويل فحملها على كرسي وصفعته، وكان هذا من أطرف المشاهد التي رأيتها في حياتي. فقد كان إيهاب يحب أمه ويحترمها ويطيعها.. وفي النهاية وافق إيهاب، وعلى يد المأذون انتهى كل شيء كان بيننا كزوجين، وبكينا نحن الاثنين في تلك اللحظة، فبالفعل لحظة الطلاق تكون صعبة ومريرة حتى ولو كانت رغبتنا، وبكى إيهاب بحرقة وهو يقبل غادة عندما أمسكت بملابسه وهو



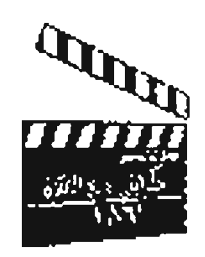
يغادر الشقة يحمل حقائبه، وبعد ذلك عانى إيهاب نفسياً لبعض الوقت وجلس فترة داخل أحد المستشفيات، ولا أنكر أنني عانيت أنا الأخرى...

ولكن على رغم ما حدث فلم تنتهِ صلة أبدية بيننا هي أنه "أبو غادة" ابنتي الوحيدة؛ فكانت معاملتنا تتمتع بالاحترام الدائم، وكان يداوم على حضور حفلات أعياد ميلادها، وفي عيد ميلادي كان يجلب لي الهدية. وقدمنا بعد ذلك معاً فيلم "النداهة" المأخوذ عن قصة ليوسف إدريس، وقام بكتابة السيناريو والحوار عاصم توفيق ومصطفى كمال، وأخرجه حسين كمال، ومن الطريف أن "لوسي" كان أول ظهورها الفني ببعض المشاهد داخل هذا الفيلم الذي قدمها للجمهور...

ولكن حياة إيهاب بعد انفصالنا كانت غير مستقرة، وكان ضائعاً وغير متزن في قراراته، فتزوج بعد ذلك إحدى عشرة مرة، وكانت كل تجربة زواج لا تستمر أكثر من عامين، وكانت ضمن زيجاته أرملة البطل المصري رفعت الجمال، أو كما يعرفه المصريون باسم "رأفت الهجان"، وكانت سيدة أعمال ألمانية، ولديها من زوجها الراحل أبناء تعاني لحصولهم على الجنسية المصرية، وحاول إيهاب مساعدتها في ذلك ولكن الدولة رفضت طلبها، وعندما مرضت اقترضت من إيهاب مائتين وخمسين ألف دولار، ولكنها رفضت أن تردهم بعد أن شفيت متعللة بأنه زوجها وهذه الأموال حق لها، وهنا حدث بينهما الخلاف الذي انتهى بانفصالهما، وعندما جاءت للقاهرة وتحدثت إلى الإعلام المصري ساقت ادعاءات كاذبة ضد إيهاب وأتذكر أنني تحدثت مع الإعلامي وائل الإبراشي، الذي سجلت معه الزوجة الألمانية حوارها، بشأن أكاذيبها ضد إيهاب، وكان وائل إنساناً نبيلاً ومثلاً مشرفاً للصحفيين والإعلاميين المصريين، وقال لي "أتعجب من ذلك الوفاء الذي مازلت حريصة عليه تجاه طليقك"، فقلت له "ذلك نابع من حرصي على عدم تشويه صورة طليقي بالكذب أمام ابنتنا"..



أيضاً كان آخر زوجات إيهاب سيدة لم تعرف الرحمة. واستغلت توكيلاً كان قدمه لها في نقل جزء كبير من ثروته وأمواله باسمها، حتى شقته التي كان يسكن بها، وكانت تسيء معاملته، وكان أصيب في تلك الفترة بشلل الرعاش، ودخل في حالة من فقدان الوعي وعدم القدرة على النطق أو الحركة، وفي هذه الفترة (**خرجت مذكرات إيهاب نافع التي هزت الدنيا، ولكنها كانت تحمل الكثير من المغالطات. عكس ما أعرفه عنه، فطوال فترة زواجنا لم أره يشرب الخمر، كما ذكرت تلك المذكرات: بل كان رياضياً ومداوماً على أداء الصلاة، والحقيقة أنه كان لإيهاب وجه آخر خفي خاص بعمله في المخابرات، ولم أكن فضولية لأعرفه ولكنه كان محباً لعبدالناصر ومؤمناً به كزعيم، ويقول لي إن عبدالناصر لا يطمئن للطيران مع غيري. فأنا لم أصدق ما جاء بمذكراته، وأعتقد أنها أمليت عليه في حالة لا وعي منه ولم يكتبها من تلقاء نفسه**)، وفي تلك الفترة عزلته تلك السيدة في إحدى غرف الشقة، وهنا اضطررت للتدخل لأنني لم أتحمل مشاهدة بكاء ابنتي وحزنها نتيجة منعها من زيارة والدها: وليس وحدها بل وأبناؤه الآخرون "الدكتور أيمن نافع من زوجته الأولى"، ووجدت أن إيهاب نافع، ذلك الفنان اليافع الجميل، نال منه الزمن وهزمه المرض اللعين فأصبح لا يستطيع محادثة أبنائه تليفونياً خشية بطش تلك السيدة، ووجدت أيضاً أنها تسيء له ولتاريخه، عندما تعلن في الصحف أنها تطالب بعلاجه على نفقة الدولة، مدعية بأنه غير قادر على الصرف، وكان ذلك منافياً للحقيقة فهو ثري وليس فقيراً، والحقيقة ما دعاني أكثر للتدخل أنني شعرت بالحزن على ما يتعرض له إيهاب من معاملة قاسية من تلك السيدة وهو فاقد التركيز والوعي. ولم أرغب في أن يُهان في أيامه الأخيرة. ونقل لمستشفى القوات الجوية وداومت على زيارته، وكان دائماً فاقداً للوعي، ولكنه عندما يفيق بعض اللحظات ويراني يبتسم لي، وكانت عادة بجواره دائماً، تقرأ له القرآن، وكان يمسك يدها ويقبلها



ويبكي؛ ولكن بعد أربعين يوماً له داخل المستشفى رحل إيهاب نافع في عام ٢٠٠٦ عن عمر ٧١ عاماً...

إنني أعترف أنني أخطأت في حقه عندما كان إصراري على الطلاق هو الحل الوحيد لما كان بيننا، ولم أعطه فرصة أخرى. إنني حقاً أشعر بالذنب تجاهه وأعترف أنني ربما كنت سبباً في حالة الضياع التي عانى منها بعد انفصالنا، وظللت أرافقه حتى أيامه الأخيرة...

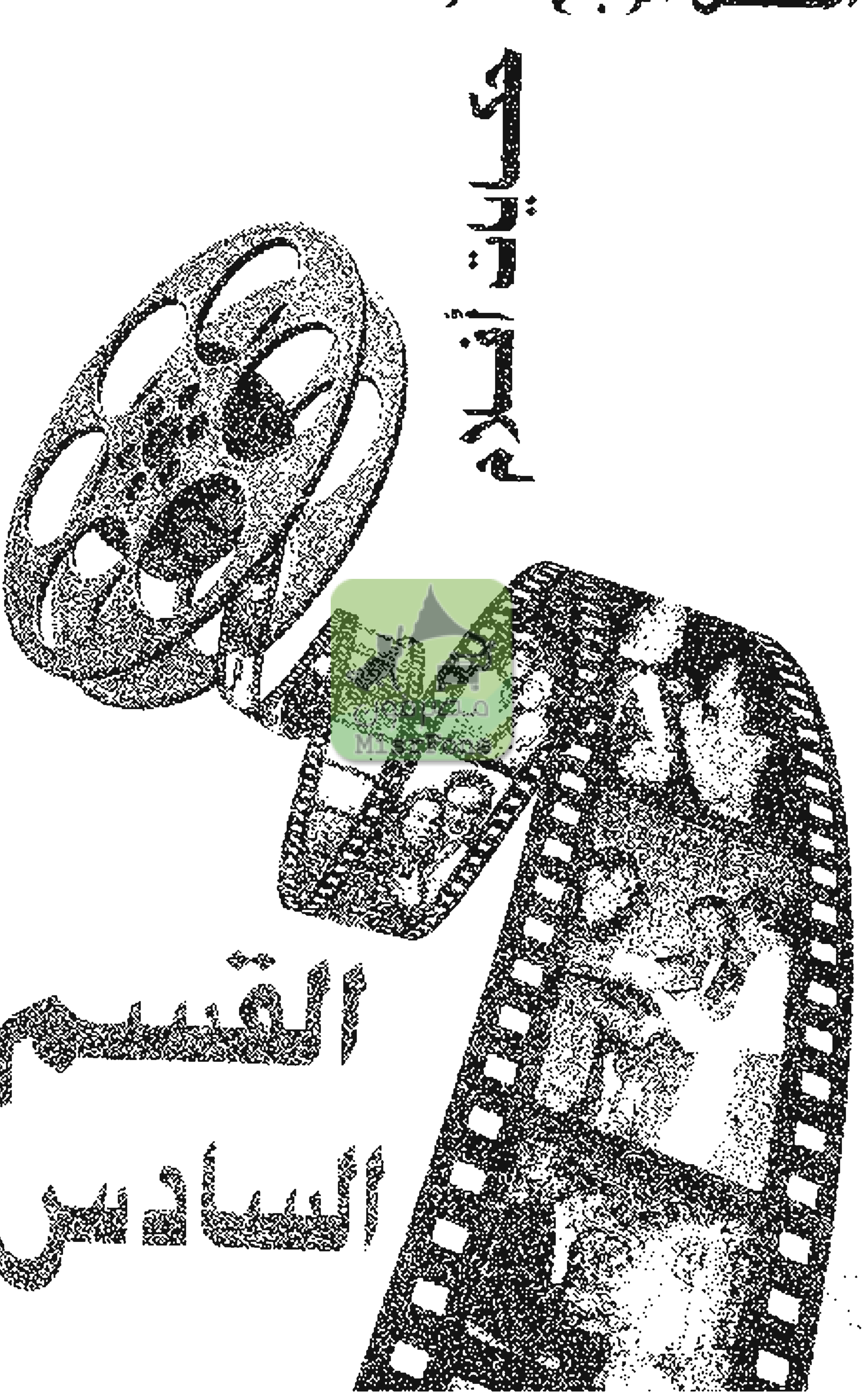




القسم السادس

الفصل الرابع عشر

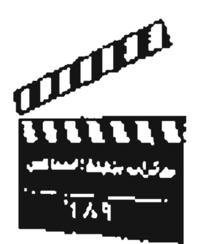
نهايات أفلام



- لم أكن أوافق على تصوير أي مشاهد في البحر، بعد تعرضي لحادثتي غرق، وأنا أصور مشاهد فيلمي "فجر وشاطئ الأسرار"...
- عاطف سالم قال لعبدالحليم حافظ أنت لا تصلح للتمثيل، وحرصي الأخلاقي منع الشائعات بيني وبين عبدالحليم...
- رفضت مؤامرة القبلة التي دبرها عاطف سالم وعمر الشريف، وتعرض عاطف لهجوم شرس بسببها...
- حسن الإمام قال لي أخرجت مائة فيلم، ولكن أخشى دائماً أفلام "الحب النظيف"، لأنها تتناول المشاعر وتحتاج إلى مجهود كبير في توجيه الممثلين...
- فيلم "من أحب" كان الإخراج الأول والأخير لي، ووجدت أن مكاني الصحيح أمام الكاميرا وليس خلفها...
- فيلم "الغريب" أحب الأفلام إلى قلبي، وفيلم "عشاق الليل" توقف بسبب إصرار يحيى شاهين على تقبيلي...
- وقفت ضد الشيخ صالح كامل وآخرين، وقلت إن تراث السينما تاريخ لا يقل قيمته عن الآثار الفرعونية، ورفضت بيع نيجاتيفات أفلامي لأنها جلدي الذي يكسو عظامي...

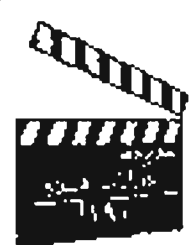
- للسينما عشت.. ولغيرها لم أتنازل
- رفضت أن أتزوج بعد انفصالي من أبو غادة، وظللت أكثر من ثلاثين عاماً أحيا بدون زواج، لأنني أحيا بها "السينما"، لأنها سجلت مراحل عمري
- أفلامي كانت ولا تزال تحمل أفكاري ومعتقداتي، ولم أقبل على الإنتاج إلا لأقدم ما أحب..

(ماجدة الصباحي)



ربما لا يشعر جمهور السينما في مصر كيف يعاني صنّاع تلك النوعية من الفن حتى يخرج الفيلم السينمائي كما نراه في شكله النهائي على شاشات السينما والتلفزيون، خصوصاً تلك النوعية من الأفلام التي تنتمي لزمن الفن الجميل، لقد كانت إمكانات صناعة الفيلم في تلك الفترة من الزمن بسيطة جداً، وهذا كان يؤدي إلى مضاعفة مجهود الممثلين والمخرجين والكتّاب والفنيين لكي تخرج لنا تلك الأعمال الخالدة التي مازالت تعيش في وجداننا، وأكبر دليل على نجاحها أن القدر الأكبر من مشاهديها الآن ينتمون لفئة الشباب، وكان هذا الإقبال يسعد كثيراً الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي، التي عملت في تلك الصناعة منذ أكثر من أربعين عاماً، وكان كل ما تنتظره رضا واستفادة الجمهور نتيجة تلك الأعمال، وهنا تقول ماجدة الصباحي...

ضحيت بعمري من أجل الارتقاء بصناعة السينما لم أر غيرها فكانت همي الأول والأخير لكونها سجلت مراحل عمري "المراهقة، والناضجة، وربة الأسرة". ومازلت أحمل داخل ذاكرتي الكثير عن أفلامي، فها هي تفاصيل أحد أفلامي الأوائل تظهر أمام عيناي وكأنني كنت أصور مشاهده بالأمس، فكان فيلم "فجر"، إنتاج عباس فارس، وإخراج عاطف سالم، من أكثر الأفلام إثارة في حياتي، فقد كدت أفارق الحياة غرقاً وأنا أقوم بتصوير أحد المشاهد في البحر بكفر الزيات، فكان دوري أنني ابنة أحد عمال التحويلة المسئولين عن تحديد



وتنظيم حركة سير القطارات، وتنشب بيني وبين بطل الفيلم جمال فارس قصة حب، وفي أحد المشاهد التي كنا نصورها في مركب صغير على شاطئ البحر فقدت توازني ووقعت في مياه البحر التي كانت المركب تعمقت داخله دون أن نشعر، ووجدت نفسي أغرق وأغوص في قاع البحيرة، ولأنني لا أجيد السباحة، نزل ورائي مسرعين غطاسو الطوارئ الذين يوجدون أثناء تصوير أي مشاهد في البحر، واستطاعوا الإمساك بي وكنت فقدت الوعي، وعندما رد إليّ وعيي وجدت نفسي داخل المستشفى في حالة يرثى لها، فكانت المياه غير نظيفة وظللت بالمستشفى أياماً عدة...

لكن على العكس من ذلك الموقف المأسوي، كان من المواقف والصدف السعيدة المرتبطة بهذا الفيلم، أنني قابلت للمرة الأولى عبدالحليم حافظ، وكان هذا اللقاء يسبق فيلم "بنات اليوم" بأربع سنوات، فكان حليم حينها مجرد مطرب يحاول أن يجد له فرصة في السينما، وكنت وقتها أشارك في بطولة الفيلم، وجاء عبدالحليم إلى الاستوديو لمقابلة المخرج، ولكن عاطف سالم لم يقتنع به وقال له إنه لا يصلح للتمثيل، وكل ما يستطيع أن يفعله له هو أن يمنحه فرصة الغناء فقط في ذلك الفيلم، إذا وجد صوته يتناسب مع إيقاع الفيلم، غير أن الظروف شاءت أن يصبح عبدالحليم، بفضل موهبته وذكائه، نجماً لامعاً، وحينما التقيته في فيلم "بنات اليوم" وجدت أنه من الذوق والكياسة ألا أذكره بتلك الواقعة، فكان عبدالحليم شديد الإخلاص لفنه والتزامه ومضرب المثل، فكنت أجده يأتي أول فرد في فريق الفيلم، وربما يكون آخر من يغادر الاستوديو، وكانت لديه القدرة بما أوتي من سياسة وذكاء على أن يجعل الآخرين يشعرون، كلاً على حدة، بأنه صديق لهم، والأهم من ذلك أنه كان صادقاً إلى أقصى درجة في أدائه التمثيلي وغنائه، لذلك جاءت كل لقطة وكل أغنية داخل الفيلم تحفة سينمائية في ذاتها، وأتذكر أغنية "أهواك" التي غناها عبدالحليم لي بعد ذلك في "بنات اليوم"، فإن الموسيقار محمد عبدالوهاب، ملحن الأغنية، ظل يصرح لسنوات



عدة بأني كنت أفضل ما تستطيع التعبير عن الصورة السينمائية المصاحبة للأغنية، ولم أكترث للإعلان التلفزيوني الذي ظهر في فترة سابقة واستعار صوت وصورة أغنية "أهواك": فقد رأيت في ذلك دليلاً جديداً على استقرار نجاح الأغنية، على رغم مرور سنوات طويلة عليها. ولكن الظروف وربما أشياء أخرى، لا دخل لي بها، حالت دون قيام صداقة رائعة بيني وبين عبدالحليم، وأن التزامي الشديد وحرصي الأخلاقي وقفا في وجه أي شائعة كان من الممكن أن تربط بيني وبين عبدالحليم، مثلما حدث مع زميلات من الممثلات الأخريات...

قلت للفنانة ماجدة أريد أن نتحدث عن أكبر قدر من أفلامك الأخرى: فقالت وهي تبتسم: مازلت أتذكر تجربتي الرائعة مع الموسيقار فريد الأطرش في فيلم "لحن الخلود": وقد كان عن قصة وحوار يوسف عيسى: سيناريو وإخراج هنري بركات، وشارك فيه كل من "فاتن حمامة ومديحة يسري وسراج منير": وملخص قصته هو "أن وحيد ملحن مشهور يبحث عن الحب الصادق: يلتقي وفاء ابنة أحد أقاربه التي تحبه منذ الصغر، لكنه يترجم هذه العاطفة بحنان الإخوة، يموت أبوها فتذهب هي وشقيقتها لتعيشا في كنف وحيد، الذي يتزوج من سهام: وبمرور الوقت يشعر وحيد بالحب نحو وفاء"؛ ولم يرتبط الفيلم معي بذكريات يمكن أن أرويها غير أن فريد الأطرش كان زميلاً شهماً وإنساناً إنطوائياً ولطيفاً وطيب القلب، وكنا نتبادل فيما بيننا كل الاحترام والتقدير...

وضمن الأفلام التي أعتز بها فيلم "بين أيديك": تأليف الدكتور مصطفى محمود وإنتاج وإخراج يوسف شاهين، على ورغم ما كان بيني وبين يوسف شاهين أثناء تصوير فيلم "جميلة" إلا أن المشاكل الفنية كانت دائماً تنتهي بانتهاء تصوير الفيلم. ورحبت بطلبه بقيامي ببطولة الفيلم، وأذكر أنني بعد ذلك رفضت في بداية طلبه لي بالقيام بدور ضيفة شرف في فيلمه "حدوتة مصرية" ولكنه أقنعني بقوله "من غير المعقول أن آتي بفنانة تقوم بدور ماجدة وهي مازالت على

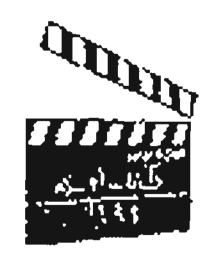


قيد الحياة"، وبالفعل شاركت معه بمشهد. وكان محتواه أنني ذاهبة لروسيا بشخصيتي الحقيقية، وكنت أرتدي فستاناً أحمر سواريه.. (وهنا سألت الفنانة ماجدة هل أنت شيوعية؟) فقالت لم أكن في يوم من الأيام شيوعية ولكني أيضاً لم أكن ضد الشيوعيين، فأفكاري كانت قريبة لهم، فأنا أؤمن بحق الفرد في أن يحصل على حقوقه كاملة، وعلى رغم هذا فلم أنضم يوماً واحداً للاتحاد الاشتراكي، بينما وافقت بعد ذلك على أن أكون مقررة لجنة السينما بالحزب الوطني الديمقراطي بعد محاولات كثيرة لإقناعي بذلك، وكان قبولي من أجل خدمة السينما، وعلى رغم ذلك لم أكن عضوة بالحزب الوطني ورفضت الانضمام لأي حزب. وكنت دائماً أقول إن حزبي هو مصر وترابها...

وفي مشواري السينمائي مع الأفلام اشتركت في فيلم "حرب اليمن"، الذي لم يحصل على حقه الطبيعي حتى الآن، على رغم قيمته الفنية العالية، وكان السؤال الأساسي الذي يطرحه ذلك الفيلم يدور حول العلاقة بين الحب والحرية؟ وكيف يمكن أن تتحول قصة حب بسيطة إلى ملحمة من ملاحم الكفاح الشعبي من أجل الكرامة الإنسانية؟ فلقد كانت السينما العربية تضع خطاها على طريق الثورة السينمائية التي تقودها الشركة العامة للإنتاج السينمائي العربي، وقدمت وقدمت معها إجابة حية عن هذا السؤال في تجربة مهمة وخصبة من تجاربها الرائدة، ولو أن إنساناً طرح مثل هذا السؤال، آن ذاك، على بعض الذين كانوا يتصدون للإنتاج السينمائي في مصر لما استطاع أن ينجو من السخرية والتهكم، ولكن السينما العربية التي كانت تجدد نفسها وفكرها بالثورة أصبحت تملك القدرة على اقتحام قضايا الإنسان العربي المعاصر، وعلى الالتحام التحاماً مباشراً مع أمانيه القومية والوطنية، إن فيلم "ثورة اليمن"، الذي أنتجته الشركة العامة للإنتاج السينمائي العربي "فيلمنتاج"، إنما كان يضرب المثل على أن السينما في بلادنا لم تعد تعترف بالعزلة ولا بالمغامرات الفردية التافهة، ولا بقصص الحب الرخيص، لقد انطلقت "فيلمنتاج" بفيلم ثورة اليمن إلى أفق جديد وفهم جديد



لرسالة الإنتاج السينمائي، وبذلت جهداً كبيراً لتحقيق أكبر قدر من الواقعية في هذا الفيلم. فمن واقع قصة النضال الشعبي في اليمن ضد الأئمة والفساد والطغيان أخذت قصة الفيلم، وعلى الطبيعة فوق أرض اليمن وبين رمله وجباله وداخل قصور الأئمة وبيوت الشعب، وفي أماكن المعارك، من كل هذه المعالم الواقعية أخذت مناظر الفيلم بالألوان وبينها دارت أحداثه، حتى ليحس كل من يشاهده بأنه في رحلة سياحية ممتعة ومثيرة يزور فيها معالم اليمن التاريخية. إن الفيلم يزخر بكثير من الإمكانات والأبعاد الإنسانية العاطفية والنضالية، فمن خلال قصة حب بسيطة بين شاب وفتاة تدور أروع أحداث البطولة والحب، الحب الذي يتحول إلى تضحية وظل يكبر حتى يسعى وطناً بأسره، ثم يظل يلهب وجدان الناس ويعبئهم ويفجر رغبتهم في الثورة على جلاديهم، وكان ذلك من خلال شاب تلقى تعليمه الجامعي في القاهرة ثم عاد إلى اليمن ليخدم أهله وبلده، ولكنه يجد أن العلم لم يعد هو مجال الخدمة التي يجب أن يقوم بها، ولكن مجالها الوحيد هو الكفاح ضد طغيان الأئمة، لقد عاد الشاب إلى اليمن ليجد أن الإمام ذبح أفراد قبيلته جميعاً ولم يبق منهم إلا فتاة واحدة هي حبيبته، ويلتقي الحبيبان ولكنهما لم يستسلما لدفء اللقاء. إن شرارة الحب في جوانحهما تنطلق لتشعل نيران حب أكبر وأقوى هو حب اليمن والإصرار على تحريره من حكم الطغاة. وبكل ما أودعه الحب فيهما من شجاعة وإيمان يتحول الحبيبان إلى الكفاح الوطني والعمل السري استعداداً ليوم التحرير، ومع مسيرة الكفاح يفاجأ الحبيبان بالفراق. لقد وقعت أحداث كان من نتيجتها أن يفترقا وأن يعتقد كل منهما أن الإمام قتل زميله، وتتوالى أحداث الفيلم يتخللها صراع لا يهدأ بين قوى الخير وقوى الشر حتى ينتصر النور على الظلام.. لقد نجح الحب في تعبئة شعب اليمن للثورة وأثبت الحب أنه لا حرية بدونه وأنه لا يعيش ويكبر إلا في قلوب الأحرار، وفي الموكب الذي خرج غداة النصر على الطغاة يلتقي الحبيبان من جديد بين صفوف الشعب الثائر، وتكون روعة اللقاء



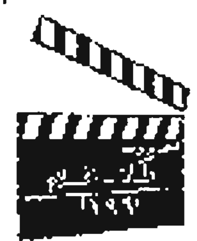
وروعة الانتصار.. الفيلم شاركني في بطولته عماد حمدي وحسن يوسف وصلاح منصور وصلاح قابيل وحسن البارودي وعمر ذو الفقار، وقصة الفيلم كانت لصالح مرسي، وسيناريو حوار علي الزرقاني، ولكنه أيضاً دخل في مجموعة الأفلام التي ظلمت ولم تحصل على حقها الطبيعي في العرض على شاشات التلفاز دون إبداء أي أسباب لذلك..

كدت أتعرض للموت غرقاً، للمرة الثانية، أثناء تصوير أحد مشاهد فيلم "شاطئ الأسرار" في بحر بورسعيد، وكنا داخل البحر نستقل مركباً والكاميرات والمخرج يستقلون مركباً آخر، وفجأة ظهرت باخرة عملاقة، ولم نشعر أن المراكب الصغيرة التي نستقلها تجذبها الدوامات التي تصنعها الباخرة حولها أثناء السير، ووجدت نفسي أصرخ عندما كدنا نفقد السيطرة على المراكب، وتعرضنا جميعاً للموت غرقاً، ولكن كانت رحمة الله بنا كبيرة واستطعنا في اللحظات الأخيرة السيطرة على المراكب والابتعاد عن الباخرة، وبعد ذلك كنت أرفض أي مشاهد يُطلب مني تصويرها داخل مياه البحر، وكان الفيلم من تأليف يوسف عيسى، وإخراج عاطف سالم، وكانت قصته تدور حول "أن تعود (علية) إلى بورسعيد إلى منزل أخيها لقضاء أيام معه، علية طالبة بالجامعة في القاهرة، وهي لا تملك من الدنيا إلا أخاها (عادل) الذي يعمل في البحر، لا تجد "علية" أثراً لأخيها، لقد خرج إلى البحر وأعدمه صديقه رمياً بالرصاص بأمر عصابة مهربي الحشيش التي كانا ينتميان إليها سراً، تلتقي علية الرجل الذي اغتال أخاها ويريد الزواج منها، لكنها تنتظر أخاها عادل، تأتيها خطابات باسم أخيها، تطمئنها وتطلب منها أن تعقد قرانها على صديقه، وتتزوج علية، كانت تظن أن الحياة الزوجية مع حبيب العمر متعة متواصلة، لكن زوجها يخرج في قلب الليل، ويتلقى مكالمات تليفونية في ساعات غريبة، ولا يعرف له أحد مكان عمل، وهي نفسها لا تعرف شيئاً عن زوجها، تتوالى المفاجآت، فالزوج ضابط



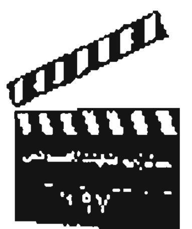
برتبة يوزباشي في مخابرات السواحل، عادل ضابط مخابرات أيضاً لم يقتله صديقه وإنما تظاهر بقتله، ويعود إلى المنزل ليطمئن أخته علية، رئيس العصابة هو صاحب منزل عادل، الرجل الطيب القلب البعيد عن كل ما من شأنه أن يثير الأعصاب".

وفي فيلم "شاطئ الأسرار" كانت المؤامرة الأولى عليّ من المخرج عاطف سالم وعمر الشريف من أجل "قبلة" لم تكن موجودة في نص السيناريو؛ ووجدت بعدها سعد الدين وهبة ينشر في مجلة البوليس - وكان سكرتير هذه المجلة - تحت عنوان (في سرك.. عاصفة)؛ ويكتب النص الآتي: "يتحدث الوسط الفني فيما يشبه الهمس عن عاصفة تقترب في سرعة.. وتنتشر خلال الهمسات هذه الكلمات.. قبلة.. بورسعيد.. اللوكاندة.. نصف الليل.. طويل.. على الباب"، وفور النشر عرفت أنني المقصودة بهذا الحديث الغامض، فاتصلت بالمجلة وكنت في حالة من الثورة والغضب؛ وقلت لهم أنا في دهشة بالغة مما كتبه سعد الدين وهبة، إنه يعرف أغلب أفراد أسرتي، ويعرف المكانة التي يشغلها كل منهم في المجتمع، وبالتالي يعرف مكانة هذه الأسرة؛ إضافة للصداقة التي تجمعه بشقيقي مصطفى الصباحي، وتساءلت كيف طاوعه قلبه على أن ينشر كلاماً قد يُفسر بما يسيء إلى فتاة من أسرة حريصة على سمعتها وكرامتها، وكيف استمع إلى همسات وكلمات ولم يكلف نفسه بتحري الحقيقة والواقع؛ وهو أعلم الناس بأن الوسط الفني غارق في بعض إشاعات كاذبة لا أساس لها من الصحة، مثل أي وسط آخر، فمنذ ظهور عدد المجلة وتليفونات منزلي لم تكف عن تلقي مكالمات من أقارب وأصدقاء ومعارف يسألونني تفسيراً لهذا الخبر، إن الدهشة عقدت لسان المتسائلين جميعاً؛ لأنه للمرة الأولى في تاريخ حياتي الفنية يُنشر عني مثل هذا الكلام الذي لا يقوم على أساس من الحقيقة، وأنا أستطيع أن أقول بأعلى صوتي إني قديسة في هذا الوسط الفني؛ ولو كنا نعيش في عصر



الأنبياء لكنت إحدى النساء الصالحات أو القديسات.. فلقد قامت الضجة بسبب أن الناس يعرفون عني أنني أمتنع عن تمثيل منظر قبلة على الشاشة ولي رأي خاص في هذا الموضوع، وهو أنه من الممكن تمثيل هذه المشاهد دون أن يكون هناك منظر قبلة حقيقي، ولعل التمهيد لنقبلة خير ألف مرة للمتفرج من القبلة نفسها، وليس معنى امتناعي أنني لا أحترم الزميلات اللواتي يقبلن تمثيل هذه المشاهد، بل إني أجلهن وأقدرهن وأعتبر أن تمثيلهن لهذه المشاهد جزء من العمل الفني لا يسيء إليهن إذا كان الموضوع درامياً يتطلب ذلك ولكن لكل شخص معتقداته وأفكاره الخاصة...

إن حقيقة ما حدث في بور سعيد عندما ذهبنا لتصوير المناظر الخارجية لفيلم "شاطئ الأسرار" هو أنه في يوم تصوير أحد المشاهد كان من المتفق عليه أن أرتمي أنا والسيد عمر الشريف، زميلي في الفيلم، على الرمل، ثم يحاول أن يقبلني، وحين يقترب مني أفلت منه كان هذا هو المشهد كله: ولكن يبدو أن اتفاقاً حدث بين المخرج "عاطف سالم وبين عمر الشريف"، عندما أعدنا تمثيل المشهد، ففوجئت بعمر يضغط على رقبتي ولم تفلح محاولاتي للإفلات من بين يديه وحاول أن يقبلني بناءً على أوامر المخرج: ولكن مقاومتي أفسدت تصوير المشهد، وقد قمت بعدها وهرولت فوق الرمل عشر دقائق، وأنا مذهولة مما حدث: ثم أسرعت إلى الفندق أبكي بكاءً حاراً: وكانت والدتي التي تصحبني في كل مكان أذهب إليه صريحة الفراش في الفندق، ولما رأتني أبكي سألتني في لهفة عما حدث لي، ولكنني لم أجرؤ على أن أروي لها ما حدث، وقررت أن أغادر بورسعيد فوراً، وبدأت أجمع حقائبي استعداداً للعودة للقاهرة، وكان الخبر بلغ منتج الفيلم الأستاذ حلمي رفلة في القاهرة فاتصل بي تليفونيا في بورسعيد يعتذر عما حدث ويعدني بحذف هذا المشهد من الفيلم كله، ولم أكتف بهذا بل طلبت منهم أن أحصل عند عودتي إلى القاهرة على وعد كتابي بحذف هذا المشهد..



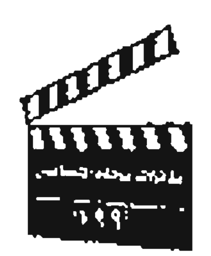
لكن بعد ذلك عرض الفيلم وعرض المشهد كاملاً ولم يحذف، وكانت أول مرة أقبل على الشاشة أمام الجمهور، وتسببت هذه القبلة في إثارة الرأي العام، وانتقاد مخرج الفيلم عاطف سالم بشدة، عندما أعلنت عن مؤامرته عليّ وحقيقة هذه القبلة...

ولكن على رغم كل ما شهدته مصر في حقبتي الخمسينات والستينات من توترات سياسية وعسكرية إلا أنها شهدت أيضاً نهضة فنية سينمائية، فخرج في تلك الفترة من الزمن تراث السينما المصرية - الذي تم بيع أو سرقة أغلبه الآن - وكان الإنتاج السينمائي في أفضل أحواله ولم يتأثر سلباً بكل ما يدور حوله من حروب، بل كان ناقلاً بالصوت والصورة لكل ما يدور حوله من "أزمات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية"، فكان يؤرخ ويدون ما يحدث بالفعل، هذا هو زمن الفن الجميل الذي حافظ صنّاعه على تدوين التاريخ بطريقتهم الخاصة، وأراد الله أن تصبح الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي أحد الكوادر الأساسية في تلك الصناعة، التي مازالت تروي لنا ذكرياتها حول أفلامها التي يخلدها التاريخ فتقول:

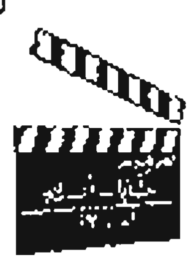
في أحد الأيام جلست ثلاث ساعات في قصة حب من تحويل وتأليف معاصر لسعد الدين وهبة، الذي شرب ١٥ فنجاناً من القهوة وهو يدرس مع المخرج حسن الإمام ومعي خطوط القصة، اخترت للقصة اسم "هذا الرجل أحبه"، سألت حسن الإمام عن سر تردده في إخراج الفيلم عندما عرضته عليه، فقال إنه "أخرج حتى الآن أكثر من مائة فيلم" ولكنه يخشى دائماً أفلام "الحب النظيف"، لأنها تتناول المشاعر وتحتاج إلى مجهود كبير في توجيه الممثلين.. وأقدمت بعد ذلك بكل جرأة وحب أيضاً على تقديم هذا الفيلم الذي أعتز أنه وضع في مكتبة إنتاجي، وكلفت حسين حلمي المهندس بكتابة السيناريو والحوار، وكان صديقاً عزيزاً إليّ وكاتب مثقف وواعٍ، لم يحتجه البناء الدرامي الفني الاجتماعي الذي



أريد أن تخرج فيه تلك القصة، وعندما انتهى من كتابته قلت له أنت الأنسب بلا منازع لإخراجه. فلن يستطيع أي شخص آخر أن يشعر بما قمت أنت بكتابته غيرك، ووافق واستقر رأينا على الممثلين وكانوا "يحيى شاهين وعزيزة حلمي وصباح وميمي شكيب وزوزو نبيل"، وكانت تدور القصة حول "صابرين فتاة لقيطة تربت في الملاجئ حتى بلغت سن الرشد، وأصبح عليها أن تذهب للعمل في بيت ثري يقيم مع ابنته في مزرعة، وعليها الاعتناء بالفتاة، وعندما تذهب إلى القصر تفاجأ بأن هناك أشياء غريبة وحزناً يعلو البيت: تعتني بالطفلة "عديلة". ويثق بها مراد بك، الذي يعيش حياة قاسية، ويكاد يصدمها يوماً بجواده وهو يقيم في غرفته يكاد لا يخرج منها.. تقترب منه الفتاة وينمو الحب فيما بينهما، وتعرف صابرين أنه مصاب بتجربة فاشلة مع فتاة لاهية، وأنه لا يثق في النساء فتحاول أن تسري عنه همومه، وينمو الحب بينهما في حذر شديد، ويبدأ في الانفتاح على الحب فيقيم حفلاً بهيجاً، وتعرف "صابرين" أن في البيت امرأة مجنونة تحاول إثارة الخوف في المنزل، وأنها ترتكب المزيد من الحماقات: وأنها "بثينة" قريبة مراد، ثم يقرر صاحب القصر أن يتزوج من "صابرين" لكن المأذون يرفض، حيث يثبت أن بثينة هي أخت صابرين، وأنها زوجة لمراد. ثم تقوم الزوجة المجنونة بإحراق المنزل، ويصاب مراد بإصابات بالغة وهو يحاول إطفاء الحريق، فيفقد بصره وتموت بثينة. وتقرر صابرين الوقوف بجانبه"، وخرج الفيلم إلى النور وعرض على الجمهور الذي رحب به وأقبل عليه معلناً نجاحه، ولكن جرت العادة أن تنتقد الأعمال الفنية، وبالفعل كتب الناقد أحمد حمروش بعد مشاهدته للفيلم مقالتين يعبر فيهما عن رد فعله ورأيه حول الفيلم، وكان نصهما "قصة شارلوت برونتي (جين اير) ظهرت على الشاشة باسم "هذا الرجل أحبه": ومصرها سعد الدين وهبة، وأعدها المخرج حسين حلمي المهندس، والقصة في الأدب الرومانسي الرفيع، نسجت من خيوط الحب والعاطفة، ومضت فيها المأساة عنيفة قاسية مع الطفلة الصغيرة في منزل



خالتها، ثم في الملجأ، وفي القصر الذي عملت فيه مدرسة خاصة، حيث عرف قلبها الحب للمرة الأولى، وأخيراً في زواجها من صاحب القصر عندما أسدل الظلام على عينيه، واقتباس هذه القصص العالمية يمكن أن يعرض علينا أفكاراً إنسانية ويقرب إلينا ثقافة الآخرين، ولو أن السينما لا يمكن أن تبرز كل ما في الأدب من تحليل، وما تزخر به القصة من خفقات الحب ونبضات العواطف، والسيناريو الذي أعده حسين حلمي المهندس يحافظ على الخط الرئيسي للقصة، ولكنه يختلف في بعض الوقائع، وهي التي أبعدت القصة قليلاً من تيار الحب والعاطفة واقتربت بها من عالم الشكوك والغموض والجريمة.. القصة الأصلية خالية من شخصية الزوجة المجنونة "زوزو نبيل"، التي تثير الرعب في المنزل، التي أُستغلت في الفيلم استغلالاً غريباً، إذ عقدت عملية الزواج بين ماجدة ويحيي شاهين عندما أتضح مصادفة أنها شقيقة ماجدة، وهو أمر يعتمد على الإغراق الشديد في المبالغة، والاعتماد على الصدف، والقصة الأصلية لا تُظهر يحيي شاهين في هذه القسوة المفتعلة ولا تجعله يطلب ماجدة للزواج: على رغم حبه لها للفارق الاجتماعي بينهما، بينما تتزوج صديقته الثرية "صباح"، وأظن هذا السبب في القصة الأصلية أكثر بساطة وإنسانية من هذا التعقيد المفتعل الذي لجأ إليه السيناريو العربي، والزوجة المجنونة في الفيلم كانت تظهر بلا مقدمات وترتكب من الحماقات ما يشاء المخرج لا ما يشاء المنطق: لأنها كانت سجينة بصفة دائمة، وعليها حارسة تتمنطق في وسطها بحزام من الجلد، ولها هيئة تثير الرعب، ومع ذلك كانت تتحرك فجأة وتفعل ما تشاء، كل ذلك دون أن تتعرف عليها "ماجدة"، على رغم بقائها في المنزل فترة طويلة، وبعد هذا قام الواجب في الاقتباس أن يتم بتفكير محلي صرف يجعل الموضوع قريباً من حياتنا، وهو أمر افتقده الفيلم، إذ اكتسى بالطابع الأجنبي، ولم نرَ فيه حياتنا أو صورة منها؛ ولعل هذا يرجع إلى اختيار القصة بالذات للاقتباس، وهي من الأدب الذي لم يعد له صدى في حياتنا المعاصرة: وعلى رغم أن السيناريو لم يخدم القصة

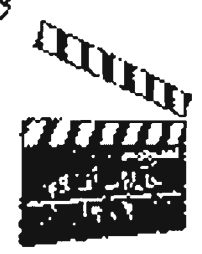


الأصلية، فقد استطاع المخرج حسين حلمي أن يقدم لنا فيلماً جيداً موفقاً تماماً من ناحية الإخراج: بُذل فيه من الجهد ما ظهر على الشاشة واضحاً وما زلت أتمنى أن يقتصر حسين حلمي المهندس على الإخراج وحده حتى يندفع إلى الأمام خطوات، ومن العوامل التي ساندت هذا الفيلم جودة التمثيل، فلقد أدت "ماجدة" دورها بكل تفوق ونجاح، وأظهرت لنا الانفعالات كافة التي تدور في أعماق الشخصية، ووفق "يحيى شاهين" في أداء هذا الدور المناسب له، ولعبت ضيفة الشرف "زوزو نبيل" في دورها الصغير"..

ثم كتب في مقال آخر حمل عنوان (إدارة الشئون العامة بوزارة التربية.. وهذا الرجل أحبه..!): "كتبت منذ أيام أقول إن إدارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم أعطت للطلبة تذاكر مخفضة لدخول فيلم "هذا الرجل أحبه"، وقلت إنه لا اعتراض على ذلك وإنما الواجب ألا تمضي إدارة الشئون العامة في أسلوب المجاملة، وأن تهتم بالمسرح والأفلام الأخرى أيضاً، ووصلني من الأستاذ محيي الدين أبو شادي مدير الشئون العامة خطاب يبلغني فيه "أن الفيلم مأخوذ عن رواية "جين إير" المقررة على طالبات المرحلة الثانوية النسوية هذا العام ضمن مادة اللغة الإنجليزية، وأحب أن أقول إن التذاكر وزعت على تلاميذ المرحلة الإعدادية للبنين، وأظن أن هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن "جين إير" ولا يهتمون بها. ثم يقول الخطاب "إن لجنة من كبار المختصين شاهدت الفيلم فقررت أنه يعالج مشكلات اجتماعية دينية وبه دروس تربوية واجتماعية نافعة. وأقول إن هذه اللجنة "زودتها حبتين"، فليس هناك علاقة من قريب أو بعيد بين الفيلم وبين الدين، كما أنه مقتبس عن رواية رومانسية كتبت في القرن الماضي ولا ترتبط بأي مشكلات اجتماعية معاصرة ومن أجل هذا أطالب بمراجعة تقارير هذه اللجان أو تغييرها، فإنها عندما تكتب مثل هذه التقارير قد تورط الوزارة في أمور أكثر جسامة، ويقول الخطاب "إن أحداً من المنتجين أو السينمائيين لم يتقدم بفيلم يعالج ناحية اجتماعية أو تربوية تم فحصه وتقررت صلاحيته إلا وتم

تنفيذ ما يتقرر بشأنه فوراً"، وأحيل هذه الفقرة إلى السادة المنتجين حتى يتقدموا بطلباتهم إلى الأستاذ محيي الدين أبو شادي، إذا كانوا لم يتقدموا بها، فما أظن أن الأفلام العربية تقل من ناحية المستوى عن هذا الفيلم؛ ثم يأتي دور المسرح ويقول الخطاب "ولكن المسئولين عن المسرح لم يتجاوبوا مع ما بذلناه في هذا الصدد من جهود": ويؤسفني حقيقة أن هذه الواقعة غير صحيحة، وأنني مضطر إلى إعلان الحقيقة: وهي أن السيد نجيب هاشم، وزير التربية الأسبق، أوصى بأخذ حفلات عدة حتى يشاهد الطلبة "أهل الكهف" لتوفيق الحكيم، ولكن إدارة الشئون العامة لم تنجح إلا في شراء حفلة واحدة لطلبة القاهرة الذين يبلغ عددهم عشرات الألوف، كما أن إدارة الشئون العامة أخرت سداد حفلات سابقة لمدة تزيد على عام كامل: ثم يشكو الخطاب من أن الإدارة "طلبت من المسرح القومي تخصيص حفل مسرحية المحروسة فطلب مائة جنيه أجراً، وهو سعر مبالغ فيه ولا يحقق التعاون المنشود"، وما أظن أن هذا المبلغ كبير لدخول ٧٥٠ طالباً. فإن سعر التذكرة عندئذ لا يتجاوز ١٥ قرشاً. والواجب أن تسهم الإدارة بجزء لتشجيع الطلبة: وبعد.. فإني أشكر الأستاذ محيي الدين أبو شادي على رده واهتمامه، وأعتبر أن وضع هذا الموضوع على مائدة المناقشة يمكن أن يصل إلى نتائج عملية ومبادئ محددة لتشجيع الطلبة على تذوق الفنون: خصوصاً أن مدارسنا محرومة من الثقافة المسرحية والفنية، الأمر الذي يدفع بأبنائنا إلى الحياة العامة وهم مفتقرون إلى هذه الثقافة التي توسع مداركهم وتخلق للفنون جمهوراً يعشقها ويتذوقها، كل ما أطالب به هو مزيد من التشجيع على أسس موضوعية ومبادئ ثابتة تكون فيها المبادرة لإدارة الشئون العامة بوزارة التربية التي يمكن أن تفعل في هذا المجال الشيء الكثير، وعندنا لن يتحدث أحد عن سياسة المجاملات وكل شيء يعلن عن نفسه حتى ولو تم خلف الستار!".

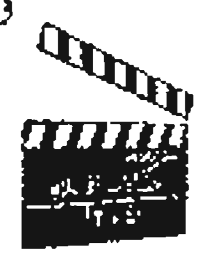
(فكان هذا هو فيلم "هذا الرجل أحبه"، وما نشب بعد عرضه من نقد وجدل وخلاف، ولكن مازالت ذكريات الفنانة ماجدة عن أفلامها فلم تنته بعد).



فتقول: أقدمت على إنتاج وتمثيل فيلم من أحب، وكانت فكرته مأخوذة عن الأدب العالمي رواية "ذهب مع الريح"، وقام وجيه نجيب وصبري العسكري بكتابة السيناريو والحوار. واتفقت مع أحمد ضياء الدين على إخراجه، وبعد اختيار فريق العمل، الذي كان يتكون من "إيهاب نافع وأحمد مظهر وزوزو ماضي ونعيمة وصفي" تعثر الدخول لتنفيذ الفيلم لوعكة صحية أصابت مخرج الفيلم أحمد ضياء الدين، ولكن طالت مدة مرضه، وكان يجب أن تبدأ التصوير، خصوصاً بعد أن أكد الطبيب المعالج للمخرج أنه لن يستطيع العمل إلا بعد مدة زمنية. وأصبحت مضطرة للتصوير في أسرع وقت وإلا ضاعت تكاليف كثيرة أنفقتها على التجهيز. وهنا لمعت في ذهني الفكرة وأقدمت عليها بلا أي تردد، وهي أن أمنح نفسي ما أمنحه لغيري، وأقوم أنا بإخراج الفيلم لتكون التجربة الأولى لي في الإخراج، وأعترف أن تلك الخطوة كانت جرأة مني ومخاطرة كبيرة، ولكن كانت ثقتي في الله أكبر من كل شيء، ودعوته أن يحقق لي النجاح والتوفيق، وبالفعل بدأت تصوير الفيلم في دهشة من الجميع، وكان جو العمل في هذا الفيلم مليئاً بالمرح والبهجة، وكنت مخرجة لطيفة تجاه زملائي العاملين معي بالفيلم، ولم أكن حادة الطباع عالية الصوت أفزع الجميع، كما هي دائماً عادة المخرجين، وأتذكر تلك المداعبة اللطيفة من الراحل أحمد مظهر، التي كان يرددها كثيراً، فيقول "ما شاء الله.. الله أكبر: الفيلم بطولة وإخراج وإنتاج وتوزيع ماجدة وحدها"، وبعد ذلك خرج الفيلم لدور العرض ولقي نجاحاً استطاع من خلاله أن يبث الطمأنينة إلى قلبي، وأن يطرد روح القلق التي كانت تصاحبني خشية أن أفشل في تجربتي الأولى مع الإخراج، وحمدت الله على تلبية دعائي له، ولكني لم أقدم على الإخراج مرة أخرى لأنني عرفت مدى المشقة والمعاناة التي يعيش فيها المخرج، وأيضا وجدت أن مكاني الطبيعي ليس خلف الكاميرا بل أمامها، وبعد ذلك زارني بمكتبي الدكتور يوسف إدريس، وكان كاتباً وأديباً له ثقله، وكنت أود التعاون معه في إنتاج أحد إبداعاته

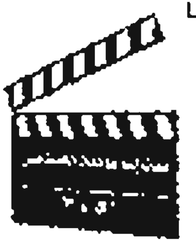
القصصية، وكانت قصة "نظرة يا ست" أعجبتني كثيراً، ولكنه فاجأني بموقف غريب جداً فقال "من أين تأتين بكل هذه القوة التي تواجهين بها هذه الدنيا المتوحشة؛ فتمثلي وتنتجي وتخرجي وتوزعي أفلامك وتوفقي في كل هذا؛ وأنت أنثى رقيقة بكل معنى الكلمة". ثم صعقتني وصفعتني جملته التالية، فقال "إني جئت اليوم إليك بدافع أكبر من العمل معكِ وهو أن أقبلك". فصدمت من تلك الكلمات التي تخرج منه، وظننت أنه يمزح، فكان معروفاً عنه الجرأة في التعبير عن مشاعره، ولكني رددت عليه مستنكرة ما قاله، فرد قائلاً "لا تجعليني أغلق باب مكتبك وأنفذ ما جئت من أجله"، فوقفت هذه المرة وأنا أعلن عن ثورة غضب أنهت لقاءنا، ولكني عرفت بعد ذلك أنه كان يمزح: بينما أنا أخذت كلماته على محمل الجد؛ وبعد ذلك انهال هجوم يوسف إدريس، نبي القصة القصيرة، كما كانوا يلقبونه، وتحول بعد ذلك للكتابة ضدي بنقد شخصي وليس فنياً؛ ووصف فيلمي بأنه أسري؛ ولكن رغم أنفه نجح الفيلم...

وأيضاً من الأعمال التي أنتجتها بعد ذلك بسنوات ولا تزال تترك بعض ذكرياتها المرحة في أعماقي كان فيلم "جنس ناعم"، إذ كتب القصة والسيناريو المبدع علي الزرقاني، وأسندت إخراجه حين ذاك إلى مساعد حسين كمال، فكانت أول تجربة إخراج لمحمد عبدالعزيز: وكانت أحداث القصة تدور حول "ما يعانيه الشباب من ضياع نتيجة البطالة وعدم إيجاد فرص لعمل فيلجئون إلى الزواج والارتباط بنساء يكبروتهم في السن ليستطيعوا من خلالهن التمتع بثروتهن"؛ كانت فكرة جديرة بالتناول لكونها كانت منتشرة في ذلك التوقيت. وبالفعل بدأت أعقد جلساتي مع المخرج لنحدد من سيقومون ببطولة الفيلم. وكانت بطولته مشتركة بين ثلاثة حسين فهمي وسمير غانم؛ الذي كان ومازال أهم وأكبر كوميديانات مصر والعالم العربي، والممثل الصاعد في حينها عادل إمام، وكان يتمتع بخفة ظل، وحصل في حينها على أجر ثمانمائة جنيه، ولكن



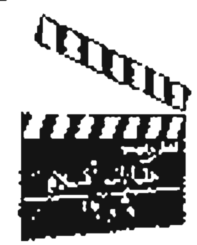
اعتذر حسين فهمي عن الدور لنشوب بعض الاختلافات حول النواحي المادية، فأسندت الدور إلى سمير صبري، الذي كان في حينها هو المسيطر المتربع على عرش الساحة السينمائية، خصوصاً أدوار الحب والرومانسية، ووافق سمير على الفور، فكنا ومازلنا أصدقاء، وكان سمير ومازال اجتماعياً ناجحاً ولبقاً في الحديث ومثقفاً، وقمنا بتصوير مشاهد الفيلم في الإسكندرية، وكان يقوم سمير صبري بجلب وجبات السمك لنا على حسابه الخاص، قائلاً "بالطبع هذا سيسعد المنتجة كثيراً"، وكان جو التصوير مليئاً بالمرح والبهجة، ومن الأقدار المبهجة أنه حين عرض الفيلم آن ذاك كان اسم سمير صبري يتصدر الأفيشات ويعلو أسماء الجميع، الذي كان من بينهم "عادل إمام"، ولكن بعد مرور مدة من الزمن حدث أن عادل أمام أصبح هو المتربع على عرش الساحة السينمائية، وكنت حينها أقوم بطباعة دفعة أفيشات جديدة للفيلم، فبدلت الأسماء بحسب متطلبات السوق، وتصدر اسم عادل إمام الأفيشات ورُفع فوق اسم سمير صبري في الترتيب، وعندما شاهد سمير هذا لم يغضب على الإطلاق بل مازحني قائلاً "دنيا غريبة لا تجعل الإنسان دائماً في الصدارة أو في المؤخرة"..

"وهنا وجهت سؤالي للفنانة ماجدة قائلا ماذا يمثل لك فيلم "الغريب"؟ فابتسمت ماجدة قائلة.. إني أعتبر هذا الفيلم من أهم ما قدمت على شاشة السينما، وهو من أحب الأدوار إلى نفسي، وكان من بطولة وإنتاج يحيى شاهين، وكتب له السيناريو والحوار حسين حلمي المهندس، ومن الغرائب في هذا الفيلم أن إخراجه كان لاثنين من كبار المخرجين "كمال الشيخ وفطين عبدالوهاب"، فكان للمرة الأولى يقوم اثنان من المخرجين بالاشتراك في إخراج فيلم واحد، وكانت تدور أحداثه حول "التقط الحاج كامل صبياً صغيراً من الشارع رفض أهله وأقاربه إيواءه بعد موت أبيه وأمه وكفله في داره فعاش كابنه إلى جوار ابنته وابنه الصغيرين، وقد نشأ الابن الحقيقي محرز على عداء مجهول مع الصبي المسكين غريب، بينما أحبت الابنة الصغيرة ياسمين هذا الصبي حباً ظل حتى



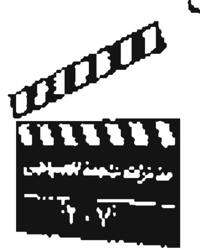
ريحان شابهما.. وعندما مات الأب تسلم أعماله الصبي المسكين الذي أصبح شاباً مكتملاً، وقد حزن بشدة على وفاته وظل يرعى ياسمين التي نضجت على كره من العدم، حتى يعود الابن محرز من رحلة إلى الخارج ويأمر أخته ياسمين بعدم الاختلاط بهذا الغريب، ويأمره بأن يلتزم مكانه كخادم فلا يأكل معهم، ويصبر الغريب على كل شيء، لأنه يحب ياسمين حتى تدخل في حياتها الشاب الغني أنور.. تعترض أخته وتطلب منه أن يتخلى عن قذارته وخموله وأن يستغل يديه القويتين في العمل، ويحدث حوار بينهما، يترك المنزل على أثره، وبعد سنوات يعود غنياً لكنه يعلم أن ياسمين تزوجت في آخر لحظة، ويدخل الحياة التي عاشها من قبل، وفي أعماقه يكمن انتقام رهيب، يشترى منزل سيده ويذله نفسياً ومادياً ويتزوج أخت ليلى زوج حبيبته ويسومها العذاب وتأكل الغيرة قلب الحبيبة وتنتهي القصة بموت الحبيبة بين يدي الغريب وينطلق هائماً في الحياة".

فكانت قصته رائعة جذبتني منذ البداية حتى النهاية، ووافقت على تجسيد دوري فيها دون أن أحصل على أجر، وفي البداية رفض يحيى شاهين وأصر على أن أحصل على أجري ولكنني صممت على موقفي الذي رضخ له في النهاية، ولقد فعلت هذا كنوع من رد الجميل ليحيى لموافقته على تجسيد دوره معي في فيلم "أين عمري"، وشاركنا في تجسيد أدواره الأخرى "كمال الشناوي ومحسن سرحان وحسين رياض وزهرة العلا وعبدالوارث عسر"، وعرض الفيلم في سينما ريفولي وحقق نجاحاً منقطع النظير.. ثم جاء فيلم "عشاق الليل" وكان أيضاً بطولة وإنتاج يحيى شاهين، وقام بإخراجه كمال عطية، ورحبت بالمشاركة به بجوار هند رستم، وكانت قصته "شاب يعيش منطوياً على نفسه معتزلاً الناس بعد أن خانته زوجته مع صديقه، لكنه يخرج من عزلته إلى أحد الكباريهات، حيث يلتقي رجلاً فاسداً سكيراً، وتتهافت عليه راقصة تميل إليه وتدعوه إلى



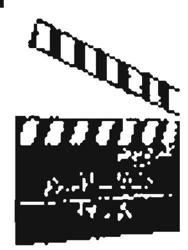
أن يعيش لنفسه ويغرق همومه بالخمر ويتمتع بحياته. أما صاحبه السكير فهو في بيته وقد أهمل ابنته الوحيدة ويحاول ابتزاز مال زوجته المريضة. فإذا قاومته انهال عليها يطعنها حتى تموت. وينتهي أمره إلى الليمان ويزوره الشاب في سجنه فيوصيه بابنته فيتردد على مسكنها ويتفتح لها قلبه، ولكنه يختبر خلقها ويستدرجها إلى مسكنه بتحريض من الراقصة، ويحاول اغتصابها فإذا استعصت اعترف لها بحبه وتزوجها. وفي ليلة الزفاف ترى "الفتاة" زوجها يشرب الخمر ويتحدث إلى صاحبته الراقصة. فتخشى أن تتكرر معها المأساة التي حدثت لأمها، وتفر في ليلة زفافها وتذهب إلى أحد الملاجئ، حيث تعمل معلمة، لكن مدير الملجأ يعرف قصتها ويقنعها بالعودة إلى زوجها الذي يبحث عنها. فتعود إليه لتنتشله من حياة الليل والخمر واليأس". ولكن توقف تصوير الفيلم لأيام عدة بسبب مشكلة نشبت بيني وبين يحيى شاهين. عندما رفضت أن يقوم بتقبيلي في أحد المشاهد، وكانت تلك القبلة ليست لها أي ضرورة درامية. وتركت الاستوديو غاضبة بسبب طريقة يحيى الساخرة التي قابل بها رفضي، ولم أعد إلى استكمال التصوير إلا بعد أن أتى يحيى شاهين وبصحبته المخرج، واعتذر لي عما بدر منه وقبلت اعتذاره لأن ما كان بيننا كأصدقاء أكبر مما حدث...

ثم ضحكت ماجدة قائلة وحول ذكرياتي مع فيلم "إجازة نصف السنة".. كانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي شاركت فيها بفيلم استعراضي راقص، وجاء قبولي بعد قيام منتجي الفيلم "عبدالعزيز فهمي وصبحي فرحات" بزيارتي في مكتبي وطالباني بمشاركتهما الفيلم. وعلى رغم أن الرفض من أي زميلة أخرى في مكانتي الفنية آن ذاك كان سيكون مصير هذا العرض، إلا أنني أحببت أن أخوض غمار التجربة مع هذه الفرقة الشعبية الراقصة، وكان الفيلم من تأليف



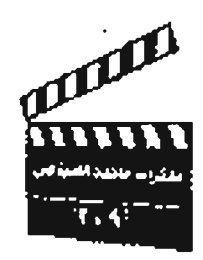
محمد عثمان الذي كتب لي من قبل "الحقيقة العارية"، ومن إخراج علي رضا، شقيق محمود رضا، بطل الفيلم، التي تصاحبه فرقته الجميلة المحبوبة التي كانت تتمتع بشعبية بالغة، وكانوا جميعاً يشكلون جواً رائعاً من المرح والسعادة داخل كواليس التصوير. ومن بينها أنه كان عليّ في أحد مناظر الفيلم أن أقوم بتوقيع كمبيالات عدة، وأراد أحد الممثلين، واسمه حسن حسنين، أن يداعبني فقام بإعداد كمبيالة حقيقية بمبلغ خمسة آلاف جنيه على أنها دين له شخصياً عندي، ولما تأكد أن الكمبيالة استوفت جميع شروطها القانونية حملها إليّ أثناء تصوير مناظر الفيلم، ثم قدمها إليّ أثناء توقيعي على الكمبيالات الأخرى الصورية، ووقعت على الكمبيالات وانتهى المشهد، وأسرع الممثل يهلل وهو يقول "ماجدة تدين لي بخمسة آلاف جنيه، وعليها أن تدفعها في الوقت المحدد الذي في الكمبيالة"، وضحكت أنا بشدة منه؛ لأني كنت فطنت إلى ، فوقعت له باسم علي رضا مخرج الفيلم على الكمبيالات بدلاً من أن أوقع باسمي الحقيقي، كما يذكر بالأوراق الرسمية "عفاف الصباحي"، وسقط جميع العاملين بالفيلم من الضحك...

كان هذا كل ما أتذكره عن أفلامي: التي أعتبرها كياني بكاملة، ولهذا كان موقفي دائماً داخل غرفة صناعة السينما، التي كنت نائبة لرئيسة الغرفة على مدار خمسة عشر عاماً: ضد من يحاولون أن ينهبوا تراثنا، فوقفت في أحد الاجتماعات ضد الشيخ صالح كامل وآخرين في بداية الحملة المسعورة التي وُجهت إلى مصر من أجل شراء تراث السينما المصرية، ورفضت بيع نيجاتيفات أفلامي التي كانوا يرغبون في شرائها؛ يوقعون لي الشيكات على بياض ويطالبونني أن أكتب أرقام الأموال التي ترضيني من أجل موافقتي على بيع أفلامي، فكنت أقول دائماً لهم "إن أفلامي هي تاريخي، بل هي تاريخ مصر، وتعد من الآثار



التي لا تقل في قيمتها عن الآثار الفرعونية التي لا تقدر بثمن. إن أفلامي هي جلدي الذي يكسو عظامي الذي لا يمكن أن أفرط فيه وأبيعه، ولو كان المقابل كنوز الأرض بكاملها". ولكن، مع الأسف الشديد، تخلى البعض عن تراثنا وتاريخنا وآثارنا وبيع جزء كبير من نيجاتيفات أفلام ظن من باعها أنه كان يملكها وحده، بينما كانت هي إرث وطن بكاملة...





الفصل الخامس عشر

من "السراب" الى "العمر لحظة"

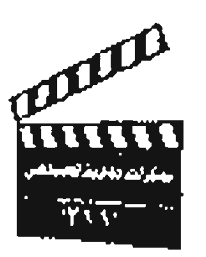


(قدمت نجوم ونجمات جيل الوسط)

- "لا تغضبي يا ماجدة وكل شيء يُبنى صحيحاً سيحصل على حقه في النهاية".. جملة قالها لي السادات وأنا أشكو له ما أتعرض له من ظلم...
- الفريق الجمسي دعمني في فيلم "العمر لحظة"، وقال "هذا الفيلم جيد ويجب أن يخرج على مستوى لائق بالجندية المصرية"...
- قدمت ليلى طاهر في فيلم "قبلني في الظلام"، ودخلت في صراع مع جهاز السينما من أجل أن يجسد نور الشريف شخصية البطل في فيلم "السراب"، وكانت انطلاقته الحقيقية...
- وافقت على محمود ياسين في "أنف وثلاث عيون"، ومحمد خان في "العمر لحظة"، تحدياً وعناداً لرشدي أباظة...
- في فيلم "أنف وثلاث عيون" حسين كمال أقنعني بارتداء قميص نوم بعد ساعات من إصراري على الرفض، وداعبني بعد انتهاء المشهد قائلاً "ظننت أن بك عاهة تخفينها"...
- لم أخشَ أن يجاورني أجمل فتاتين في السينما آن ذاك، وأسهمت في تقديم نجلاء فتحي وميرفت أمين بشكل جديد ومختلف...
- رأيي أن أحمد زكي مثل رشدي أباظة، شخصية لا تعوض، ويصلح لتجسيد جميع الأدوار، وكانت انطلاقته من فيلمي "العمر لحظة"...

- لا تنسى أن العمر لحظة
- في ثوانٍ يحيا إنسان ويموت آخر، ولكن الله هو الحي الذي لا يموت
- إن الإنسان جاء ليتواصل مع الآخرين، ومن خلال ذلك تنشأ العلاقات الاجتماعية التي يتولد عنها الود والمحبة والاحترام بين الإنسان وأخيه الإنسان.

(ماجدة الصباحي)

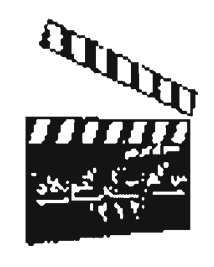


"العطاء.. حب الخير.. مساعدة الآخرين"...

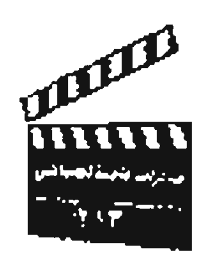
صفات توافرت وتأصلت في شخصيتها: استطعت أن ألمس هذا بنفسي خلال فترة اقترابي منها، إن ماجدة تحمل في صدرها قلباً يستطيع أن يُعطي العالم كله من دون أن ينتظر أي مقابل، يستطيع أن يجامل الآخرين من دون أن ينتظر رد الجميل، أو حتى الاعتراف به، فلقد ساعدت الكثيرين في أن يحصلوا على فرص يستطيعون من خلالها تحقيق ذاتهم.. وعن هذا تقول:

كنت دائماً أرحب بالمساهمة في إعطاء الفرص للجميع، فالكثير من مخرجي أفلامي كانت تلك الأفلام هي الفرصة الأولى لهم، وكنت أرحب بذلك ولا أستمع لتحذيرات من حولي عن جسامة الخطورة التي أعرض اسمي ومالي لها، لأنني كنت ومازلت أؤمن بأن هؤلاء الشباب يريدون أن يجتهدوا من أجل أن ينجحوا، يبحثون عن الفرص الحقيقية، وكنت في كل مرة أقدم فيها مخرجاً جديداً يكون لدي الثقة بأنه لن يخذلني...

"قلت لها وحول مساعدتك في تقديم ممثلين" فقالت: لقد قدمت ليلى طاهر في فيلم "قبلني في الظلام"، وقدمت زيزي مصطفى في "المراهقات"، ثم أردت أن أقدم رواية "السراب" لنجيب محفوظ، وكانت آن ذاك مقررة على الطلبة في المدارس، ووجدت أنها جديرة بأن تقدم سينمائياً لما تحمله في مضمونها لقضية



اجتماعية خطيرة؛ على رغم أن دوري فيها كان تضحية، لكونه ليس الدور الرئيسي الذي كان ينصب بكامله على البطل. وعلى رغم أن الفيلم لم يكن إنتاجي، إلا أن رشدي أباظة لبى طلبي له بتجسيد دور ثالث، وكان نجم نجوم تلك المرحلة، ولكن الكثيرين كانوا يؤكدون لي أن الرواية ستكون مستحيلة التناول سينمائياً، ولكن هنا ظهر إبداع علي الزرقاني؛ ووفق في كتابة السيناريو والحوار، الذي قمت أنا بعد ذلك بإضافة المشاهد الثلاثة الأولى له، ولم يعارضني الزرقاني في ذلك، ومن خلالها ظهرت ملامح شخصية البطل، الذي يتمتع بقدر كبير من الخجل؛ فجاءوا عبارة عن عملية سير وتتبع من البطل للبطلة في صمت ودون حديث، وكان ملخص الرواية يدور حول "يتزوج الثري كامل من رباب التي تكتشف عجزه الجنسي فيلجأ للدكتور أمين لعلاجه.. يتضح له أنه شاب خجول ومنطو، يعيش مع أمه بعد أن انفصلت عن والده. وبذلك يلتصق بها التصاقاً كاملاً، ويرتبط الجنس عنده بالجريمة والمحرمات، ويتعرف الدكتور أمين على رباب ويطلب منها أن تساعده في العلاج، وبمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان في علاقتهما، وتحمل، ويشفى كامل تماماً في الوقت نفسه الذي تموت فيه الزوجة أثناء عملية إجهاضها"، وأسندت إخراج الفيلم إلى أنور الشناوي الذي اعترضت عليه مؤسسة السينما، منتجة الفيلم، لكونه لم يخرج أي عمل من قبل، ولكني أقنعتهم به، وتبقى اختيار البطل الرئيسي للقصة؛ وبعد بحث طويل وقع اختياري على نور الشريف، وكان ممثلاً ناشئاً آن ذاك، ويقدم مسلسلاً يحمل اسم "القاهرة والناس"، وعلى رغم هذا اخترته دون غيره، لأنه ينطبق عليه جميع مواصفات وملامح الشخصية، ولكن عارضتني مؤسسة السينما ورفضت أن يجسد نور الشريف بطولة الفيلم، متعللة بأنه ممثل جديد ولا يمكن أن تغامر معه وبه، ولكني واجهتهم بشراسة وتمسكت بأن يجسد نور الشريف شخصية البطولة ؛ ودخلت معهم صراعاً مريراً من أجل أنني أؤمن به، ولم أكن أعرفه معرفة شخصية حين ذاك، ولكن كانت

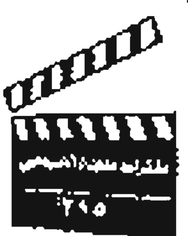


هذه هي طريقتي أن أساعد من أؤمن بموهبته حتى ولو لم يطلب هو ذلك، وإن لم أكن أعرفه "فلم يكن الوسط في زماننا شللية ومحسوبية"، وفي النهاية خضعوا لإرادتي ولكن كان لهم شرط وهو أن أوقع لمؤسسة السينما على خطاب كان نصه "أقر أنا عفاف علي كامل الصباحي، الشهيرة بماجدة الصباحي، بأنني أتحمل جميع تبعات إصراري على تجسيد نور الشريف دور البطولة لفيلم "السراب"، على رغم أنه لا يزال ممثلاً ناشئاً "جديداً"، وقد يترتب على هذا إصابة عملية التوزيع بالضعف أو العجز"، ووافقت على الشرط، ووقعت الخطاب، وبعد ذلك أرسلت لنور الشريف، الذي لم أكن قابلته من قبل، على رغم كل ما واجهته من أجله، وكانت سعادته بالغة بما ألقيته على مسامعه، ووقع عقد الفيلم الذي كان مبلغه آن ذاك ٣٠٠ جنيه، فأشرت لجهاز السينما إلى أن يرتفع المبلغ إلى ٥٠٠ جنيه، وحققوا ما أردت، وبدأ التصوير، وكان نور دائماً مختالاً بنفسه، يأتي إلى الاستوديو ومعه فتيات من معجباته، وذات يوم أمرت بإلغاء يوم التصوير بعد مجيئه متأخراً، وأن يتحمل تكلفة اليوم، وجاء إلى حجرتي مهرولاً عندما علم بالخبر ليخبرني بسخطه نتيجة قراري وإثنائي عن تحميله تكلفة اليوم، لكون أن كل ما حصل عليه لا يكفي لتحمل تلك التكلفة، واعتذر عما بدر منه. وأكد أنه لن يتأخر مرة أخرى، وبالفعل كانت المرة الأولى والأخيرة، وما جعلني أشعر بالرضا بعد ذلك أن أداءه جاء رائعاً. كما توقعت له، فكان حريصاً على أن يخرج في هذا الدور كل طاقته، فكانت تلك هي فرصة عمره، وبالفعل أصبحت انطلاقته الحيوية والفعلية من خلال فيلم "السراب"، الذي غير مسار مشواره الفني للأفضل بعد ذلك، وعلى رغم هذا فأنا أقول دائماً لقد أراد الله لنور الشريف أن يقدم بهذا الشكل للجمهور، وكان دائماً جديراً بما توقعته له..

وفي مرحلة مختلفة وافقت أيضاً على إنتاج فيلم "أنف وثلاث عيون"، وأسندت إخراجه إلى حسين كمال، وتناقشت معه حول شخصية بطل الفيلم، وأكدت له



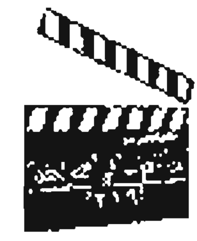
أن الأنسب للبطولة رشدي أباظة، ففزع حسين كمال لكونه كان يخشى العمل مع رشدي، وقال "إن رشدي هو الأنسب بالفعل ولكنه عصبي ودائم السكر، وإذا غضب من شيء يقوم بالضرب وتحطيم ما حوله، وأنا لست أنوي التضحية بنفسي الآن"، وأضحكني ما قاله كثيراً، ولكني تغاضيت عن رأيه، وقابلت رشدي في مكتبي، لأنه كان ينطبق عليه جميع مواصفات وملامح الدور، الذي يتطلب أن يكون "دنجوان" تعشقه النساء وتذوب في حبه الفتيات ويتنقل بينهم كالزهور، ولم يكن هناك شخص يستطيع تجسيده مثله، وكعادتنا اختلفنا حول عملية تفرغه للدور ولكنه أكد لي عدم قدرته على التفرغ، وأنه ليس هناك شخص آخر أستطيع اللجوء إليه غيره، لأن الدور يناديه، وإنني مضطرة لأقبل جميع شروطه، ولكن ما قاله أثارني، وأكدت له أنني سأتحداه وسأمنح البطولة لأي ممثل جديد، وهذا الدور سيجعل منه بطلاً يسيطر على الساحة الفنية، ويسحب البساط من تحت قدميك، فضحك رشدي بشدة وأكد أنه قبل التحدي، وبعد ذلك عرضت على مخرج الفيلم حسين كمال أن يجسد دور البطولة فرفض لكونه مخرجاً ولا يرغب في أن يكون غير ذلك، ورشح لي محمود ياسين ليجسد الدور، وكان محمود قدم من قبل فيلمين فقط "نحن لا نزرع الشوك، والخيط الرفيع"، وعلى رغم أنني كنت أؤمن بقدراته وأدائه التمثيلي القوي، ولكني اعترضت عليه في بداية الأمر، لكونه ليس هو "الدنجوان" المطلوب، وأيضاً ملامحه الشكلية أقل عمراً من عمر البطل المطلوب للرواية، ولكني آن ذاك تذكرت خلافي مع رشدي والتحدي الذي بيننا، فقبلت عرض حسين كمال، وجاءني محمود ياسين، وكان حسين كمال مقتنعاً به كثيراً، ووقع معي عقد الفيلم، وكان ضمن كواليس الفيلم التي أتذكرها عندما جلس معي حسين كمال أكثر من ثلاث ساعات يقنعني بأن أظهر في أحد المشاهد مرتدية قميص نوم، ووافقت بعد رفض مميت، وكنت أجسد هذا المشهد على استحياء شديد، وكان ذلك المشهد عندما كان محمود ياسين يقوم بالكشف الطبي عليّ، وبعد انتهاء



المشهد داعبني حسين كمال قائلا وهو يضحك "لشدة رفضك ظننت أن بك عاهة تخشين ظهورها أثناء التصوير، ولم أكن أتوقع أن أشاهد كل هذا الجمال الذي صدمني"، وأدى محمود ياسين دوره بشكل جيد، وكانت انطلاقته الحقيقية من فيلم "أنف وثلاث عيون"، وبالفعل أهله هذا الفيلم للسيطرة على الساحة السينمائية بعد ذلك، وهذا ما جعل رشدي أباظة يغضب مني لمدة كبيرة، وهذا أيضاً ما جعل شعوراً بالندم يتملكني لما آل إليه حال رشدي بعد ذلك...

وفي الفيلم أيضاً قدمت حمدي أحمد، وكان دوره لافتاً للانتباه، وأثر في مشواره بعد ذلك، وقدمت أيضاً ميرفت أمين ونجلاء فتحي، وكانت أدوارهما مميزة، وعلى رغم أنهما قدما أعمالاً سينمائية ناجحة من قبل، ولكني قدمتهما معي بشكل جديد ومختلف تماماً داخل "أنف وثلاث عيون"، ولم أخش أن يجاورني أجمل فتاتين في السينما آن ذاك، على رغم أن هناك بعض الزميلات كن لآخر عمل لهن لا يمكنهن تقبل أن تجاورهن فنانات شابات جميلات...

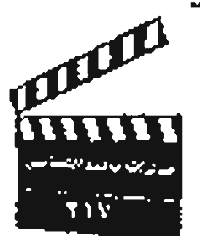
ثم بعد ذلك حققت قواتنا المسلحة، بقيادة الرئيس الراحل "محمد أنور السادات"، انتصارات حرب أكتوبر في عام ١٩٧٣، ووجدت أنني بطلة فيلم "جميلة" ويجب أن أقوم بإنتاج عمل يجسد ويؤرخ لتلك الحرب الشريفة التي خضناها جميعاً كمصريين ضد الاستعمار الإسرائيلي من أجل تحرير وطننا، وكانت هناك روايات كثيرة ونصوص أدبية متنوعة تتناول فترة الاحتلال والحرب، من بينها جميعاً جذبني واستمتعت بقراءة كتاب "العمر لحظة"، وكان نصاً أدبياً كبيراً، قام بتأليفه يوسف السباعي، وكتبه من خلال قصص المحاربين على الجبهة "العساكر والضباط"، وكان يحتوي على قصص هي الأصلح لأن تقدم في فيلم سينمائي، ونجأت ليوسف السباعي لشراء الرواية، وضحك قائلاً "إن هذا العمل يحتاج إلى مؤسسة أو رجال مفتولي العضلات حتى يستطيعوا إنجازه وليس فتاة لطيفة مثلك ليس بها أي ملامح للرجولة"، ولكنه أمام حماستي وافق على



عرضي لشراء الرواية، وقام مدكور ثابت بكتابة السيناريو والحوار، وبعد رفضه قَبِلَ أن يقوم أيضاً بإخراج الفيلم، وكان ذلك بدافع مني، لأنني كنت أحترم شخصيته وأقدر ثقافته. وبعد أن حددت مواعيد لبدء التصوير اختفى مدكور ثابت، وظللت أبحث عنه لمدة شهرين ولم أتوقع أن يكون اختفى، وبدأت الشكوك والوساوس تدخل إلى نفسي حتى ظننت أنه خُطِف. ولكنني اكتشفت أنه هرب من إخراج الفيلم، وأن هذه هي طباعه. فهو متردد دائماً ويتراجع عن قراراته في اللحظات الأخيرة...

ولذلك لجأت إلى المخرج محمد راضي، ووافق بسعادة على إخراج الفيلم، وكان له خلفية قوية عن الأفلام العسكرية والوطنية التي ظهرت من خلال فيلمه الذي حقق النجاح "أبناء الصمت"، وبدأ مدكور ثابت يظهر مرة أخرى بعد أن اطمأن أني أسندت الفيلم لمخرج آخر. "وقُطِعت صداقتنا لفترة كبيرة"، وبعد ذلك ذهبت لمقابلة الفريق محمد عبدالغني الجمسي لأطلب منه موافقة القوات المسلحة على الفيلم ومساندته، وكان رجلاً رائعاً ويتمتع بأخلاق العسكريين، وأعطيته نسخة من الرواية والسيناريو وقرؤوها وأعجبتهم ولم يُبدوا أي ملحوظات أو تعديلات، وقال الفريق الجمسي "تُعرض علينا روايات كثيرة يريد أصحابها أن يقدموها في أعمال سينمائية عن الجيش، ولكننا نعرف مدى قدرة ماجدة وحبها لمصر، وهذه أشياء شجعتنا على الموافقة دون تردد". وأصدر أوامره للجيش الثاني بدعم وتصوير الفيلم بكل ما يحتاج من جنود ودبابات ومعدات وسيارات وأماكن تصوير داخل المعسكرات. وقال "هذا الفيلم جيد ويجب أن يخرج على مستوى لائق بالجندية المصرية". وشكرني لإقدامي على هذا العمل..

وبعد أن حصلت على موافقة ودعم الجيش بدأت في اختيار الممثلين، وكانت علاقتي برشدي أباظة عادت إلى نصابها، ولكن حدث ما كان يحدث بيننا في كل مرة أطالبه بالوجود معي داخل عمل فني، واختلفنا وكنت شاهدت "محمد



خيري" يؤدي دوراً صغيراً أمام برلنتي عبدالحميد في فيلم "عش الزوجية". وتناقشت مع المخرج محمد راضي حول أن هذا الشاب تتوافر فيه جميع صفات البطولة، وأيد راضي رأيي، وعلى رغم أن محمد خيري كان لا يزال ممثلاً صغيراً إلا أنني قدمته في بطولة فيلم، ووقع عقدة معي وهو في سعادة بالغة بهذا الدور الباهر الذي لم يكن يتصور أن يأتيه بسهولة. وفي تلك الفترة كان أحمد زكي لا يزال في بداياته، ويبحث عن فرصة حقيقية لإبراز مواهبه، ويداوم ويحرص على زيارتي بمكتبي بعمارة "الإيموبليا"، وكنت أقدره وأحترمه، خصوصاً أنه أتى من قبل لتعزيتي في وفاة والدتي ووالدي، فكنت لا أبخل في أن أقدم له ما يريد من خدمات، وأتذكر أنه في ذات مرة شاهد بمكتبي "كاسيت شرائط" أحمر اللون، كنت اشتريته لابنتي غادة، فأبدى إعجابه به وتمنيه أن يمتلك مثله، فأهديته إليه ورفضت سماع أي كلمات يمكن أن يعتذر بها عن عدم قبوله كهدية. وأثناء اختيار فريق عمل الفيلم لم أجد أفضل منه لتجسيد دور يمثل به العسكري المصري البسيط الذي استشهد على الجبهة، وترك أحلاماً كانت تنتظر أن يحققها، وذلك من أجل الدفاع عن الأرض، فكان هذا الدور فرصة حقيقية له، ونبغ من خلاله واستغله أفضل استغلال، فرأيي "أن أحمد زكي مثل رشدي أباظة شخصية لا تعوض، وكان يصلح لتجسيد جميع الأدوار". ولقد أصدرت أوامري ذات مرة بإلغاء يوم التصوير وتحميل أحمد زكي تكلفة اليوم لتأخره عن الحضور في موعده المحدد لتصوير أحد مشاهده، وكان التصوير في موقع الجيش الثاني، وكانت تكلفة ذلك اليوم تشمل السيارات والمدرعات والدبابات وحوالي ألف جندي، فحضر أحمد زكي عندما علم بذلك وهو يضع على إحدى ذراعيه وقدميه بعض الأقطان والشاش، وعلل تأخره بأنه أصيب في حادث ولكني أكدت له أنني يقنعني تمثيله أمام الكاميرا أكثر مما يقوم بتمثيله عليّ الآن، وأنه ليس به أي إصابات، فضحك وأثناني عن تحميله تكلفة اليوم،

متعللا بأن كل ما حصل عليه من أجر لا يكفي لشراء إطار واحد في مدرعة أو دبابة، واعتذر وأكد لي أن التأخير لن يتكرر، وبالفعل لم يتكرر هذا الموقف منه مرة أخرى طوال أيام التصوير، ولكني لن أنسى أن هذا الفتى الأسمر "أحمد زكي" جعل من بطولة هذا الفيلم ثلاثية بأدائه الباهر الذي قدمه في هذا الفيلم، فكان هو البطل الثالث بعدي، أنا ومحمد خيري..

اختلفت مع محمد راضي، مخرج الفيلم، في تنفيذ أحد المشاهد ونفذته، على رغم عدم اقتناعه به، وهو أن يتبادل البطلان التفكير في بعضهما البعض بشكل عاطفي، فلقد أراده المخرج فيلماً منكباً على الحرب والجيش دائماً دون أي عواطف، ولكني أردت بهذا المشهد أن يكون له منظور اجتماعي عاطفي ينشأ بينهما وسط كل ما جري من حرب وقتل، ورصد الفيلم المجتمع بكامله في تلك المرحلة. وكان من أكثر الأفلام الوطنية نجاحاً بعد عرضه. واحتوى على مشاهد تسجل وترصد وحشية العدوان الإسرائيلي التي كان من أهم معالمه أن ذاك العدوان على مدرسة "بحر البقر"، الذي خلدته في الوجدان كلمات الأغنية التي جاءت بالفيلم. وقام بتلحينها بليغ حمدي، وكانت بعض كلماتها (محافظة الشرقية.. مدرستي، مدرستي.. بحر البقر الابتدائية.. كرستي، كرستي.. مكتوب عليها تاريخ اليوم، مكتوب على الكراس اسمي.. سايل عليه عرقي ودمي من الجراح اللي في جسمي.. في بيت شبابيك بتنادي يا بلادي يا بلادي أنا بحبك يا بلادي)، التي ظلت تلك الأغنية خالدة حتى اليوم. "ولكني حزنت لأنها لم تنسب للفيلم ممن قدموها بشكل وتوزيع جديدين بعد ثورة ٢٥ يناير"، وكان أيضاً من أبرز الأدوار وأكثرها مشقة أثناء التصوير دور مصمم المعارك الذي أسهم في خروجها بشكل يفوق الحقيقة ودون أن يصاب الممثلون بأي أذى..

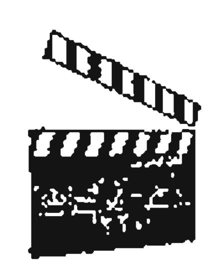
ولكن من الأشياء السيئة التي سبقت عرض الفيلم عملية اغتيال مؤلف الرواية يوسف السباعي "وزير الثقافة آن ذاك" في قبرص، على رغم أنني كنت دائماً



أذكره بأنه سيكون أول من يقوم بافتتاح الفيلم، وفي العرض الأول للفيلم وداخل دار العرض حضر الكثير من قيادات الجيش الثاني ووقفوا دقيقة حداد على روح يوسف السباعي، وبعد انتهاء عرض الفيلم وقف الجميع بالتصفيق والبكاء، وظل يعرض الفيلم بعد ذلك على مدار ستة أشهر بسينما "ديانا"، وكان أول فيلم وطني مصري ينجح جماهيرياً لأن الفيلم جسد بشكل اجتماعي إنساني...

وعلى رغم عظمة الفيلم وقوته، والمجهود الذي بذل فيه، إلا أنه ظلم ولا تذكره الدولة عندما تذكر الأعمال السينمائية الوطنية، حتى أنني قابلت الرئيس السادات قبل اغتياله بعامين في أحد الاجتماعات التي كان يحرص على عقدها مع الفنانين، وشكوت له أن الفيلم، على رغم ما يقدمه لمصر من تسجيل بالصوت والصورة لتأريخ أكبر أحداثها الوطنية والعسكرية، لكنه ظلم ولم يحصل على حقه الكافي من التقدير من الدولة في العرض على شاشات التلفزيون آن ذاك، فرد الرئيس السادات قائلاً "يا ماجدة لا تغضبي وكل شيء يُبنى صحيحاً سيحصل على حقه في النهاية"

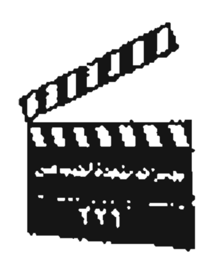
(وهنا وجهت لها سؤالي حول من قابل دعمها ومساعدتها له بالجحود).. فابتسمت قائلة لم أنتظر يوماً من كل ما ذكرت وغيرهم أي مقابل، ولكن اختلفت مع الراحل حسام الدين مصطفى على أحد أعمالي، بعد أن أصبح مخرجاً له ثقله، على رغم أنني لم أتوانَ في مساعدته عندما زارني في مكتبي، وكان لا يزال في بدايته عائداً من دراسته بأمريكا، وقال لي حينها "أعلم أنكِ كنت السبب في ظهور وانطلاقة مخرجين كثيرين، وأريد مساعدتك، قبلت شركة الشرق أن تتعاون معي في تموين وتوزيع عملي ولكن اشترطوا أن أوقع عقداً معك أولاً لقيمتك الفنية في التوزيع"، ووافقت عندما علمت أن بدايته مرتبطة باسمي،



وكانت انطلاقته، وسيطر بعد ذلك على الساحة الإخراجية، ونسي كل ما كان وكأنه لم يكن، ولكن هذا الأمر لم يغضبني؛ فصاحب العطاء دائماً معطاء...

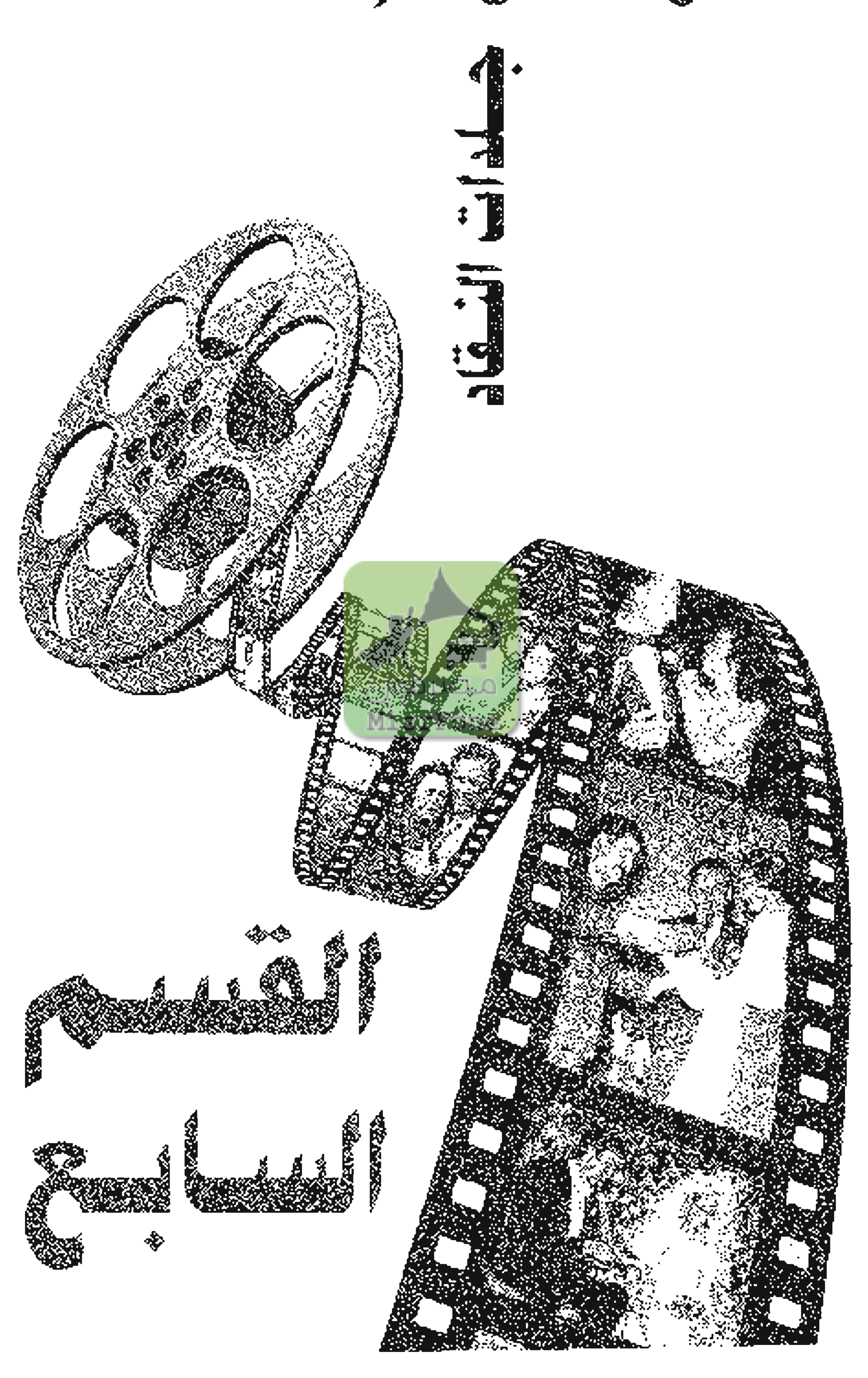
في النهاية لقد أسهمت بما ذكرت من أفلام وأكثر من هذا في تقديم مجموعة كبيرة من النجوم السينمائيين من "الممثلين والممثلات" الذين كانوا ينتمون لجيل الوسط؛ الذين مازال بعضهم يسيطر على الساحتين السينمائية والتلفزيونية حتى الآن، لم أبخل يوماً في دعمهم، وكان هذا إيماناً مني بهم وبروح التواصل الذي يجب أن يتحقق بين الأجيال وبعضها البعض...





الفصل السادس عشر

جلدات النقاد



القسم السابع

- كنت دائماً أتعرض لحملات شرسة من النقد والتجريح لمجرد خلافات شخصية بين الناقد وبيني...
- "إن سلطات ماجدة تفوق الرئيس عبدالناصر".. هكذا كتب حبيب مجاعص، الصحفي اللبناني، بعدما مُنعت مجلته من الدخول إلى مصر...
- على رغم أنه كان لاذعاً، ولكنني تقبلت نقد يوسف إدريس عندما كتب عمودا بعنوان "من صورتها"...
- هاجمني موسى صبري بسبب أزمة مخرج فيلم "السراب"، ورددت عليه بأنه من حقي اختيار مخرج للفيلم الذي أنتجه...

- كنت أؤمن بأنه لا يمكن أن يتحول النقد في بلادي لتصفية حسابات
- أن تتحول الأقلام من أداة للبناء إلى أداة للهدم
- أن يجرحني ناقد لمجرد الانتقام لكوني لم ألب دعوته على العشاء
- النقد أسمى من كل شيء يمكن أن أصفه.

(ماجدة الصباحي)



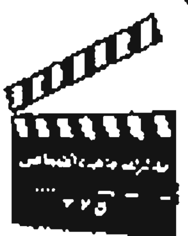
كانت دائماً وأبداً طلقات الحبر قادرة على أن تصيب الفنانين في أحيان بالسعادة وأحيان أخرى بالحنق والإحباط والغضب.. تلك الكلمات التي ينتزعها النقاد من حقول المعرفة والبلاغة ليرفعوا بها شأن فنان إلى عنان السماء، أو يخسفوا به في بطون الأرض، وعن النقد والنقاد تتكلم الفنانة الكبيرة ماجدة فتقول:

كنت ومازلت أحترم النقد الفني البنّاء الذي يسهم في توجيه الفنان وتعرية أماكن الضعف والوهن بجسده الفني حتى يقوِّم من نفسه وأدائه.. فما أقوى الناقد إذا كان يتمتع بحس فني، وما أقبحه إذا كان جاهلاً لا يعرف الفرق بين الدراما والأكشن، بين المواجهة والإسقاط.. وما أجمل النقد إذا كان بعيداً عن الميول والاتجاهات وما أشرفه وأسماه إذا كان بعيداً عن المشاكل الشخصية.. هذا النقد الذي كنت دائماً أحبه وأحترمه وأحترم الأقلام التي تقطر بحبرها وتسطر صفحات من رفعة الفن والارتقاء به، ولكن، مع الأسف الشديد، كل ما أذكره لك هي أماني لا تتحقق كثيراً، بل نادراً عندما تجد من يلتزم بها. ولقد تعرضت كثيراً لحملات من التشويه والنقد لمجرد خلافات شخصية بيني وبين من ينقدني، أو لمجرد أنه يتطوع محاولاً أفول نجمي، الذي كان يتلألأ بين نجوم السينما. وفي البداية كنت أشعر بالأسى والمرارة لما كنت أتعرض له من جلدات النقاد من دون مبرر، ولكني بعد ذلك تعودت أن أصمد أمامهم مهما كانت قوتهم.. لقد كان هناك ناقد وكاتب صحفي لبناني يدعى "حبيب



مجاعص"، كان شديد الهجوم في نقده الذي لم يكن يتسم بأي موضوعية، ولم يكن يراعِ فيه قواعد النقد، وهذا أحد النصوص التي كان كتبها ضدي "جبناء هم الذين يمجدون ماجدة.. جبناء هم الذين يتغنون "بعذريتها".. جبناء هم الذين يسجدون لنفوذها.. فهل هذه رسالة الصحفي؟.. إن صاحب مجلة أو جريدة يخشى الكتابة ضد ماجدة؛ إذ إنه تُمنع مجلته من دخول القاهرة حتى ولو كانت جريدته تمجد الرئيس عبدالناصر.. تُرى ما معنى هذا؟ وكيف استطاعت ماجدة أن تصل إلى هذا المركز ؟ ومن الذي يحميها، أو بالأحرى من الذي يقف وراءها وله هذه السلطة السحرية التي تفوق سلطة الرئيس عبدالناصر في القاهرة ؟.. ولنفرض أن هناك سلطة غريبة عجيبة، فهل يجوز أن تكون هذه السلطة أقوى من سلطة الصحافة؟ هل يجوز؟.. إلا إذا توقفت الصحافة!.. إن مجلتنا وقفت ضد ماجدة بسبب أعمالها المخزية وإساءتها إلى المجتمع اللبناني والعربي وتصرفاتها الشاذة.. كتبنا ومنعت مجلتنا من دخول القاهرة.. فهل تراجعنا؟ هل استسلمنا؟ هل سجدنا؟ وهل يجوز أن نتراجع أو أن نستسلم أو أن نسجد؟!

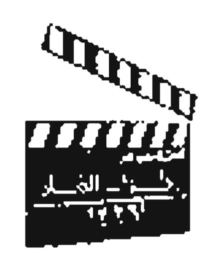
إن سلاح الصحافة أمضى من أي سلاح، فكيف لا نقهر العدو، كيف نرغمه على الاستسلام والسجود.. هو الذي يجب أن يستعطف ويتوسل، منذ سنة ونصف السنة تقريباً حملنا على "اليزابيث تايلور" الصهيونية، وطلبنا منع السماح لها بدخول مصر، فصودرت أعداد هذه المجلة في سوريا، بناءً على رغبة وأوامر المسئولين في مصر.. ظن هؤلاء أننا سنستسلم ونتوقف عن الكتابة ولكنهم فوجئوا بنا نكمل الرسالة غير آبهين بما فعلوا، وصودرت أعداد جديدة وصمدنا في المعركة حتى انتصرت هذه المجلة بفضل وعي الشعب العربي والتفافه حولها، لأنها تعمل من أجله، من أجل مصالحه، ومن أجل مستقبل أطفاله، من أجل مستقبل الأمة العربية.. نعم انتصرت هذه المجلة ومُنعت "اليزابيث تايلور" من دخول مصر، على رغم أن الصحف المصرية والعربية كانت تغنت "باليزابيث" هذه، وقالت إن ملايين الدولارات أفضل من المقاطعة.. وهكذا معركتنا مع ماجدة



أنها لن تتوقف إلا عندما تعود ماجدة عن غيها وضلالها، وعندما تعرف مصر كيف تتصرف في مثل هذه الأمور فتبحث عن صالحها لا صالح امرأة تريد أن تهدم مجتمعاً بكامله من أجل رغبتها".

فكان ذلك لا يعتبر نقداً بل هجوم وتجريح صريح دون أي خشية. وما كان مني إلا أنني اعترضت على هذا الأسلوب الذي كان يكتب به ضدي، ووجهت شكاوى للمسئولين وبالفعل منعت مجلته من دخول مصر آن ذاك. وكما أشار هو في نقده، ولكن بعد ذلك فوجئت به يدخل عليّ مكتبي، وكان في زيارة للقاهرة، ويرفع يده عالياً وهو مبتسم ويقول باللهجة اللبنانية "أنا سلمت ليك يا ست ماجدة واغفري لي وسامحيني فأنا أذنبت في حقك كثير". وكعادتي صفحت عن كل ما كان بيننا، وصرنا بعد ذلك أصدقاء حتى أنني وقفت بجانبه كثيراً عندما دخل في صراع مع المرض في أيامه الأخيرة..

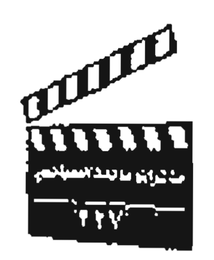
ولكن من أكثر النقد الذي تقبلته واعتبرته توجيهاً وإشارة، على رغم أنه يحتوي على كلمات لاذعة ومعانٍ عميقة لا يستطيع صياغتها إلا مبدع كبير، إلا أنني شعرت في فحواه بأنه يقدر ما يحمل من هجوم يقدر ما يحمل من توجيه رسالة شكرت كاتبه عليها: فذلك المقال حمل عنوان "من صورتها" الذي كتبه الدكتور يوسف إدريس، وكان نصه "لا أستطيع أن أقول إني لا أعرف ماجدة إلا من صورها فقط، فالحقيقة أني قابلتها مرات عدة ولكن المدهش أن مقابلتها مسألة لا تختلف أبداً عن النظر إلى صورتها، فهي دائماً صورة وصورتها دائماً تتخذ وضعاً تمثيلياً معيناً: سواء كانت داخل إطار أم داخلة إلى حفلة العرض الأول لأحد أفلامها، وماجدة ممثلة موهوبة من غير شك: طموحة، قلقة، ذات أحلام متشعبة المسالك والدروب قامت بأدوار مهمة عدة على الشاشة: ولكن أروع أدوارها في رأيي هو الدور الذي لم تمثله في رواية أو فيلم: هو دورها في الحياة، وهو رائع لأنها هي التي تؤلفه وتخرجه وتعتصر نفسها وتمثله.. مكتبها في عمارة



الإيموبيليا تحس أنه بلاتوه معد لتصوير مشهد بطلته ماجدة طبعاً الجالسة تمثل دور المنتجة اسماً، وتقوم بدور الملكة، أما لماذا الملكة بالذات فلأنها ولدت ملكة، أو هكذا قال من توجها الكلام نفسه الذي قالوه لغيرها، ولكن عيب ماجدة أو ميزتها لا أعرف أنها صدقتهم وآمنت بأنها هي وحدها الملكة، أو إن لم تكن كذلك فيجب أن تكون بسينما أو بغير سينما برواية جيدة أو بسيناريو مفكك الأجزاء، المهم لابد أن يعترف الناس بها حتى قبل أن تقدم هي ما يوجب الاعتراف، ولهذا فكلمتها إليك تخرج هامسة ناعسة تريد إقناعك بالمساهمة معها في الرواية أو على الأقل بتمثيل دور الرعية مجرد تمثيل شفتيها، وآه من شفتيها، لهما الدور الرئيسي بين كل ملامحها، دور أعد خصيصاً ليغطي على بقية الأدوار والملامح، كل حركة من حركاتها تحس أنها غير طبيعية ومحسوبة، ولها هدف، والهدف واضح: الاعتراف بها كملكة حتى قبل أن تبدأ التمثيل هدف تثيره من أجل موهبتها وطاقتها وتقوم بمفردها بدور الحارسة والمحامية فلا تصل البلاتوه إلا وهي تلهث، ولا تبدأ تمثل إلا وقد أصبح للتمثيل أصغر جزء من نفسها... ترى يا فنانتنا ماجدة يا مؤنث المجد متى تؤمنين أن مجد الفنان لا يقوم إلا على موهبته فقط، ومملكته لا تتعدى أبداً حدود المشهد الذي يمثله وأدواره الخالدة التي تصنع المجد والتاريخ والملكات هي فقط الأدوار التي تدور أمام الكاميرا وتسجلها؟!".

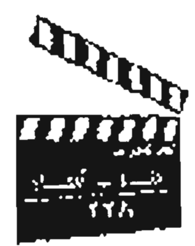
لقد جاء مقال يوسف إدريس الذي كان يقصد منه أن يوجهني ويكشف لي بعد مواطن الضعف الموجودة بجسدي الفني. كما يراها، وإن كانت رؤيته هذه صحيحة أو خطأ فهي رؤية تحترم طالما تم طرحها بأسلوب نقد منهجي ولائق "على رغم أنها أيضاً لم تكن كاملة النزاهة عن اختلافات شخصية"..

ولكن على العكس تماماً كان يوجه موسى صبري ما لا أستطيع أن أطلق عليه نقداً بل هجوم حاد تحت عنوان حمل كل الاستهزاء لشخصي وما أقدمه لرسالة



الفن في شكليها "التمثيل والإنتاج"، لقد كتب في مجلة "صباح الخير" يقول "ماجدة والجمعيات.. ممثلة وخلافة!"، وكان نص الموضوع "الممثلة ماجدة تثير في الحقل السينمائي جدلاً مفاجئاً أعجب الصحفيين وملأ صفحاتهم، وأزعج السينمائيين القدامى، وأيقظ نقابتهم من نومها الذي دام أكثر من ثماني سنوات، ووصل إلى وزير الثقافة فأمر بتشكيل لجنة لدراسة المشكلة.. والمشكلة أن الممثلة ماجدة تعاقدت مع شركة للمونتاج على أن تنتج لحساب الشركة فيلم "السراب" عن قصة نجيب محفوظ وإخراج صلاح أبو سيف.. ثم اعتذر صلاح أبو سيف بسبب مشاغله الفنية، فرشحت ماجدة المخرج حسن رضا، وتبين أن حسن رضا مشغول أيضاً بإخراج فيلم من إنتاج توفيق الصباحي، شقيق ماجدة، فرشحت لها الشركة عاطف سالم.. لكن ماجدة رفضت وصممت وأصرت وتمسكت بحسن رضا.. ليه يا ستي؟.. لأن الفيلم يحتاج إلى مخرج تتوفر فيه الخبرة الفنية والتجارب الطويلة، كما أنه يجب أن يكون بيني وبينه الصلة الفنية التي تخلق بيننا التفاهم، وبجانب ماضي حسن رضا الطويل الذي يشهد له بهذه الخبرة، "كلام ماجدة برضه"، فقد تعاون معي من قبل في إخراج فيلم "من أحب" الذي أخرجته أنا في العام الماضي.. وحين علم عاطف سالم برفض ماجدة رفض هو أيضاً، وظل الموقف معلقاً لكن ماجدة لم تسكت ووضعت المشكلة على مستوى علمي.. فما اختصاصات المنتج السينمائي؟ وما سلطاته؟ وهل من حقه اختيار الفنيين الذين سيعملون بالفيلم معه؟.. أم أنه مجرد بصمجي؟.. ألخ..!

وثارت الزوبعة وتحرك السينمائيون القدامى وتحركت النقابة، وحيثما يوجد حسن رضا يوجد السينمائيون القدامى وتوجد النقابة وأحكم القدامى صياغة السؤال وأطلقوه في وجه القطاع العام، ولا تزال الزوبعة تدور متهمة القطاع العام بالاستبداد، مدافعة عن حرية المنتجين وعبقريتهم وتاريخهم الطويل الخبير بالإنتاج، على الرغم من كل الحقائق التاريخية التي بين أيدينا عن السينما



المصرية التي ظلت في مكانها محلك سر أكثر من عشرين عاماً بعد الحرب العالمية الثانية بفضل هؤلاء المنتجين وخبرتهم الطويلة في الإنتاج!

ونحن الآن لا يمكننا أن نلوم السينمائيين القدامى، بل نلوم السينمائيين الجدد في القطاع العام الذين يواصلون تدليل ماجدة بإعطائها ستة آلاف جنيه عن دورها في فيلم "ثورة اليمن"، بينما يأخذ فنان كصلاح منصور ثمانمائة جنيه عن دوره في الفيلم نفسه..!

وحين نتذكر أن ماجدة نفسها منذ بضعة أسابيع أو شهور كانت تصرخ وتصيح على صفحات الصحف نادبة الخسارة الشديدة التي منيت بها في الأفلام التي أنتجتها بنفسها، حتى أن الدولة أشفقت عليها حينذاك فرفعت عنها بعض الضرائب، أو قسطت لها بعض الديون لست أذكر بالتحديد.. حين نتذكر هذه الخسارة التي أعلنتها ماجدة بنفسها كمنتجة في القطاع الخاص يمكننا أن نلوم بشدة سعد الدين وهبة حين يتعاقد معها كمنتجة للقطاع العام، ونعتبره مبدداً لأموال هذا القطاع حين يضعها بين أيدي ماجدة لتقوم بالإنتاج".

ولكني لم أستطع الصمت الذي كنت أحرص عليه دائماً أمام النقاد على ما تفضل به موسى صبري من تجريح في حقي لم يكن يليق بتاريخي أو تاريخه، وأرسلت خطاباً يحمل ردي وكان محتوى نصه "الحقيقة التي اقتنع بها جميع السينمائيين ورفضت أنت الاقتناع بها هي أن ماجدة لا تبحث عن مكسب شخصي لنفسها من وراء تمسكها بحقها في اختيار مخرج الفيلم الذي تقوم بإنتاجه، فالخلاف في كل الأحوال يدور حول وسيلة تنفيذ هذا الفيلم في صورة تستحق أن تنسب إلى إحدى شركات القطاع العام، بينما الإيرادات تعود إلى خزينة هذه الشركة وليس إلى جيب ماجدة.. ولكن الأستاذ سعد الدين وهبة، رئيس مجلس إدارة الشركة، رأى هذا الخلاف حول المبادئ وأساليب العمل خلافاً شخصياً.. ورأيت أنت مثله من وجهة نظر خاطئة: عندما قلت إن سعد



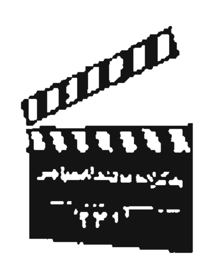
الدين وهبة يبدد أموال القطاع العام حين يضعها بين يدي ماجدة، لما قلت به من أن إنتاجها لا يحقق أرباحاً.. والحق أنك من هذه الرواية، ودون أن تدري، إنما تسيء إلى القطاع العام، لأن الأفلام التي أنتجتها ماجدة فاقت إيراداتها كل الأفلام العربية الأخرى: وقد جاءت الخسارة بسبب ما روعي في إنتاجها من ضخامة تتناسب والهدف العظيم الذي أنتجت من أجله.. وهذا أمر يتحقق بالنسبة لكل فيلم يقام إنتاجه على أسس غير تجارية.. وأظنك تذكر الأخبار التي نشرتها وكالات الأنباء العالمية عن فيلم "جميلة": وأظنك تقدر - إن كنت منصفاً - أن ماجدة خسرت الكثير كمنتجة لتقدم "أين عمري والمراهقات وجميلة والحقيقة العارية".. وما لم يعالج من هذه الأفلام مشكلة اجتماعية فإنما يعرض حدثاً سياسياً عاماً ويبرز جهداً ثورياً من الجهود التي تعتز البلد بها.. إذن ماجدة لم تحقق تلك الخسائر إلا في سبيل البلد.. ومن أجلها؛ ولك أن تعلم في كل الأحوال أن سعد الدين وهبة ليس هو الذي يقرر أن تنتج ماجدة أو لا تنتج أفلاماً للقطاع العام.. إنما يقرر ذلك الدور الحيوي الذي لعبته ماجدة - ولا تزال - في السينما العربية.. أما الستة آلاف جنيه التي تتقاضاها ماجدة.. فهذا ما لم يقرره سعد الدين وهبة.. بل هذا أجري منذ أكثر من ست سنوات، ولم يكن سعد الدين وهبة دخل الميدان السينمائي بعد غير أن المهم هو أن تعلم أن أجري ليس الستة آلاف جنيه، فقد تعاقدت معي السينما في البلاد العربية الشقيقة على فيلمين مقابل اثنين وعشرين ألف جنيه إسترليني؛ وأظنك لا تجادل في أن الذي يأخذ أجراً كبيراً لابد أن يعطي شيئاً يساوي هذا الأجر! وإلا كان مجنوناً هذا الذي يدفع أجراً كهذا في شيء لا يكسب منه!

وبعد... فأحب أن أقول لك إن خلافي مع سعد الدين وهبة لصالح العمل نفسه.. وليس لمصلحة شخصية، كما قدرت أنت الأمور عندما قررت أن تخوض هذا الموضوع.. وأحب أن أقول لك عندما يتحرك السينمائيون القدامى وتتحرك النقابة وتدور الاجتماعات برئاسة السيد وزير الثقافة؛ فإنما ليبحثوا أمراً يعنيهم



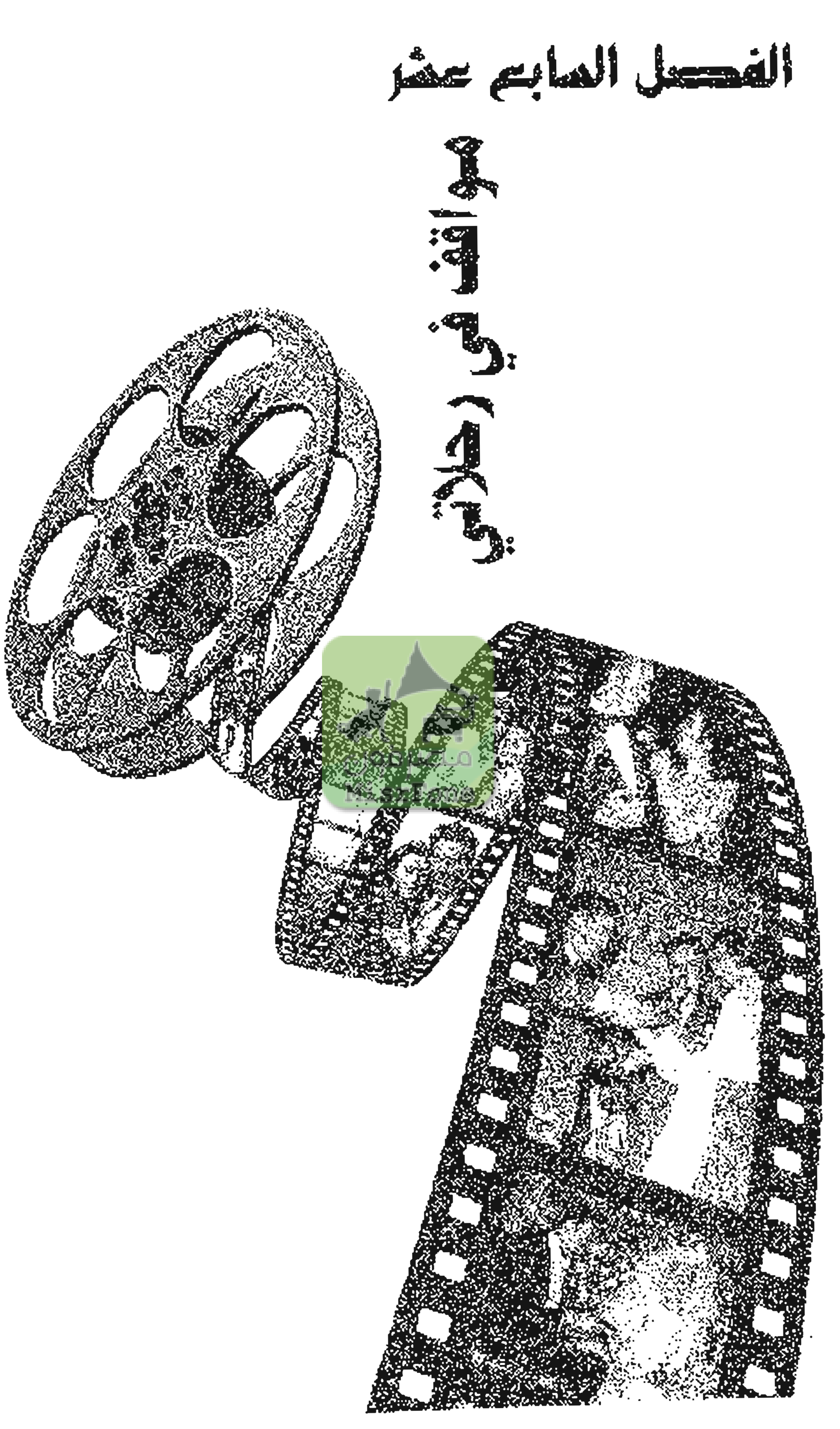
ويفهمون فيه، لأن هذا فنهم وهذه صناعتهم التي عاشوا لها أكثر من ثلاثين عاماً.. إن ماجدة التي تقول عنها ما تقول لم يفرضها أحد على السينما العربية.. وما كانت لتبقى طوال هذه السنوات ما لم تكن جماهير السينما مقتنعة بها.. الأمر الذي قدرته الدولة بأن منحتها وسام الدولة للفنون".

وفي النهاية إني كنت دوماً أحب الصحفيين الفنيين، أحبهم أكثر مما يتصورون، وعلى رغم كل المناكفات التي كانت تدور بيني وبينهم، وعلى رغم ما كانوا يكتبونه عني مما يسرني أو يشعل نيران الغضب بداخلي، فأنا لا أعتب عليهم لأني أعرف جيداً أنهم كانوا أيضاً دوماً يحبونني كما أحبهم. وقد كان بيني وبين صحف كثيرة وصحفيين شتى حب عميق، إذ إني كنت أعتبر المجلات الفنية مجلاتي، وأسر تحريرها كنت أعدهم من أفراد عائلتي، لأن هذه الأسر كانت ولا تزال تعمل من أجل الفن ومن أجل الارتقاء بقيمه، كما كنت أعمل وأبغي أنا شخصياً، فالذي بيني وبين الصحف الفنية ما هو إلا شعور مشترك لا يمكن إلا أن يقوى على مر الأيام، ولا يمكن إلا أن يشتد فيما نحبه نحن جميعاً ألا وهو الفن الصحيح، وأنني أسجل هذا الآن في تاريخي لأؤكد الإخلاص الذي يعمر به قلبي نحو كل كاتب يحترم قلمه ويدافع عن كرامة الفنان وعن سمعة الفن العربي، وكل صحيفة تكتب بدافع الإخلاص للفن الذي نقدسه جميعاً، لهذا فلا موجب للشك فيما أسجله وأقوله، إذ إننا نخلص للفن ومن الواجب أن نخلص لبعضنا بعضاً.. إني أكن الاعتزاز والاحترام لكل صحافي فني يتنزه عن الغايات والأنانية ويدفع بقلمه الفن إلى المستوى الذي نوده ونريده والصحافة الفنية المصرية بشكل خاص والعربية والعالمية بشكل عام كان ومازال لها في قلبي أكثر من الاعتزاز والاحترام، إذ إنها كانت دائماً تخطو إلى الأمام ويخطو الفن معها بقوة وسرعة...



الفصل السابع عشر

مواقف في (حياتي)



- كانت رحلاتي اكتشافاً لمجتمعات وكنت أصطدم بتلك المجتمعات وأتوه في بلاد غريبة...
- "ماري غضبان" صديقة صحفية تسببت في أنني أخطأت طائرة القاهرة واستلقيت طائرة ذاهبة لفرانكفورت ...
- للمرة الأولى أكشف عن تفاصيل بضعة أيام كنت فيها تائهة في لندن...
- رفضت أن يتم تكريمي بأمريكا بشكل غير لائق لتاريخي واسم بلدي، وقابلت جيهان السادات، والسادات قال ماجدة ممثلتي المفضلة...
- اعتذرت عن عدم التمثيل في المسرح والمسلسلات.. وعبدالوهاب قال عني "تبهرني رقتها التي لا يمكن أن تكون مصطنعة، كما يدعي البعض...
- يبث الله في قلوب جمهوري الحب والثقة لي، وكنت دائماً أقدم لهم ما يفيدهم ولا يخدش حياءهم...

- أصبح مصطلح السينما النظيفة ينتشر هذه الأيام وكأن السينما التي انتمي إليها جيلي كانت غير كذلك
- دائماً كان لابد أن نبذل المجهود المضني من أجل الارتقاء بما يُقدم في دور العرض
- مطالب الجمهور كانت متغيرة عما هو الآن، وكان لابد أن نلبيها لهم
- للحاليين أقول دائماً اتقوا الله في جمهور هذه الأيام.

(ماجدة الصباحي)

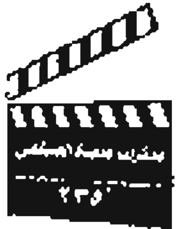


كانت هناك مشكلة واحدة تعاني منها ماجدة، كانت تكمن فيما تتعرض له أثناء سفرها ورحلاتها في الخارج من مواقف كانت تراها مأسوية ومحرجة، ويراها البعض الآخر نكتة تصلح لتنشر في الصفحات الفنية يضحك عليها القارئ من كل قلبه. فلأنها كانت منذ الصغر تعيش في عائلة محافظة لا تعرف نساؤها طريقاً آخر غير طريق المنزل، فكانت الرحلات خارج مصر بالنسبة لها عالماً جديداً لم تكتشفه من قبل، فكانت رحلاتها الخارجية مليئة بالألغاز والتعقيدات التي تتسبب الآن في بهجتها حين تتذكرها فتقول عنها...

كانت دائماً رحلاتي الخارجية وسفرياتي هي بمثابة اكتشاف لمجتمع وثقافة جديدة لم أعلم بها من قبل، وكنت في البداية وفي أحيان كثيرة أصطدم بتلك المجتمعات وثقافتها المختلفة عن أجواء مجتمعنا "الذي نشأنا فيه"، فتفقدني توازني وأتعرض لما يشبه الصدمة التي يتبعها اختلاط الأمور، ويترتب عليها أني أتوه في بلاد غريبة.. لقد كانت المرة الأولى التي تعرضت فيها لهذا الموقف، كانت بصحبتي الكاتبة الصحفية "ماري غضبان"، وكنت عائدة من أحد المؤتمرات الذي دعيت لها لعرض أحد أفلامي، وعند عودتي وفي صالة المطار وجهتني ماري إلى الطائرة التي سأستقلها عائدة عليها للقاهرة، فقد كانت تذكرتي على الدرجة الأولى وهي تتبعني على الدرجة الثانية، ولكن تاوبني شعور غريب بعد ربع ساعة من رحلة الطيران، بأن هناك خطأً ما في تلك الرحلة، فوجدت

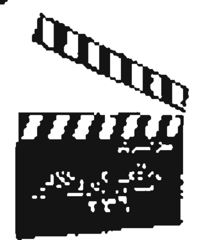
أن جميع من يستقلونها يتحدثون لغات مختلفة عن لغتنا العربية. وعندما سألت مستفسرة قالوا لي إن الطائرة ليست في طريقها للقاهرة ولكن في طريقها "لفرانكفورت"، لقد أخطأت ماري في توجهي لطائرتي "فقد كان نظرها ضعيفاً جداً"، وللمرة الأولى تاوبني شعور الخوف من المجهول الذي ينتظرني، وبالغربة والوحشة عن أهلي ووطني، وكنت في حينها غير متوقعة أن أتعرض لذلك الأمر، فلم أكن أحمل معي غير القليل من المال، ونزلت في مطار فرانكفورت وجلست في صالته لا أعرف ماذا أصنع وظللت أبكي، وعندما شاهدني أحد رجال الشرطة حاول مساعدتي واتصل بالسفارة المصرية هناك "وعلى رغم أن السفارة تغلق أبوابها في ليلة الأحد، الذي كانت ليلتي حينها" ولكن بمصادفة عجيبة رد السفير المصري، حيث كان داخل السفارة في زيارة قصيرة لها يوم إجازته وعلم بمشكلتي وعلى الفور أكرمني واعتنى بي حتى عدت للقاهرة، ومن المضحك أنني عندما عدت علمت أن ماري غضبان هي الأخرى ضلت طائرة القاهرة واستقلت طائرة أخرى وذهبت لدولة مختلفة..

ولكن يبدو أن الغربة تلاحقني بأبوابها التي تغلق أحياناً في وجهي حتى وأنا ذاهبة إلى أهلي وأقاربي، ففي رحلتي إلى أبناء خالي "ليلى وعبدالرحيم وعادل الصباحي"، الذين يقيمون في لندن منذ سنوات طويلة، تعرضت لأغرب حادث في حياتي، فبعد تلبيتي لدعوتهم بأن أقضي معهم بعض الوقت السعيد في لندن، وبعد أن أعطوني رقم هاتفهم الذي اكتشفت، وأنا في مطار لندن، أنني نقلته خطأً عندما أكد لي هذا صاحب الرقم الذي اتصلت به، وتوجهت إلى أحد أشهر الفنادق الموجودة هناك "ماي فير"، وقد كان أبناء خالي أشاروا عليّ أن أنزل به في حالة عدم القدرة على التواصل عبر الهاتف، ولكني مللت من انتظارهم داخل الفندق، حيث كنت في كل صباح تعودت أن أسمع من العاملين بالفندق نفياً لسؤالي عن زائرين يسألون عني، والمحرج والمخيف في الأمر أنني لم يكن معي من المال ما يكفي إقامتي لأكثر من بضعة أيام، ولأن معي عناوينهم فقد



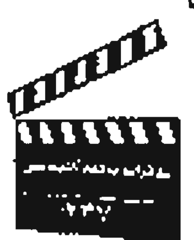
أخذت تاكسي وذهبت إليهم ولكني لم أجدهم، وركبت التاكسي وأنا في حالة من التفكير فيما يجري لي، وكنت أعطيت السائق مائة جنيه إسترليني "كانت هي كل ما تبقى معي من مال"، وبعد أن تجول بي السائق داخل أماكن كثيرة ومختلفة في شوارع لندن وجدته يقف فجأة ويطالبني بالنزول بعدما علم أن مالي فرغ بعد أن طالبني بدفعة جديدة من المال، لأن ما أعطيته من مال أعطاني مقابله خدمة كاملة؛ ورفض عرضي بأن يحصل على خاتمي الذهبي فرجوته أن يعود بي للفندق ووافق وعدت للفندق وأنا في حالة يأس ووجدت نفسي أبكي، واتصلت بشقيقي مصطفى "الذي كان متابعاً لكل ما يجري لي أثناء محادثتنا اليومية، وهو في ثورة غضب وقلق عليّ"، وقلت له إنني لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا؛ وطلبت منه أن يرسل لي مالاً كافياً لأدفع حساب الفندق وتذكرة الطائرة، وذهبت لأعرف تكلفة حسابي وتسويته ولكن حدثت المعجزة وجدت أبناء خالي يدخلون للفندق وهرولوا إلى فور مشاهدتي ولكني فقدت الوعي غير مصدقة أني أراهم أمامي، وبعد أن استعدت وعي عرفت أنهم كانوا يأتون للفندق في كل صباح يسألون عني وكانوا في البداية يعتقدون أنني لم أصل بعد ولكنهم كانوا سيصيبهم الجنون الذي انتقل إليهم من شقيقي مصطفى الذي كان يؤكد لهم أنني داخل الفندق وظنوا جميعاً أنني خطفت؛ وكان مصطفى دائم اللوم لهم ومعاتباً قاسياً عليهم طوال هذه الفترة، ولكننا أخيراً التقينا وعرفنا جميعا أيضاً من أين كان ينبع سوء الفهم الذي جعل الأمر يتطور بهذا الشكل، وهو أن اسمي بالأوراق الرسمية "عفاف"، وهذا هو ما دونته إدارة الفندق لديها؛ بينما كان الجميع يسألون عني باسمي الفني "ماجدة"؛ ولم يخطر على ذهني أو أذهان الجميع ذلك السهو...

وبجانب تلك المواقف الكوميدي دراميتيك كانت هناك مواقف أكثر دراما تعرضت لها وتعلمت منها أنني يجب أن أنظر لما تحت قدمي قبل أن أخطو خطوة



واحدة في حياتي . فحين كنت مدعوه لأحد المؤتمرات بالخارج وجاءت لحظة تكريمي وصعودي على المسرح وتسليط كشافات الأضواء الدائرية عليّ في لحظة دخولي للقاعة المظلمة متأخرة على غير عادتي، وهنا وجدت أن كل أنظار الاستكشاف من الحاضرين والإعجاب تلاحقني وتتأملني، وكان أمامي للنزول من باب القاعة المواجه للمسرح مجموعة كبيرة من السلالم التي تزينها السجاجيد الحمراء ، ووجدت من الكبرياء ما يمنعني أن أنظر تحت قدمي لخطواتي، وهنا فقدت توازني وتعرقلت وتدحرجت على تلك السلالم حتى استقر جسدي أمام المسرح فاقدة للوعي. وهنا كان تكريمي بالمستشفى الذي لازمته حتى شفيت..

وأيضا كنت في إحدى الحفلات لتكريمي ودعاني المنظمون للحفل للعشاء على مائدتهم ، وعندما وقفت لأتحرك إليهم ، وجدت أن حذائي تلف، فالكعب فُصل عنه ، وأيقنت أنني سأتعرض لموقف محرج جداً سيترتب عليه أنني سأكون حديث الصحف التي ينتشر مندوبوها بالحفل، ولن يعجزوا عن التقاط الصور لي وأنا على هذا الشكل، وكان من أرسلوه لنجدتي ليصطحبني يحثني على الوقوف والتحرك إليهم. فهم ينتظرونني ولا يريدون أن يتناولوا طعامهم بدون أن أشاركهم، وعندما وجدني تأخرت في تلبية طلبه فظن أنني مرهقة ، فأكدت له أنني فقط أعاني من إرهاق مفاجئ أصاب قدمي، وقلت له سيظهر في حركة سيري فأكد لي عدم وجود مانع ، وبمعجزة انتقلت لمائدتهم دون أن يشعروا أو يشعر أي شخص بما حدث، ولكنني وجدت سفير إحدى الدول، وكان يجلس بجواري يقول لي "مدام ماجدة ممكن أن تحصلي على قدمي الأخرى لأن كعب حذائك دمر قدمي". واكتشفت أن حذائي التالف موجود على قدم السفير منذ أن جلست على مائدتهم دون أن أشعر، فاعتذرت له وانتهى الحفل دون أن يشعر أحد.. وأيضاً بعد ذلك ونتيجة لموقف مشابه أقسمت أنني إذا دخلت لمشاهدة فيلم داخل السينما لن أمارس عادتي التي كنت أدمنتها بأن أقوم بخلع حذائي بعد ما حدث لي في إحدى المرات، فبعد انتهاء عرض الفيلم الذي كنت

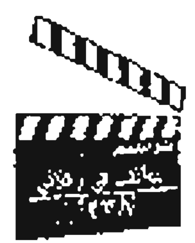


أشاهده مع صديقاتي لم أجد الحذاء، وبحثت عنه كثيراً وبعد أن أصابني اليأس والحيرة، فكيف أخرج من السينما حافية القدمين، وجدت الحذاء وكأن من سرقه حاول أن يفعل معي موقفاً على سبيل المزاح ولكنه كان مزاحاً سخيفاً ولكني تعلمت منه أيضاً..

■ ■ ■

بعد كل ما ذكرناه من حفلات تكريم لها بكل ما تحمله من مواقف درامية وكوميدية سألت الفنانة ماجدة عن أكثر التكريمات التي لن تنساها ولها معها موقف، فابتسمت قائلة..

في التسعينات وجهت إليّ دعوة لتكريمي داخل لوس أنجليس بالولايات المتحدة الأمريكية من بعض الجهات المهتمة بالفن السينمائي هناك، وبعد مجيء وفد مصاحب لتلك الدعوة إلى مكتبي قبلت الدعوة لما شعرت به خلال حديثهم من تقديرهم لتاريخي الفني، وقد شرحوا لي حينها أنه جرت العادة أن يقوموا بتكريم أعظم شخصيات العالم في مجالات مختلفة، ويختارون من كل دولة أفضلها، "من وجهة نظرهم طبعاً"، وذكروا أنهم قاموا قبل سنوات بتكريم الموسيقار محمد عبدالوهاب، والزميلة فاتن حمامة.. وبالفعل سافرت إلى أمريكا وبصحبتي ابنتي غادة، ولكن أصابتني الصدمة عندما أطلعت على برنامج حفل تكريمي، فوجدتني فقرة في نهاية الحفل تسبقها فقرات موسيقى ورقص وعرض أحد أفلامي وأشياء أخرى من هذا القبيل، وكان اعتراضي صريحاً ومباشراً بأنني هنا أمثل تاريخي وحاملة لاسم بلدي وسفيرة لوطني. ولن أقبل بتلك الإهانة، وأبلغتهم أن أوافق إلا بعد أن يتم إقامة حفل تكريمي داخل أكبر الفنادق، ويخصص برنامج الحفل بكامله لتكريمي، ويُدعى له كل جاليات الدول العربية وسفرائها والمصريين المقيمين بأمريكا والسفير المصري، وكان إصراري ورفضي لكل مبرراتهم التي ساقوها إليّ. وهددت بالعودة إلى وطني،

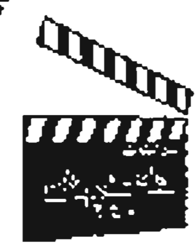


فرضخوا لما أردت وتم تجهيز الحفل كما رغبت، وتصادف أن القاعة المجاورة للقاعة التي يقام بها حفل تكريمي كان بها افتتاح مكتبة ريجان الرئيس السابق لأمريكا، الذي حضره جميع رؤساء أمريكا السابقين الذين مازالوا على قيد الحياة، والعديد من الشخصيات العامة والسياسية الأمريكية، وأيضاً كانت السيدة جيهان السادات، قرينة الرئيس الراحل، ضمن المدعوات وبصحبتها زوجة ملك الأردن الذين حضروا حفل تكريمي، ومعهم العديد من الشخصيات الأمريكية فور افتتاح المكتبة، وتحدثت السيدة جيهان عني وعن تاريخي الفني بمنتهى الرقي والاحترام وشكرتها على ذلك، وقدمني المسئول عن الحفل بشكل جيد وألقى كل سفير استطاع الحضور كلمة تقدير واعتزاز بي، خصوصاً السفير المصري آن ذاك الذي ألقى كلمة عظيمة، مازالت أحتفظ بتسجيلها حتى الآن، التي كان ضمن فقراتها قوله "إن ماجدة كانت دائماً وجهة مشرفة لمصر في الخارج، وكنت دائماً يملؤني الفخر وأنا أشاهد بعض أفلامها في سينمات الدول التي التحقت بالعمل الدبلوماسي بها، فهي تعد هرماً وكبيراً وشامخاً، وإن كان هناك دليل على صدق الرسالة الفنية فهي الدليل الحقيقي على نقاء الفن ورسالته السامية التي يحملها للبشرية"، وبعد أن وجهت الشكر للجميع من خلال كلمتي إليهم صعدت ابنتي غادة خشبة المسرح وأهدتني باقة من الورد وقبلت يدي، فوقف الجميع معجباً بهذا الوفاء من الابنة لأمها، وضجت القاعة بالتصفيق الحاد، وذكرت منظمة الحفل موقفاً كنت للمرة الأولى أسمعه، فقالت "لقد كنت في أحد المؤتمرات بألمانيا التي كان يحضرها الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وسمعته يجيب عن سؤال أحد الصحفيين الذي سأله عن أحب الممثلات المصريات إليه، بأن أكثر ممثلات بلدي اعتزازاً إليّ هي ماجدة الصباحي، وهي ممثلتي المفضلة، ولكني لا أستطيع أن أصرح بذلك لأني رئيس الدولة، وكبير العائلة، وحتى لا يعتبر ذلك نوعاً من التحيز". وانتهى الحفل وحصلت على درع التكريم. وشعرت أن هذا هو التكريم اللائق بتاريخي وبلدي.



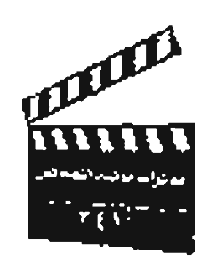
خصوصاً بعد أن أخبرني المنظمون للحفل أن الموسيقار محمد عبدالوهاب صنع مثلما فعلت في حفل التكريم الذي أقاموه له.. فلقد كان مثلي يعرف مدى قيمته الفنية ويحافظ على اسم وطنه الذي هو في النهاية سفير له يمثله في أي مكان يذهب إليه، فلقد كان محمد عبدالوهاب فناناً بكل ما تحمله الكلمة من معنى يتناسب ما قدمه من فن لكل العصور، وكان دائم القول "كسوف ماجدة وخجلها أمام الكاميرا طبيعي ونابع من داخلها، ولو لم تكن كذلك لما خرجت المشاهد بتلك الصورة اليقينية التي تصنني وأحسها، فجمال ماجدة في خجلها". ولقد قبلت دعوته على الغداء مرتين، وكان له طريقة غريبة في تناول اللحوم، فيأمر الطباخ بأن يقوم بغليها مرات كثيرة جداً ثم يحصل على شربتها في النهاية، لقد ظلمه الجميع عندما ظنوا أن حفاظه الشديد على صحته كان يعد مرضاً نفسياً أصابه "الوسوسة"، ولكن الرجل كان يحافظ على جسده وحنجرته حتى لا يتلف ويظل طالحاً لإمتاع جمهوره أطول فترة زمنية ممكنة...

لم يكن تقدير قيمتي الفنية مرتبطاً بحفلات تكريم تقام لي في الداخل أو الخارج، وإنما كرمني جمهوري بالكثير من الجوائز في تكريمهم الخاص لي الذي لم يعلنوا عنه على صفحات الجرائد أو شاشات التلفاز، فكان إعجابهم بفني وإثرائي بحبهم الذي رفعني إلى أعلى درجات المجد سبباً كافياً بأن يكون هذا الجمهور المصري بشكل خاص والعربي والعالمي بشكل عام، سبباً في كل ما وصلت إليه من مكانة تربعت عليها ومازلت أتصدرها دون منازع حتى الآن، فكان لي دائما مدرستي الخاصة في فن التمثيل الذي ربما أكون تخصصت دون أن أرتب لذلك أن يكون سينمائياً فقط، ولم أعمل طوال حياتي في المسرح أو الدراما التلفزيونية، وكل التقدير لمن يعملون فيها، ولكني كنت دائماً وأبداً أعشق السينما وأعمل على تنمية صناعتها والسمو بنهضتها، وأيضاً ربما يكون صوتي الخافت ورقتي الربانية الطبيعية التي لم أصطنعها في يوم من الأيام - على عكس ما كان يوجه لي البعض نقده - السبب الأول والأخير في أنني لم ألب زحف الأعمال المسرحية



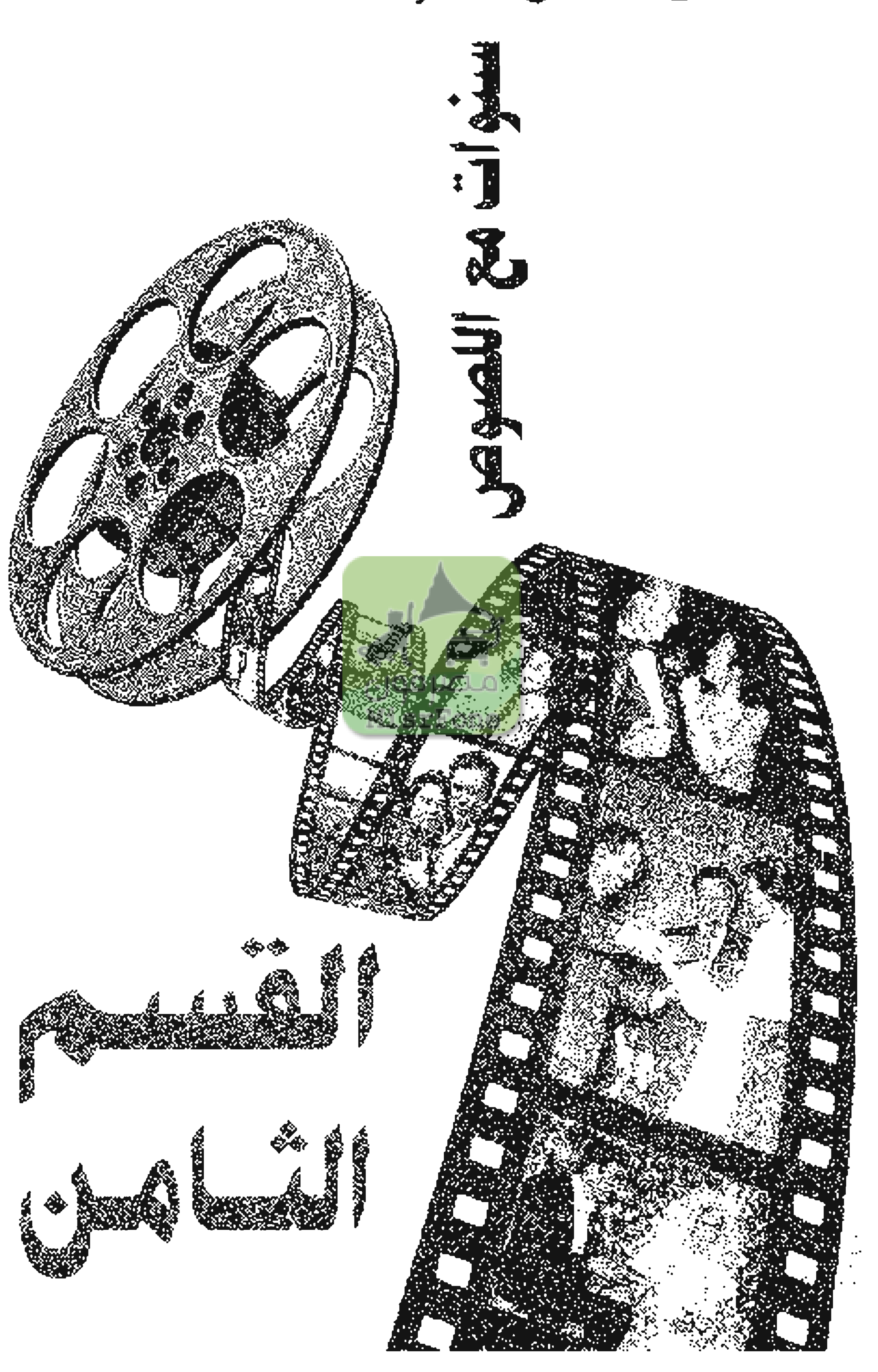
التي كانت دائماً تعرض عليّ ولم أسعَ لها في يوم من الأيام، لأني أعرف قدرات نفسي، فمن المعتاد على الممثل المسرحي أن يكون جهور الصوت عالياً، وأنا كنت عكس ذلك تماماً؛ أما بالنسبة للأعمال الدرامية "المسلسلات" فربما لم أعمل بها لأنها كانت غير متاحة في زماننا؛ كما هي منتشرة على كل الفضائيات الآن ولم تكن تتمتع بجمهور عريض، بينما كانت السينما هي العامل الأساسي الذي يزحف إليه الجمهور الذي يستطيع الفنان من خلال إقبال الجمهور على دور العرض من عدمه أن يتلقى رسالة لن يتلقاها من عرض عمله الدرامي وهي مدى نسبة نجاح عمله من عدمه..

ولقد كرمني أحد فناني ومبدعي مصر "كامل محمد عثمان جاويش": النحات المصري المبدع، بتحفة فنية لا زلت أحتفظ بها حتى الآن وأعتبرها من أكثر الجوائز الثمينة التي حصلت عليها طوال حياتي، التي لا تقدر عندي بثمن؛ فقد كانت عبارة عن "تمثال نصفي لوجهي" من معدن البرونز انتهى منه جاويش بعد أن أجرى جلسات عدة يتناقش معي فيها ليستطيع، كما كان يقول، "أن يستلهم روحي لتضفي ببريقها على التمثال، فلا يصبح مجرد جماد، فهكذا علمني أستاذي الفنان رمسيس يونان"، فهذا كان أحد أساليب دعم الله الدائم لي بأن يبث في قلوب جمهوري الحب والطمأنينة والثقة، التي كانت دائماً تدفعني أن أقدم له ما يفيده ولا يخدش حياءهم...



الفصل الثامن عشر

سنوات مع الصور



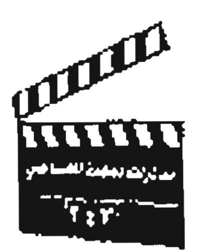
القسم الثامن

- لم أكن أبحث عن تكوين ثروة أو جمع أموال، ولكن كان هدفي أن أصبح راعية للسينما في مصر، وأصدرها إلى جميع أنحاء العالم...
- بعد مقابلتي لحسب الله الكفراوي، أصبحت أمتلك أثني عشر ألف متر في أكتوبر، وكنت أتمنى بناء سينما في صحراء، ولكني شاركت نصابين من الأردن...
- جميع بنايات مجمع ماجدة في أكتوبر حق انتفاع، ونجيب ساويرس حقق حلمي ببنائه السينما...
- ٢٠ مليون جنيه حصيلة أكبر عملية سرقة تعرضت لها على مدار ثلاثة وعشرين عاماً من مدير مكتبي وأنا لا أدري...
- مشادة بيني وبين وزير الإعلام السابق، أنس الفقي، بسبب تعبيري عن رأيي في قضية عبدالرحمن حافظ، ترتب عليها اضطهاده لي طوال فترة توليه منصبه الوزاري...



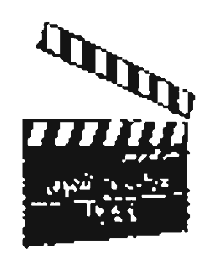
- لم يكن المال هدفاً ولكنه وسيلة ضرورية لتحقيق ما كنت أحلم به..
- دائماً كنت أبحث أين يكمن الفن، وكيف أستطيع خدمة جمهوري
- لم أتعمد يوماً أن أحقق أرباحاً مادية ولكنه كان دائماً عطاء من الله
- وهذا العطاء تسبب في أنني واصلت رسالتي حتى النهاية..

(ماجدة الصباحي)

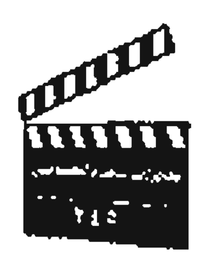


كانت دائماً لدي صورة ثابتة لا تتغير عن الجيل السابق من الفنانين والفنانات، هي تلك الصورة السلبية التي دعمها في خيالي وخيال الكثيرين مثلي نهايات معظمهم المأسوية التي كانت تنتهي دائماً بمشهد واحد أخير لا يتغير، وهم يطالبون الدولة التي خذلتهم ولم تقدر عطاءهم بتحمل نفقات علاج أمراضهم؛ وكانت دائماً الدولة تمُن على من تشاء منهم وتمنع عمن تشاء، "مثلما منعوا معونة العلاج عن سعاد حسني في لندن"، في أسلوب غير لائق لا ينم على أن تلك الدولة تقدر تاريخ هؤلاء الفنانين، وتصورت أن هذه هي الصورة التي سأجد عليها الفنانة الكبيرة ماجدة، ولكن كانت دهشتي وإعجابي الشديد الذي ازداد بها عندما وجدتها مازالت صامدة وشامخة، وأنها مازالت تحتفظ لديها بما يمكن أن تتمسك في أن تعيش من أجله، فهي تمتلك شركة للإنتاج السينمائي، ولديها من الأصول الثابتة والعقارات ما يكفي احتياجاتها الحياتية وهنا تقول ماجدة...

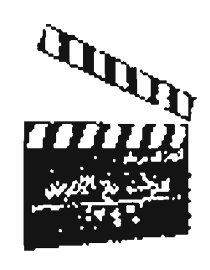
لم أكن في يوم من الأيام أبحث عن تكوين ثروة أو جمع أموال، ولكن كان هدفي الوحيد هو أن أصبح راعية للسينما في مصر وأقوم على تصديرها إلى جميع أنحاء العالم الذي فقدنا، مع الأسف الشديد، المساحة التي كنا حققناها للفيلم العربي



في هذه الأسواق والدول العربية والأوروبية.. ولكن في حقبة من الزمن وجدت أن الدولة تقوم بعملية إنشاء وتعمير مدن جديدة وتسهل الأمور لمن يرغبون في إقامة المشاريع والحصول على أراضٍ تتناسب مع ذلك، وكانت تلك المدينة الجديدة هي "مدينة السادس من أكتوبر"، التي كانت في تلك الفترة عبارة عن مساحات شاسعة من الأراضي الصحراوية التي لا نبت فيها ولا ماء، وهنا كان أول ما بدر على ذهني هو أن أتقدم وأحصل على مساحة أرض أقيم عليها "سينما"، وعلى رغم مشروعية هذا الحلم إلا أنه كان يتناقض مع طبيعة المكان الصحراوي، ولكن هذا ما أردت في حينها، وكان هذا حلمي الذي أرغب في أن يتحقق، وبالفعل دفعني طموحي إلى التوجه لمقابلة المهندس حسب الله الكفراوي، وزير الإسكان آن ذاك، الذي رحب بطلبي لشراء فدان واحد من الأرض، ورحب أكثر بمشروعي، وأكد أن "السينما" ستكون أول مشروع يعمل على خدمة المصلحة العامة في تلك المدينة الجديدة التي بالفعل تحتاج إليها، وأكد أنه أول طلب يتلقاه لشراء أرض لإقامة مشروع يخدم المصلحة العامة، وأعطاني بعض الوقت لأستطيع تجهيز مبلغ من المال يكون دفعة تعاقد من أصل المبلغ الذي سيسدد على أقساط بعد ذلك، وعندما خرجت من مكتبه سعيدة بما أراده الله ووفقني فيه، وجدت مجموعة من الأردنيين يهنئونني، وهم "الذين كانوا قابلوا المهندس حسب الله الكفراوي قبني ورفض طلبهم، وكانوا تحدثوا معي قبل أن أدخل إليه بشأن أن أشتري مساحة أكبر من الأرض مقابل أن يشاركونني فيها بالمشروعات الإنشائية، ولكني رفضت" ووجدتهم يطلبون زيارتي بمكتبي وقبلت ذلك وجاءوا إليّ وتحدثوا معي حول أنهم لكونهم أردنيين لا يستطيعون الحصول على الأرض بسهولة، واقترحوا عليّ من جديد عرضهم الذي سبق أن رفضته، وقد كنت فكرت به كثيراً واستشرت رأي الكثيرين من أصدقائي ومستشاريني

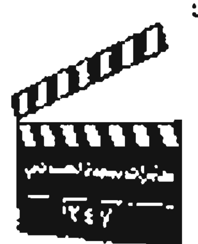


المقربين الذين كانوا بين رأيين، الموافقة والمعارضة، ولكني في النهاية وافقت على مشاركتهم بعد أن أكدوا لي أن أول إنشاء سيتم على الأرض ستكون "السينما". حلم حياتي والهدف الرئيسي لشرائي الأرض، وبالفعل ذهبت في المرة التالية لمكتب وزير الإسكان بعد أن كنت تحدثت إليهم هاتفياً عن رغبتي في زيادة المساحة لثلاثة أفدنة، بما يعادل تقريباً إثني عشر ألف متر. وكانت موافقتهم دون أن يبدوا أي اعتراض، ووقعت العقد مع الوزارة.. وما أن خرجت من مبنى الوزارة ومعي خريطة الأرض وتغمرني السعادة إلا أن دعوت بعض صديقاتي وذهبت لمكان أرضي، ولم أكن أعلم بالتحديد بداية ونهاية حدودها، فهي قطعة أرض صحراوية وسط صحراء لا يوجد بها إلا مرتفعات ومنخفضات، ولكني فجأة وجدت رجلاً بسيط الحال لا أعرفه من قبل. يقول لي "مدام ماجدة ما تقفي عليه بقدميك هي أرضك وستكون أفضل قطعة في هذه المدينة إن شاء الله"، ورحل واستعجبت لشأن ونبوءة هذا الرجل حين ذاك "التي بالفعل تحققت مقولته بعد ذلك"، وعدت بعدها لأقابل المجموعة الأردنية في مكتب المحاسب القانوني لشركتي لنوقع عقود الشراكة، ولكن بعد توقيع العقود وصلتني أخبار سيئة حول معاملات هؤلاء الأشخاص. وعبرت لهم عن رغبتي في حل الشراكة التي بيننا ووافقوا ولكن بعد أن أدفع لهم حوالي مائة وخمسين ألف جنيه، وهنا وجدت أنني كنت ضحية لمجموعة من النصابين، وبعد جلسات طويلة بيننا حصلوا على حوالي ثمانين ألف جنيه، اضطررت إلى استدانتها من أحد البنوك، وفضت الشراكة التي كانت بيننا، ولكني وجدت نفسي متورطة في مساحة أرض كبيرة وأقساطها تفرق دخلي، ولم أستطع بناء السينما التي كنت أحلم بها، ولأن الله دائماً يدعمني بعطائه فوجئت وأن وسط كل هذه المشكلات بأحد العاملين مع رجل الأعمال المهندس نجيب ساويرس يزورني بمكتبي



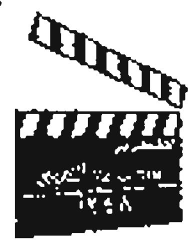
ويعرض عليّ رغبة نجيب ساويرس في شراء قطعة أرض، ولكنني اعتذرت له لأنني أرغب في بناء "سينما"، فوافقوا على أن تكون قطعة الأرض من أجل بناء سينما، وكانت سعادتي بالغة بذلك الحلم الذي طالما انتظرته طويلاً أن يتحقق، وبالفعل تم ترتيب مقابلة لي مع نجيب ساويرس في مكتبه، ووجدت في مقابلتي أنه رجل متزن ولبق في حديثه، ورقيق في التعبير عن مشاعره، ووقعنا العقد الذي نصت بنوده أن يحصل على مساحة ألف متر مقابل ثلاثوين ألف جنيه سنويا ولمدة عشرين عاماً حق انتفاع تؤل بعدها الأرض وما عليها لملكيتي، وبالفعل حقق نجيب ساويرس حلم حياتي، وأقام ثلاثة دور عرض كانت وستظلت ملجأً لمحبي فن السينما بهذه المدينة، التي تحولت إلى محافظة بعد ذلك، وبنيت باقي مراحل "مجمع ماجدة" بالطريقة نفسها في التنفيذ، فتعاقدت مع الجميع على البناء بحق الانتفاع مقابل تحصيلي أجوراً رمزية بسيطة، ولكن الأمر اختلف مع بنك القاهرة، عندما أقام فرعاً له داخل المجمع، فقد تعاقدت معه على أن يتملك الأرض مقابل إعطائي ديوناً كانت له لديه، وتمليكي دور كامل داخل المبنى اتخذت منه مكتباً لي لإدارة المجمع، لقد كانت هذه قصة مجمعي الذي لم أخطط لشرائه أو بنائه، ولكنها كانت هبات وأقدار من الله...

وكان من القدر الجميل الذي لا رد لقضائه أن حمل الميدان فيما بعد اسمي "ميدان ماجدة"، وذلك عندما برزت أهمية ومكانة المجمع ففوجئت بهم يطلقون اسمي عليه ويطالبوني بأن أقدم تمثالاً نموذجاً ليتم وضعه في الميدان، فوضعت تمثال "النسر" ورفضت أن أضع تمثالي "الذي أقامه لي، ودون أن أطالبهم بذلك، الدكتور مصطفى كمال، عميد كلية الفنون التطبيقية، وأيضاً الدكتور أسامة الشيخ، عميد كلية الفنون الجميلة بأسوان، بعد أن جاءوا لي في عام ٢٠٠٠ وأكدوا لي أنهم يجتهدون على إنشاء تمثال لي وشكرتهم حينها على

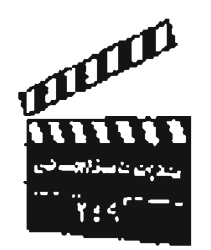


شعورهم النبيل، وكنت أظن أنه تمثال بسيط صغير الحجم، ولكن عندما أهدوه إليّ كنت سعيدة للغاية به فوجدته تمثالاً ضخماً وخرج في صورة لها معنى، وكانت هي (أني أقف على الكرة الأرضية وأمسك بيدي شعلةً وباليد الأخرى كتاباً)، وقالوا هذه ماجدة كما نراها، وافتتحه محافظ أكتوبر آن ذاك"، لقد رفضت وضع تمثالي في منتصف الميدان لأني توقعت أن يخرج الواشون ليحاولوا الوقيعة بيني وبين الدولة، واكتفيت شرور الجميع ووضعته فيما أمتلكه بزاوية من أرضي ليكون علامة بارزة أمام المجمع، ولكني منذ فترة لم تكن ببعيدة وجدت المدير المسئول الذي عينته على المجمع "أحمد شوقي" يبلغني بأنه أنقذ التمثال من حالة اغتيال كانت متعمدة من خصومي في قضية النصب الأخيرة التي اكتشفت أنني أتعرض لها على مدار ثلاثة وعشروين عاماً، وأبلغت عن مرتكبيها، فما كان منهم إلا أنهم أرسلوا من يحاول الانتقام مني، ويتعمد اغتيال وتحطيم تمثالي باسم "الجماعة السلفية" مفترياً عليهم، ولكنه بعد أن ألقت الشرطة القبض عليه اعترف ومن معه أن خصومي هم الذين وراءه ودفعوه ليرتكب هذا الجرم..

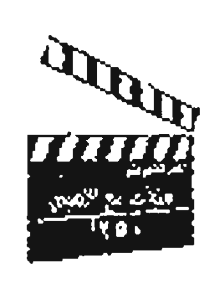
لقد نسي أو تناسى هؤلاء الخصوم أنني من دعمتهم ووقفت بجوارهم، فترجع قصتهم معي لأكثر من ثلاثة وعشرين عاماً، عندما وجدت أن شقيقي توفيق أصبح ليس متفرغاً لتولي إدارة وحسابات شركتي، لكونه يرغب في الرحيل لتجارته بالخارج ولعمله بوزارة المالية الكويتية. وأعلنا عن رغبتنا للمتقدمين لشغل وظائف. وتقدم لنا مجموعة كبيرة اختار شقيقي من بينهم شاباً بسيط الحال يسكن في إمبابة لأب يبيع الأقمشة، ولديهم منزل متواضع واسمه "محمد مسعد" ليعمل معنا، وفي البداية عمل في قضاء بعض المشاوير الخاصة بالمكتب بجوار تدريب شقيقي له على أعمال الحسابات والتوزيع، وكان يتعلم سريعاً،



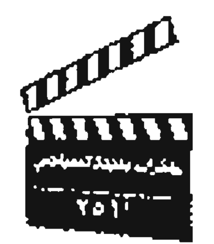
فقد كان يتمتع بقدر معقول من الذكاء، وسافر توفيق بعد ذلك وهو مطمئن لأمانة الشاب وقدرته على إدارة المكتب، وجاء الوقت الذي اضطر فيه "محمد مسعد" لأن ينقطع عن العمل بسبب استدعائه لقضاء الخدمة العسكرية، ولكنه قبل أن ينقطع طلب مني أن أعين شقيقه "محمود" ليحفظ مكانه حتى تنتهي فترة خدمته العسكرية ووافقت، وقام بتدريب أخيه الذي كان يعمل بالأساس "خطاط .. للكتابة على واجهات المحلات وغيرها"، وعندما أوشكت فترة خدمته تنتهي وجدت سكرتيرتي الخاصة تتحدث إليّ بأن محمود لا يرغب في ترك العمل بعد رجوع شقيقه، وأنه يرجوني أن يظل بالمكتب، ورحبت بطلبه وعاد شقيقه، وتركت سكرتيرتي العمل بعد ذلك، وأصبح يحمل عمل المكتب بكامله الأخوان "محمد ومحمود"، ومنذ تلك اللحظة بدأ اتحادهما من أجل سرقتي ونهب أموالي، وأنا لم أكن أعلم أي شيء عما يحدث، وكان يقوم محمد مسعد بتحصيل الإيرادات ويضعها في حسابه الخاص الذي أنشأه بجوار حسابي بالبنك، وكان دائماً يطلعني على فواتير البنك وقيمة الإيداعات والمسحوبات فأكتفي بأن أشاهد شعار البنك ولا أدقق لاسم من ينتمي هذا الحساب، وأيضاً كان يقوم ومعه أخوه الخطاط بتزوير إمضائي على تسكين عقود الشقق التي يرحل سكانها القدامى ويخالفون القانون بحصولهما على مبالغ طائلة من أجل تسكين هذه الشقق للسكان الجدد دون أن أعلم أي شيء عن ذلك، حتى أنني في تلك الفترة وجدت أنني دائماً متعسرة مادياً، وكان "محمد مسعد" الوحيد الذي يعرض أن يلبي لي كل الاحتياجات المادية التي أطلبها، وكان جميع من حولي يحاولون دائما تنبيهي للثروة التي أصبح يمتلكها والسيارات التي اشتراها لنفسه ولزوجته ولجميع أبنائه، ولكني كنت أنهيهم عن ذلك بقول "إن بعض الظن إثم"، حتى جاء الوقت الذي أرادت ابنتي غادة أن تتدرب



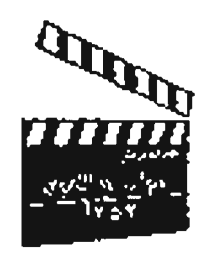
على تولي إدارة أملاكي، وتتعرف على دخلي وإيراداتي، ولكنه تجاهل هذا التدخل في البداية ولم يمُكن غادة مما أرادت، وهنا بدأت أن أشك في الأمر وهو أيضاً بدأ يأخذ حذره، وفي صباح أحد الأيام وجدت حارس العمارة، التي يوجد بها مكتبي، يخبرني بأن مكتبي سُرق الليلة الماضية، وصعدت مسرعة للمكتب ومعي غادة، ووجدت محمد سعد يصرخ ويخبرني بالخبر وهو يضرب انسعاة ويتهمهم بالسرقة، ولكني وبعد أن بحثت وجدت أن المسروقات عبارة عن مستندات فقط، وهنا دار بينه وبين غادة نقاش حاد لرغبتها في الحصول على ما تبقى من مستندات تتعلق بالحسابات، ولكني هدأته وأفهمته أني سأرد المستندات إليه في اليوم التالي، وأطلعت غادة متخصصين على ما حصلت عليه من مستندات فأكدوا لها أن بها تلاعباً وسرقات واضحة، فذهبت غادة على الفور لإلغاء توكيل عام رسمي كانت حررته لهذا الشخص لتيسير بعض الأعمال الإدارية التي يتطلبها العمل، ووجدتها عائدة من الشهر العقاري وهي في حالة عصيبة لما اكتشفت أن بعض أملاكي، ومنها خمس شقق في عمارتي التي أسكنها الآن بالدقي نهبها هذا الشخص ونقلها بأسماء أشقائه بالتوكيل العام الرسمي، الذي كنت قد حررته له أنا أيضاً، وعلى الفور توجهت لإلغاء التوكيل، ونشرت إعلاناً "بجريدة الأهرام" أنبه فيه جميع المتعاملين مع شركتي بأن "محمد ومحمود سعد" انتهت علاقتهما بشركتي ويحذر التعامل معهما باسمي، ورفعت ضدهم دعوى قضائية ثبت خلال التحقيق الأولي فيها أن ما سُرق على مدار ثلاثة وعشرين عاماً يفوق العشرين مليون جنيه، وسعيا هما بعد ذلك من أجل عقد الصلح معي مقابل رد مبلغ ثلاثة ملايين جنيه، ولكني رفضت أي صلح إلا بعد أن أحصل على حقوقي كاملة حتى ولو ظللت طوال عمري أقاضيهما لأسترد حقوقي...



وبعد ذلك خرجت عن صمتي الذي طال في عملية الإنتاج الفني نتيجة تلك التعثرات المادية التي كانت تواجهني دائماً، التي اكتشفت أن سببها هو الاستيلاء على أموالي، التي اكتشفت أنني امتنعت عن الإنتاج منذ بدأت أُسرق، وأقدمت على خوض المغامرة بإقدام وشجاعة، كما كنت دائماً، ولكني في هذه المرة حاولت أن تكون المغامرة في سوق الإنتاج الدرامي، وذلك حدث نتيجة إعجابي الشديد بقصة "شخلول" للكاتب يوسف جوهر، التي قدمها لي في سيناريو وحوار رائع ومتألق عاطف بشاي، وبدأت أتدارس أمور الإنتاج الدرامي الذي لم أُقبل عليه من قبل في حياتي، ووجدت أن المسلسلات تدخل في تكاليف إنتاج ضخمة، خصوصاً التاريخية منها؛ لكونها تحتاج إلى ملابس وإكسسوارات خاصة تُصنع خصيصاً للمسلسل، وهنا اقترضت من بنك القاهرة مبلغاً من المال، ووافقت مدينة الإنتاج الإعلامي على تمويلي مقابل حصولها على نسبة كبيرة من الأرباح وحق توزيع المسلسل، "كان هذا أثناء فترة تولي عبدالرحمن حافظ لمبنى الإذاعة والتلفزيون"، ودفعت من جانبي مبلغ "مليوني جنيه" ودعمتني المدينة بمبلغ هزلي لم يسبق أن دفعته في مسلسل من قبل، وكان مليونين وسبعمائة وخمسين ألف جنيه، "هذا المبلغ الذي لا يكفي أجر ممثل الآن"، ولكني وافقت وبدأت في اختيار فريق العمل، وكانت ابنتي غادة نافع تقوم بدور البطولة النسائية، واخترت "أشرف عبدالباقي" ليقوم بدور بطل المسلسل الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث، وهذا ما أثار تساؤلات البعض، فلماذا لم أنتج عملاً تكون فيه البطولة المطلقة لابنتي غادة؟ فكنت أجيب أنني دائماً أقدم على إنتاج القصة التي أرى أنها تحمل مضموناً قوياً بغض النظر عن انتماء البطولة لابنتي أو لغيرها، واتفقت مع أشرف عبدالباقي على أجر مناسب، وكان أشرف عبد الباقي ملتزماً أثناء التصوير الذي كنا نسرع في



إنهائه، لكونه كان راحلاً إلى أمريكا في ذلك التوقيت، وحتى يلحق المسلسل بركاب العرض في شهر رمضان، الذي كان يلي التصوير، ولكن كانت المشكلة التي أواجهها دائماً هي تأخر دفعات مدينة الإنتاج الإعلامي في سداد أقساطها تجاهي، ولقي المسلسل قبولاً من الجمهور بعد عرضه وتأييداً من النقاد، ولكنه اختفى بعد ذلك، وتوقفت دفعات مدينة الإنتاج، التي من المفترض أنها ملتزمة بسدادها لي، وهنا اتصلت بمكتب وزير الإعلام الجديد آن ذاك "أنس الفقي" لأعرض عليه ما أعانيه بسبب إقدامي على الإنتاج الدرامي ولكنهم أبلغوني بأنهم سيحددون لي الموعد ثم يبلغوني، ووجدت تليفون منزلي يرن في أحد الأيام، ومحدثي يخبرني أنه الوزير، ولم أصدق ولكنه أصر على أنه أنس الفقي ويلبي رغبتي في زيارته بمكتبه، وذهبت إليه في الموعد المحدد واستقبلني بالترحاب من بداية باب المكتب حتى جلست، وتناقشنا وشرحت له المشكلة التي تعرض لها المسلسل من الضآلة المالية لمشاركة المدينة التي كانت لا تتناسب مع ضخامة المسلسل وسوء في التوزيع التي أتعرض لها في تأخر سداد الدفعات، وأكد أنه سيعمل على حل كل العقبات، ولكن عندما تطرق حديثنا إلى قضية عبدالرحمن حافظ، الذي كان قبض عليه بتهم الاختلاس والرشوة والفساد، وعبرّت عن رأيي بأنه يمكن أن يكون بريئاً، ولا يمكن أن يكون فعل ذلك لأنه أجبن من أن يختلس، فوجدت الرجل اللطيف، الذي استقبلني بلطف شديد منذ قليل، تبدل حاله ووقف كالأسد الذي يود الانقضاض على فريسته وضرب بيده على المكتب، كأنه حصان يضرب بحوافره في الأرض، ويقول بصوت الغضب "يا مدام ماجدة شهادتك هذه من الممكن أن تسانديه بها في النيابة والمحاكم، أو تصرحي بها للصحف، ولكن ليس أمامي أو في مكتبي"، فعجبت من أن وزير الإعلام، الذي من المفترض أنه راعي الحرية والتعبير عن الرأي، لا يقبل الرأي



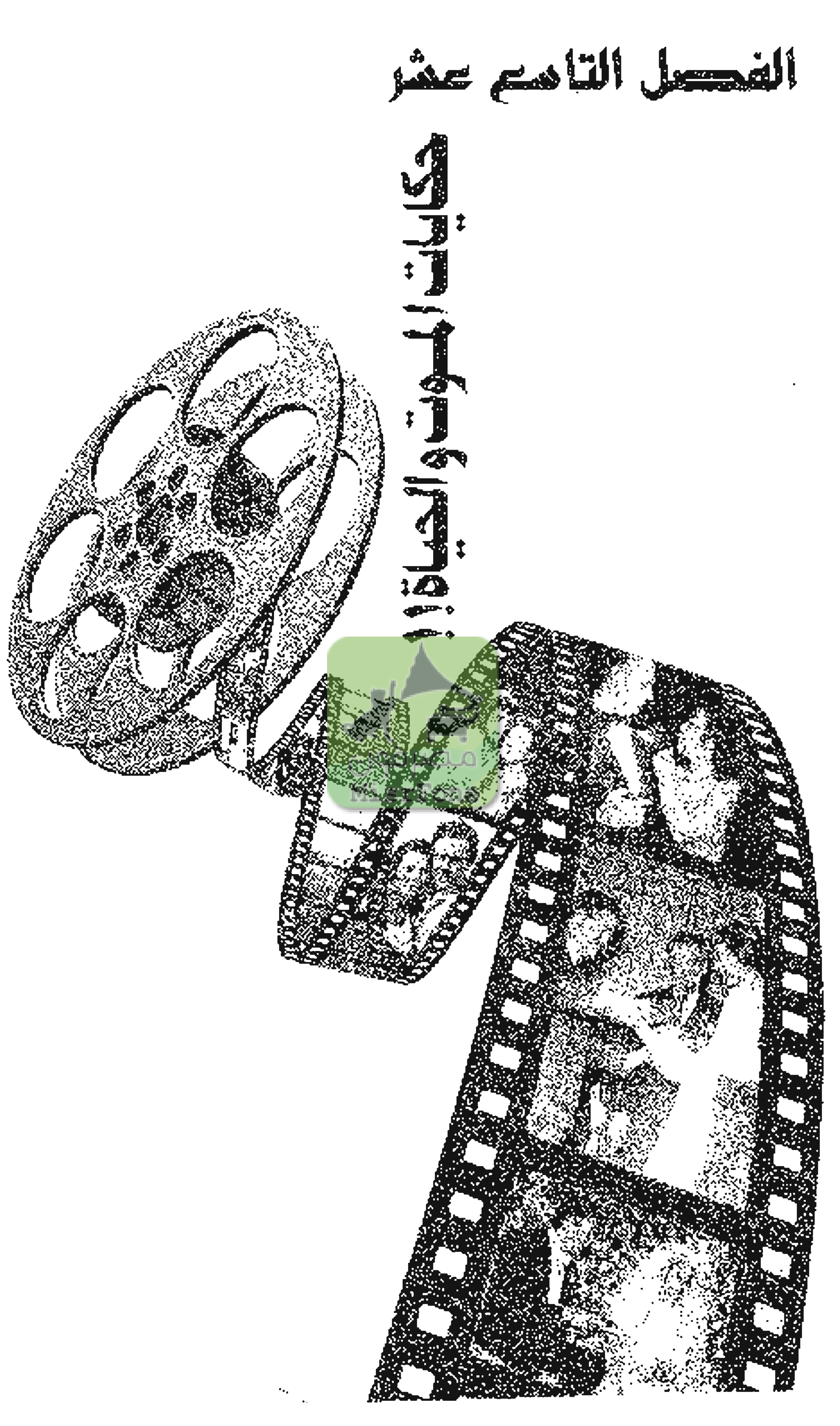
الآخر، ورفضت أن يحدثني بتلك اللهجة في ثورة عارمة، قائلة له "يبدو أنك لا تعلم جيداً إلى من تتحدث، فأنا ماجدة التي كانت وبقيت وستبقى أعمالها تعيش مع الأجيال: وأنت راحل بأمر رئيسك في ثوانٍ معدودة"، وتركت مكتبه دون أن ينصفني في قضيتي، ولم يعمل على حل مشكلتي التي لجأت له من أجلها؛ بل اضطهدني، وتعمد أنس الفقي عرقلة أي حلول لها، وأن تظل تلك المشكلة قائمة حتى سقط مع من سقطوا من المنتمين للنظام السابق بعد الثورة، لقد غضبت واستعجبت من هؤلاء الذين يتولون إدارة المناصب الحساسة في بلادنا وهم لا يستطيعون أن يديروا أنفسهم...





الفصل التاسع عشر

حكايات الموت والحياة!!



- "أحمد كلاي"، كان سائقي وله دور كبير في حياتي، وكان أحد أسباب الخلاف بيني وبين إيهاب نافع...

- صفعني شقيقي مصطفى بسبب إصراري على حضور حفلة دُعيت إليها، وحزنت بشدة على وفاة أمي وأبي...

- "هذا هو سيناريو ربنا".. جملة قالتها ابنتي غادة واصفة القرآن في طفولتها، وكانت تحمل في أعماقها منذ الطفولة الفن بالوراثة...

- صدمتني ابنتي غادة بحقيقتي قائلة "أنتِ دمرتي حياتك الأسرية من أجل إعمار حياتك الفنية ولن أصنع مثلك"...

- كان اللواء مصطفى الصباحي أحد الكوادر القدامى في نادي الزمالك، ولذا فأنا "زملكاوية" بالوراثة...

- إنني أشعر بالوحدة، على رغم كل ما لدي من أموال ومشغوليات. وأصلي إلى الله كثيراً وأبكي له وأدعوه ألا يتخلى عني ويسامح أمواتنا جميعاً...

- الأموات يملكون معظم ما في حوزتنا، والقادمون يملكون ما تبقى
- أما نحن فلا نملك أي شيء، لأننا نستلم من الأموات ما نسلمه للقادمين

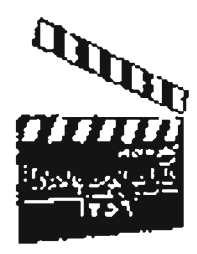
- فالحياة جسر من الملكية الزائفة يربط بين ملكيتين حقيقيتين إحداهما تملك عقولنا بالعادات والتقاليد والأعراف، والأخرى تملك إيرادتنا..

(حكمة تؤمن بها ماجدة الصباحي)

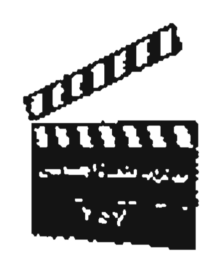


إن الموت يأخذ منا أجمل ما فينا، ويحصد دائماً من حولنا أرواح كل من يصاحبوننا في رحلة الحياة، فعلى رغم أن هذا الشبح الأسود هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا، إلا أننا نحاول دائماً الهرب منه، وهو دائماً يعمل على مطاردتنا، كما أن لحظاته الحاسمة والفاصلة لا يضاهيها صعوبة، فتلك هي الرحلة الأخيرة التي يحصل فيها الإنسان على صك كتب عليه "خروج بلا عودة"، الموت نراه دائماً يقطف الحياة من دون أي مقدرة منا على التدخل لإعاقته، وذلك لأن لكل أجل كتاب ولا راد لقضاء الله وقدره، فالله دائماً مع كل رحلة موت يبعث الحياة في مولود جديد "وهنا امتلأت عينا الفنانة الكبيرة ماجدة حزناً وهي تترحم على الأهل والأقارب والأصدقاء والأحباء الذين رحلوا"، وتقول...

رحم الله الجميع، فللموت أبطال كأبطال السينما، وكان لكل منهم في موقعه ودور يلعبه في حياة كل شخص فينا، فلا يمكن أن ننساهم أو يمُحى من ذاكرتنا بسهولة، إن أطيافهم وأرواحهم الطاهرة تظل تعيش معنا حتى ننتقل إليهم، فمازالت أتذكره "أحمد كلاي" سائقي المخلص، الذي كان ربما يبدو للبعض أن دوره صغير في حياتي، ولكن على العكس من ذلك، فكان دوره كبيراً بالنسبة لي، فبكل خير أتذكره دائماً وأقرأ له الفاتحة، فقد كان أكثر العاملين معي إخلاصاً، وكان يرعى مصالحي بشكل مبالغ فيه، فلقد كان يتمتع بخفة ظل فطرية ليس لها مثيل، وله معي نوادر مضحكة وحكايات مسلية كثيرة، ففي

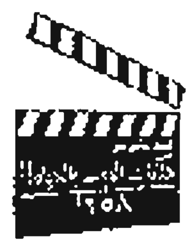


أثناء تصوير أحد أفلامي التي كنت أنتجها ذهب ليشتري طعاماً للممثلين، ولكنه أخطأ وقاد السيارة التي بداخلها ملابس أدوار الممثلين بالفيلم. وتعطل التصوير، وكاد يجن مخرج الفيلم حسين كمال، وأقسم أنه سيضربه عند عودته، ولكن "كلاي" فر هارباً بعد أن وجد حسين كمال يطارده داخل الاستوديو وخارجه ويُلحق به السباب، وفي فيلم آخر طلب المخرج من كلاي لأحد مشاهد الطعام كميات كبيرة من "البفتيك". فما كان منه إلا أنه اشترى كميات كبيرة من الباذنجان وأمر الطباخين بتقطيعه في شكل دائري كبير ويقومون بقليه في الزيت بالبيض والبقسمات ليأخذ بعد ذلك شكل "البفتيك". ودخلت الصواني وصاح الممثلون هاتفين "يعيش كلاي.. يعيش كلاي"، ودارت الكاميرا على المشهد وبدأ الممثلون في تناول الطعام، ولكن أحدهم صاح أثناء التصوير "إن هذا ليس بفتيك"، وغاص الجميع في موجات من الضحك. وتعطل المشهد والتصوير، ورددوا جميعاً هاتفين "يسقط كلاي" لقد كان أحمد كلاي يحاول أن يقلص المصروفات لي قدر استطاعته، ولكنه ودون قصد كان يتسبب لي في غرامات كثيرة.. وأذكر أنه ذات مرة قام بارتداء ملابس كومبارس "بدلة ضابط شرطة"، وجلس بها على مقهى، ودخل أحد العساكر الذي شك في أمره نتيجة أن ملامحه الشكلية بسيطة ولا توحي بالمنصب والقدر والقيمة التي توحي بها ما يرتدي من ملابس وقبض عليه، ووجهت له تهمة انتحال شخصية ضابط شرطة، ونشرت الصحف صوره واسمه، "وكان هذا ما يريده أن يتحقق"، ولكنني تدخلت وأخرجته متعللة بأنه يعاني من اضطراب نفسي.. لقد كان كلاي محل خلاف بيني وبين إيهاب نافع في نهاية علاقتنا، فعندما سمع نقاشاً عالي الصوت بيننا ظن أن إيهاب سيؤذيني فتدخل وحمل إيهاب وألقى به إلى خارج الشقة، وعندما طلب إيهاب مني رفده وطرده رفضت قائلة لا يمكن أن أستغني عن شخص يحبني ويخاف عليّ لهذه الدرجة، ولقد توفي أحمد كلاي بعد ذلك في حادث سيارة أثناء عودته من بلده "المحلة الكبرى"، حيث كان في زيارة والدته المريضة..



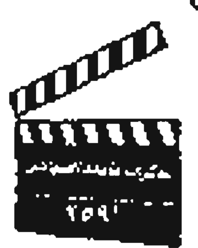
فالموت يفرق بيننا وبين أكثر من نحبهم ولكنه أمر مسلم به ولم أخشه في يوم من الأيام، لأنه لا يأخذ الإنسان إلى مكان بعيد أو قريب، فما أطيب أن يأتي ليحمل الإنسان إلى أشخاص عاش بينهم ورحلوا عنه منذ سنوات طويلة وأصبح يشتاق إلى رؤيتهم. لقد كان أقرب الشخصيات إليّ حبّاً ورعاية أفراد أسرتي الذين وقفوا بجانبي كثيراً، فحزنوا لحزني عندما فقدت حملي الأول بعد الزواج، وأسعدتهم سعادتي عندما نجح حملي الثاني الذي بث الله فيه الحياة، فكانت "غادة" ابنتي الوحيدة التي عانيت كثيراً بعد ذلك من المربيات اللائي صحبتهن ليعتنين بها في طفولتها. فقد كنت دائماً مشغولة عنها بالعمل، فكثر ما بين مربية تقوم من أجل إسكات بكائها بوضعها في دولاب الملابس، وبين أخرى كانت تصحبها معها على الكورنيش، وهي مازالت طفلة في سيارتها وتنشغل عنها بشخص تحبه، وأخريات يتركنها تبكي ويمرحن ويرقصن، وإيهاب زوجي أن ذلك لا يعنيه شيء فلا يتدخل في تربيتها.

وفي تلك الفترة كانت أمي تلك المرأة الرائعة التي تأثرت بها، وإنني كنت أجدها تتفهم الحياة بكل معانيها الاجتماعية والسياسية والفنية، تودع الحياة بلمسات فنية، فقد اتجهت إلى فن "النحت" وكأنها تودع الدنيا بلمسات أصابعها على تماثيلها الرائعة، كنت أنظر إليها وهي تصنعها وأجدها كأنها تولد من جديد. ولكن كان يبدو أن الموت يخرج كل ما بداخلها قبل أن يقنعها بالذهاب معه في رحلتها الأخيرة، فلقد ذهبت والدتي في رحلة للحج وتوفيت بعد عودتها بشهرين، واكتشفت بعد وفاتها أنها كانت تسهم في تيسير الحياة بمساعدة الكثير من الفقراء، لم تكن تتباهى بذلك لأن هذا العمل جزاؤه من الله على قدر سريته وكتمانه حتى عن أقرب الأقرباء، ولكن هذا الاكتشاف جعلني أعرف أين كانت تذهب أموالها التي كانت تتخلص منها دائماً، فلقد كانت والدتي تتمتع بالكبرياء الذي يمنعها بأن تجاهر بما يغضبها. وكان يحترمها الجميع

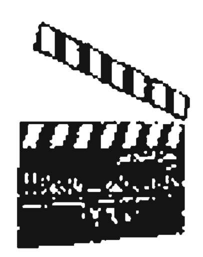


حتى طبيبها "تحسين الحديدي"، الذي باشر علاجها في الفترة الأخيرة، والذي أصابه الحزن عندما رحلت، لقد شاهدتها قبل الرحيل في الحالة النفسية والتصرفات نفسها التي كنت أجسدها داخل مشاهد فيلمي "المراهقات"؛ ولهذا كنت أكثر من شعر بها وأحرص على أن أقضي طوال الليل بجوارها ولا أتركها أبداً، وأبكي وأتألم عندما أجدها تهذي وتشير بيدها داخل الغرفة، وكأنها مليئة بالأشخاص، على رغم أنها تخلو من الأشخاص إلا أنا، وزارها والدي في أيامها الأخيرة وبكى من أجلها، من أجل أيام جمعت بينهما، من أجل دماء العائلة الواحدة الذي يجري في عروقهما، وتوفيت أمي في أول ليلة نقلت فيها للمستشفى، وتسبب هذا الرحيل المؤلم لأحب الناس لقلبي في أنني دخلت في حالة من الانهيار والرفض لكل من حولي لفترة كبيرة، فكانت هي الأقرب إلى قلبي وعقلي ونفسي، لقد رحلت ورحل كل الحب السامي معها، ولكن سرعان ما لحق بها أبي، وكأن الموت كان بدأ بعد ويحصد أرواح من حولي، وكانت تلك هي الصدمة الثانية بالنسبة لي، وخرجت جنازته عسكرية نسبة لمكانة أخي اللواء مصطفى الصياحي..

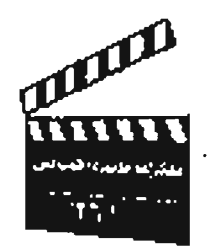
وفي تلك الفترة كان يعيش معي شقيقي مصطفى منذ أن انفصلت عن الزوج الأول والأخير في حياتي، "إيهاب نافع"، والد ابنتي الوحيدة، وذلك لحبه لي ولخوفه الشديد من أن أواجه تلك الدنيا المتوحشة وحدي، وقد ساعدني كثيراً بعد ذلك في تربية غادة والاعتناء بها، التي كان تكبر يوماً بعد يوم أمام عينيه. وكان يعتبرها ابنته التي لم ينجبها، "فالخال والد"، وكانت هي تحبه كثيراً ولكني بعد ذلك استطعت أن أجلب لها مربية ألمانية تدعى "نانا"، كانت كبيرة في السن وتزور مصر في رحلة سياحية، واستطعت أن أقنعها أن تعيش معنا، بالفعل رافقتنا أكثر من عشرين عاماً، عملت على الاعتناء بغادة، وكانت "نانا" كل شيء بالنسبة لها ولنا، فغمرتها وغمرتنا جميعاً بحنانها، فقد كانت بحنانها



تعوضنا جميعاً "أنا وشقيقي مصطفى" عن والدتنا التي تركتنا ورحلت، وكنت أتوقع أن تتعلم غادة منها اللغة الألمانية ولكن العكس هو ما حدث، فعلمتها غادة اللغة العربية، وأصبحت "نانا" بعد ذلك تتحدث اللغة العربية، وعندما وصلت غادة لسن الثالثة والعشرين طلبت "نانا" أن ترحل إلى بلدها، عارضنا جميعاً في البداية وطلبنا منها أن تبقى ونعمل على خدمتها. فهي خدمتنا كثيراً ولكنها أصرت على الرحيل ولكن داهمها المرض في ذاك الوقت ولم تبتعد عنا حتى رحلت، فدائماً أتذكرها ولم أنسها أبداً، فهي التي ساعدتني في تربية ابنتي حتى تخرجت غادة في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية: وهنا وجدت أن ما أجلته عن غادة لسنوات طويلة بسبب دراستها يجب أن تبدأ به، وهو دخولها الوسط الفني: فمازلت أتذكر عندما كانت تمسك بمصحف وهي طفلة، وعندما أثنيتها لتتركه فتقول "هل هذا يا ماما سيناريو ربنا"، وعندما اصطحبتها معي للاستوديو فأشارت إلى كمال الشيخ وقالت في براءة "ماما هل هذا هو الرجل الذي فقد ظله"، ففوجئت بجملتها فضحك كمال وغمرها بقبلاته، وعندما كنت أمثل مشهداً يحوي بكاءً فكانت تنهار وتبكي لبكائي: ويضطرون إلى إخراجها من الاستوديو ويحاولون إفهامها أن بكائي كان تمثيلاً وليس حقيقياً. فلقد ولدت غادة تحمل الموهبة، ورثتها عني وعن والدها، ولهذا كانت تحمل في أعماقها منذ الطفولة فنانة، وشجعها والدها أيضاً على استغلال تلك الموهبة: حتى أن شقيقي مصطفى، الذي رفض وعارض عملي الفني في البداية، كان من أشد المتحمسين لها كفنانة، وهنا لم أجد مانعاً في أن تدخل إلى الوسط الفني: ورشحتها لبطولة فيلمين مرة واحدة، فكان الفيلم الأول "عندما يتكلم الصمت": وكانت تدور أحداثه حول "تقوم الحماة الطبيبة النفسية بمعالجة أزمة زوج ابنتها الجراح الشاب الذي كان شديد الارتباط بأمه التي توفيت ليلة زفافه، ويبدأ بالتعلق بحماته بسبب عطفها الشديد عليه"، وشاركها في البطولة هشام سليم: والفيلم الثاني "نسيت أني امرأة": وكانت قصته هي "أن سعاد (ماجدة) أستاذة

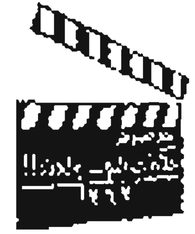


جامعية طموحة تنشغل بعملها عن حياتها الخاصة، فتهمل زوجها عبدالحميد (فؤاد المهندس) الذي يشغل منصبًا رفيعًا في أحد البنوك، وابنته غادة (غادة نافع) تشعر سعاد بتغير في طبيعة تعامل زوجها معها، تكتشف أنه متزوج من امرأة أخرى سميرة (زيزي مصطفى)، يبرر عبدالحميد لسعاد أن زوجته متفرغة له تمامًا وترعاه رعاية معنوية تجعله في منتهى السعادة، تطلب سعاد الطلاق، وتتزوج من طبيب كبير (حسن كامي)، وهو مشغول أيضًا بعمله، وعلى رغم ذلك ينزعج بشدة من انشغالها بالعمل، وتتوالى المشاكل بينهما وتنتهي بالطلاق، في الوقت نفسه ترفض سعاد سفر ابنتها للخارج مع خطيبها (أشرف سيف)، لأنها لم تكمل دراستها بعد، تعود سعاد إلى العيش مع ابنتها بعد طلاقها"، وكان الفيلم مأخوذاً عن قصة لإحسان عبدالقدوس، وكتب السيناريو والحوار له عاطف بشاي، وأخرجه عاطف سالم، وكانت غادة سعيدة جداً بتلك الحياة الجديدة بالنسبة لها، ولكني وجدت أن سعادتها ممزوجة بالخوف والرهبة، فكنت بجانبها أشجعها حتى تبدد ما يمكن أن ينتابها من خوف ورهبة في هذا الطريق الجديد، ولم يكن تشجيعي لها بدافع مجرد أن أحقق حلماً أو أمنية لابنتي، ولكن الإحساس الشديد بموقفها وإيماني بأن كل إنسان له مطلق الحرية في التعبير عن ذاته واختياراته وأحلامه وطموحاته ومحاولة تحقيقها على أن أكون مجرد أداة فقط تساعد في تحقيق هذه الأحلام والطموحات، وفي الوقت نفسه، وهذا الأهم، ولأنني لا أحب أن أفعل مع ابنتي ما فعلته أسرتي معي في بداية مشواري الفني، عندما قررت احتراف الفن، وأتذكر أن غادة كانت لها شخصيتها القوية منذ العمل الأول، التي ظهرت عندما اعترضت بشدة أن يقبلها ويحتضنها فؤاد المهندس كأب حنون على ابنته ضمن مشاهد الفيلم، وصممت على طلبها حتى رضخ لها الجميع، حتى أنا التي كنت أرفض موقفها عندما قلت لها إن فؤاد المهندس مثل والدك، فسألتني ولكنه يجوز لي، فقلت لها ولكنه محرم عليك طالما أمام الكاميرا، ولم يغضب فؤاد المهندس عندما علم



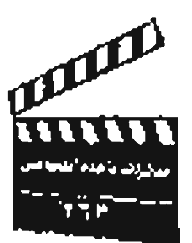
بهذا، وقال نسخة من والدتها، وبعد فترة من تقديمي غادة للفن وجدت أنها ترفض كل محاولاتي لإقناعها بأن أنتج لها أعمالاً فنية وتخشى من أن يصر الجمهور على عقد مقارنة بينها وبيني، فكانت تخشى من أن تظل تلك النظرة سائدة، وكانت تحاول بقدر المستطاع أن تمحو هذه الصورة تماماً، وبالفعل بعض المنتجين فهموا ذلك وتأكدوا من موهبة غادة وقدراتها وتعاونوا معها بعد ذلك، وعملت معهم في أعمال مختلفة وبعيدة مني، وهذا كان يسعدها لكونها أصبح لها طريق مختلف وجديد، وكانت دائماً تقول "أن أظل بجوار أمي هذا مفهوم خاطئ فلا أنكر أنها المثل الأعلى لي ولكن يجب ألا أحتذيها بشكل دائم"، وكان يسعدني استقلالها فاستطاعت بسرعة أن تثبت جدارتها بعيداً مني في عالم الفن...

ثم تعرفت غادة على شاب كان يزامل جيراننا في الإسكندرية وأعجبت به وأعجب بها وطلب مني يدها وكانت توافق عليه بشدة، ولكني عارضت رغبتها بشدة في البداية لكونه غير مصري، فقد كان عراقياً كردياً، وكانت أسباب رفضي أن أبناءها منه لن يكونوا مصريين ولكن أمام إلحاحها وتدخل والدها وموافقة شقيقي مصطفى ومباركته هذا الزواج رضخت لطلبها وتزوجت "أزاد بكر سامي" زوجها الحالي، الذي أنجبت منه في أمريكا بعد ذلك ابنها وحفيدي الوحيد "أحمد". الذي فور ولادته داخل المستشفى الأمريكية كنت أذهب دائماً لحجرة الأطفال للاطمئنان عليه خشية أن يبدل لكثرة الأطفال الذين كانوا موجودين بتلك الحجرة، فأحمد أزاد هو حفيدي الوحيد المشاكس في حبه لي، ولقد ورث عن جده وسامة الشكل وطول القامة، وورث عني أنا جدته العناد، ولكن كان نتيجة لانشغال غادة الشديد بأسرتها بعد إنجابها أنها أجلت عملها واعتذرت عن أعمال كثيرة وابتعدت فترة كبيرة عن العمل. وعندما كنت أحثها على أنها يجب أن تبدي اهتماماً أكبر بعملها فصدمتني بحقيقتي التي لا أخجل منها أبداً، فأنا من اخترتها حين قالت لي "أنتِ دمرتي حياتك الأسرية من



أجل إعمار حياتك الفنية، ولن أصنع مثلك"، فحياتي الأسرية لها مني الاهتمام الأول والأخير، وكانت وجهة النظر هذه هي محل الخلاف الذي قلما ينشأ بيننا...

وفي تلك الفترة لم يكن تبقى لي بعد رحيل أسرتي وزواج ابنتي غير شقيقي الغالي مصطفى. الذي كان يحبني أكثر من نفسه ولكن في صمت ودون أن يجاهر بهذه العاطفة العظيمة الكامنة بداخله، فقد كان هذا الحب هو السبب في عدم زواجه طوال عمره، وزواجي بعد انفصالي من أبو غادة "إيهاب نافع"، فمازلت أتذكره عندما افترقت عن إيهاب وجاء هو إليّ وخيرني بين أن أعيش معهم في بيت العائلة، أو أن يأتي هو ليعيش معي لخشيته عليّ، ولأنه ليس في أعراف وتقاليد العائلة أن تعيش مطلقة وحدها، ومنذ تلك اللحظة عاش معي ونسي نفسه وانشغل بحياتي وبتربية ابنتي "غادة"، ولقد كان مصطفى من أبناء نادي الزمالك، ولعب باسمه في أشبال عام ١٩٤٩، وعمل فترة كبيرة وكيلاً للنادي، "فلهذا كنت أنا دائماً زملكاوية بالوراثة". وكانت حياته دائماً مقسمة بين وجوده بجانبي ورعايته الدائمة لي ولابنتي وعمله بقطاع السجون ونادي الزمالك الذي بالنسبة له البديل عن الزواج الذي لم يعرفه، والأبناء الذي لم يرزق بهم، فضحى كثيراً من أجل هذا النادي الشامخ العظيم.. لقد كان شقيقي مصطفى يعيش لعمله ومتفانٍ في الإخلاص له، وكان يعشق والدتنا، وأتذكر عندما كانت تُلح عليه في طلبها منه بأن يتزوج لتربى أبناءه، ولكنه كان يرفض دائماً وبشدة ولكن لخشيته أن تغضب منه، فوافق ذات مرة على أن يفكر لفترة في إحدى عرائسها إليه، وخلال هذه الفترة كانت أسرة العروس تبحث عن سائق يعمل لديهم فأرسل إليهم مصطفى أحد عساكر الحراسة الذين كانوا يعملون معه دون أن يعلموا هويته الحقيقية، وعمل سائقاً لديهم وكان في نهاية كل يوم يوفيه السائق بتقريره، وفي النهاية جاء رفض مصطفى للعروس لأن التقارير الواردة عنها لم ترضه..



مازلت أتحسس موضع أصابع الخوف التي صفعني بها مصطفى على وجهي في أحد الليالي، بعد أن نشب بيننا نقاش وخلاف حاد نتيجة أنني تحت ضغط زميلاتي قررت الذهاب لحفلة كان هو قد أعلن رفضه أن أحضرها. وعلى أثر ذلك تركت له الشقة وذهبت أعيش مع أبي الذي عنفه عندما جاء يعتذر لي قائلاً إنها شقيقتي الصغرى وأخشى أن يمسها سوء، خصوصاً أنها مطلقة.. وكانت عادة دائماً تصاحبه وهي طفلة إلى النادي فكانت حياته بعد خروجه على سن المعاش هي الكرة، ومن شدة حبه لنادي الزمالك حينما كان يهزم من نادٍ آخر كان يمرض مصطفى ونستدعي له الطبيب سريعاً وتوفي مصطفى في منتصف عام ٢٠٠٩ بعد تعرضه لنزيف حاد في المخ، ولكني دائماً أتذكره وأبكي عليه وأدعو له بالرحمة، فلقد كان رفيقي في وحدتي التي اشتدت حولي بعد زواج ابنتي، فعلى رغم أنها تسكن معي في العمارة نفسها إلا أنني شعرت بفراغ كبير بعد زواجها، وأحسست أن أحضان الحياة التي كانت تضمني عندما أطمئن عليها كل ليلة قبل أن تنام ذهبت وولت ولكن سعادتها وهي بين أفراد أسرتها تنسيني كل ما هو مر في حياتي.

وعلى رغم أن حياتي الآن مازالت مليئة بالعمل والمسئوليات الكبيرة إلا أنني أشعر بالوحدة التي تبكيني وأنا أجلس وحدي ليلاً في غرفتي فلم يستطع المال أن يصنع سعادة يوماً.. أنني أقدر حسابات الموت والرحيل ودائماً أتذكره وأترحم على كل من رحلوا ممن عرفتهم وأقرأ لهم جميعاً الفاتحة وأذهب لمقابر العائلة بمدينة نصر ومقبرة شقيقي مصطفى بأكتوبر. وأستطيع أن أقول إن الراحلين والمقربين إليّ في أسرتي أخذوا كل الحب معهم، فأنا أعلم جيداً أن أثاث المنزل يمكن أن يطول عمره عن عمر الإنسان، إنني أمسي كل ليلة وأنا أودع كل شيء جميل في حياتي، لأنني لا أستطيع أن أجزم بأنني مستيقظة في الصباح، كما



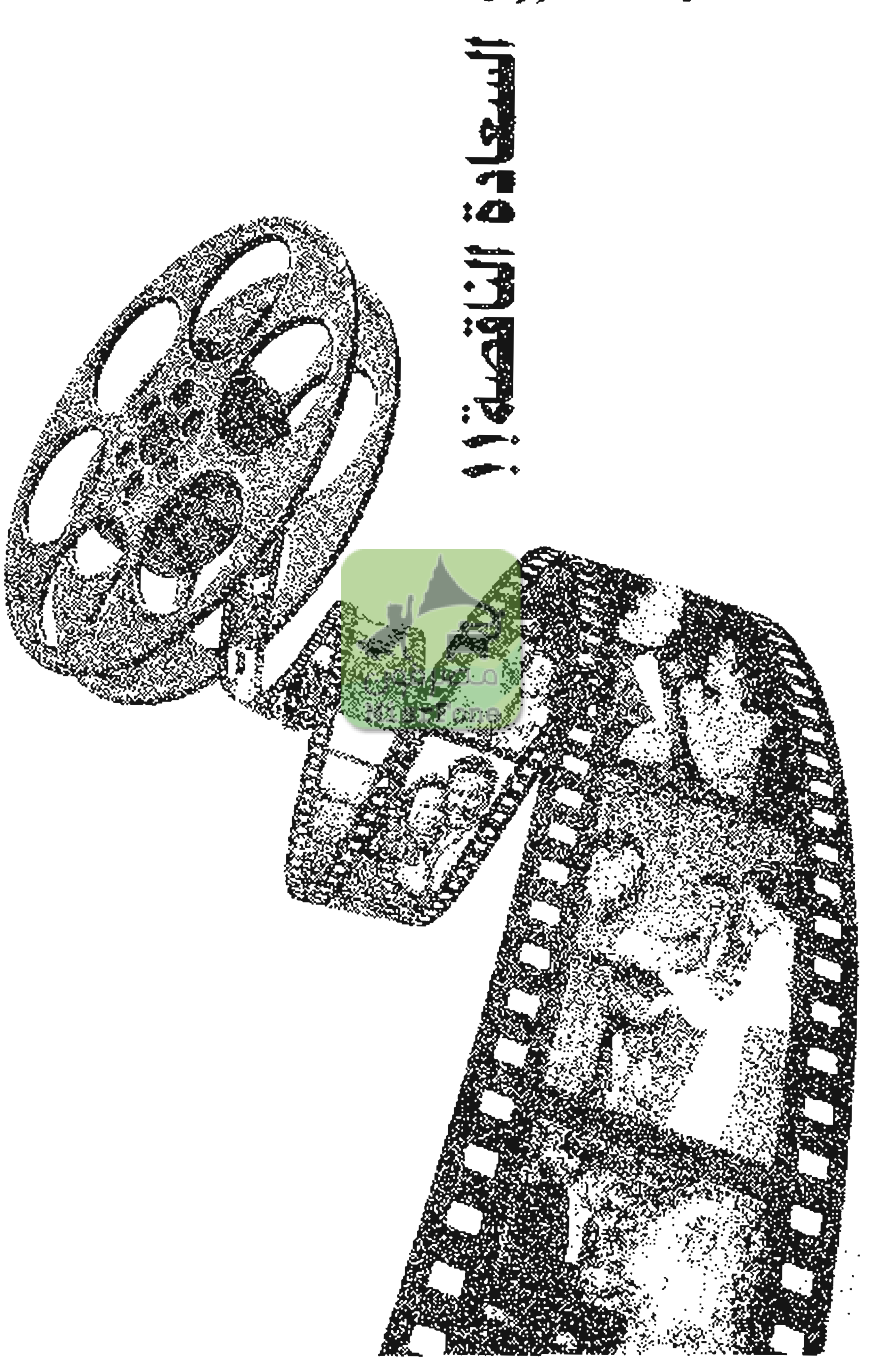
إنني في تلك الفترة، وكما كنت دائماً أصلى إلى ربي كثيراً وأبكي له وأدعوه ألا يتخلى عني في كل خطواتي، لأنه ليس لي أحد سواه ويسامح أمواتنا جميعاً، ويغمرنا جميعاً برحمته التي وسعت كل شيء...





الفصل العشرون

السعادة الناقصة!!



- السادات كان رجل سياسة محنكاً استطاع أن يعبر بنا بر الأمان ويوقف شلالات الدم...
- كنت سياسية، وقد تعرضت لمتاعب كثيرة بسبب تعبيري عن رأيي بكل جرأة...
- صلاح نصر لم يمسسني بسوء، ولن أنسب لنفسي بطولات، كما فعل الآخرون...
- الأشباح الآن تؤنس وحدتي، وذاكرتي قوية على المدى البعيد وضعيفة على المدى القريب...
- أداوم الآن علي زيارة آل البيت "الحسين والسيدة نفيسة"، وأشعل الشموع دائما لـ"ماري جرجس وسانت تريز"...
- شعرت بالوحدة منذ أن تزوجت ابنتي وسعادتي الآن ناقصة...





قالـــــوا عنهـــــا:

■ إن من يعايش ماجدة ولو لفترة بسيطة يلمس لس اليد أن المجد لم يفتح للغرور طريقاً في حياة اللعبة السينمائية...

هنري أبي نادر "صحفي قديم"

* * * * * * * * * *

■ ماجدة ممثلة قديرة وجميلة.. أو بمعنى أرق "إنها قدرة فنية جميلة"...

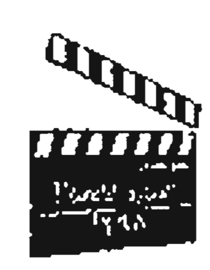
"كامل الشناوي"

* * * * * * * * * *

■ إن ماجدة ممثلة عظيمة يندر وجودها بين ممثلات العالم، لأن التمثيل عندها طبيعة وليس تمثيلاً...

"سرج جيراسيموف - مخرج روسي"

* * * * * * * * *



■ في حياتي لم أقل لممثلة إنها أحسنت، ولكني أجد نفسي مرتاحاً وسعيداً وأنا أقول لماجدة أنت ممثلة عظيمة وكبيرة...

"ڤولدا مار باسوف – مخرج روسي"

****

■ كل ما أستطيع أن أفعله تجاهها هو أن أُقبل يديها لعل في هذا اعترافاً علمياً بعظمة فنها وقوة مواهبها، وأنا فخور لأن من زميلاتي زميلة عربية اسمها ماجدة...

"بيوتر جليبون – نجم سينمائي سوفييتي"



لا يمكن لأحد النظر لحياة الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي على أنها حياة تقليدية تتشابه مع حياة مئات وآلاف الفنانات بما تحوي من أفكار بعضهن الساذجة واللهو المستمر، بل كانت حياتها مليئة بالصراعات والتحديات ومواجهة الآخرين من أجل تحقيق إرادتها، وتنفيذ رسالتها التي كانت دائماً تحملها على كاهلها؛ وهذا ما دعاني إلى أن أسألها بشكل صريح ومباشر "هل كنت في يوم ما سياسية؟"، وأجابت الفنانة ماجدة قائلة...

بالطبع أنا كنت سياسية لأني حفيدة سياسيين، وأيضاً لأني دائماً وأبداً أعبر عن رأيي بمنتهى الجرأة من دون مجاملة أحد؛ أو خشية أن يبطش بي، وهذا تسبب في تعرضي لمتاعب كثيرة واجهتها في حياتي، سواء كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ وربما يكون رأيي السياسي الذي حملته الكثير من أفلامي سبباً في خلق جو من الغيرة والتنافس بيني وبين بعض الزميلات الأخريات وجدوا أن ما يقدمونه بلا قيمة أو مضمون بجوار ما أعمل على تقديمه؛ لقد كان إيماني السياسي يحركني فلا أجد فرصة واحدة للتنصل منه حتى وأنا بين أقاربي وأصدقائي؛ فكنت من الممكن أن أعارض البعض منهم في هجومهم على الرئيس الراحل محمد أنور السادات بعد توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل "كامب ديفيد". فكنت أرى أن السادات رجل سياسة محنك استطاع أن يعبر بنا بر الأمان ويخرجنا من ورطة استمرار شلالات دماء المصريين التي كانت لن تنقطع حتى الآن إذا استمرت الحروب..

وهنا قلت لها ماذا تعرفين عن أزمة صلاح نصر، وهل اقترب رجاله منك، كما كانوا يفعلون مع الأخريات (ابتسمت عذراء الشاشة أم غادة، كما كانوا يلقبونها) وهي تقول: لقد رددت الكثير من الزميلات الفنانات عما تعرضن لهن أثناء تولي صلاح نصر فترة رئاسة جهاز المخابرات العامة المصرية، ولا أستطيع أن أؤكد أو أنفي ما رددوه حول تلك الفترة، ولكن الذي أستطيع أن أؤكده بكل ثقة هو أن



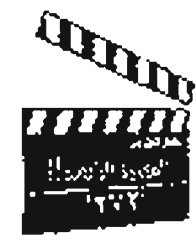
صلاح نصر لم يمسسني بسوء، ولم يطالبني أي شخص من رجال المخابرات آن ذاك، بتنفيذ أي عمل مشين من تلك الأعمال التي تتردد الآن، ولن أستطيع أن أنسب لنفسي بطولات على حساب فترة تولي صلاح نصر لجهاز المخابرات، كما فعلت بعض الزميلات من الوسط الفني...

■■■■

وعن العرافات والسحر والمشعوذين، تقول ماجدة.. كانت لدينا في الوسط الفني عرّافة يعلمها الجميع، وكان اسمها "بيا"، وكنت أخشاها لما تردده حول قريني من الجان الذي يسكن تحت الأرض، وعن مدى حبه لي الذي يدفعه للحفاظ عليّ سالمة، وتحثني على عدم إغضابه أو معاداته حتى لا أتعرض للأذى، وكان الكثير من حديثها يصيبه النجاح، فأتذكر أنها تنبأت بأن يتولى أحد الأشخاص في فترة ما وزارة الأوقاف، وبالفعل تحقق قولها، ولكن على رغم أني كنت أخشاها إلا أنني كنت أحب مجلسها، لأنها دائماً تطمئنني وتحدثني عن آمال وأحلام كنت أظن في حينها أنها ربما لن تتحقق، ولكني أود الاستماع إليها وأعيش بداخلها ولو لحظات معدودة، كانت تهديها إليّ تلك العرافة، وكنت أذهب إليها حيث تسكن، وفي أحيان كثيرة أدعوها لزيارتي بمنزلي، وما أن أجدها داخل حفلة إلا وأنفرد بها، ومما قالته لي وتحقق قولها بأن أحد الأشخاص الذين يعملون ضدي سينضم إليّ ويساندني، وكان هذا الشخص هو رمسيس نجيب، الذي بالفعل انضم إليّ ووقف بجانبي بعد ذلك، على رغم أنه كان يعمل إلى جوار بعض المداومين على تتبعي ومحاربتي، على رغم أن كل ما كان بيني وبين هؤلاء لا شيء أكثر من المنافسة على لقب "الممثلة الأفضل"، ودائماً كنت أعتبر أن المنافسة التي من هذا النوع يجب أن تكون شريفة ولكنهم كانوا يسلكون طرقاً عكس كل ما تحمله تلك الكلمة من معنى..

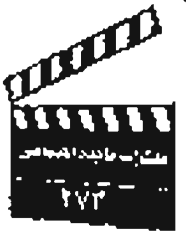
لقد كانت "بيا" تتمتع بحياة أرستقراطية، فترتدي أفضل وأحدث الأزياء، ولم تكن عرّافة بالمعنى والشكل الذي يظهرهن به السينمائيون داخل الأفلام، ولم تكن تقبل مني أي ماديات، ولكن كنت أجلب لها الهدايا، وعلى رغم ذلك فلم أكن أسعى للدجالين والمشعوذين بقدر ما كانت "بيا" حالة استثنائية خاصة بالوسط الفني، وأيضا اقتناعي بها كان نابعاً من إيماني بأن السحر والحسد ومس الشياطين والجان ذُكروا في القرآن، الذي أؤمن بكل ما جاء به ولكنني لم أكن انقاد وراء إيماني بالعرافين لدرجة عبادتهم لإيماني بقوله تعالى "وما تشاءون إلا أن يشاء الله"، وكنت دائماً أحب التقرب من آل البيت وأولياء الله الصالحين تبركاً ومحبةً، ولذلك كنت ومازلت حتى الآن أداوم على زيارة مقامات الأولياء والصالحين "الحسين والسيدة نفيسة"، وأيضاً لإيماني بقدر آل الكتاب من النصارى الذي وصانا عليهم الله ورسوله، وكنت أداوم على إشعال الشموع أثناء زيارتي داخل "ماري جرجس وسانت تريز"، لكوني أعتبر كل هذه الأماكن تضفي على نفسي الهدوء والطمأنينة لكون أن أصحابها جميعاً كانوا من العباد الصالحين..

ولكن على رغم إيماني بما ذكرت فإني أيضاً أؤمن بعالم الغيب وبالأرواح والأشباح، حيث أنني أتعرض لأشياء غريبة تحدث لي في الفترة الأخيرة وتتلخص في بعض المواقف، فلقد خُلعت لي "سنة" ذات مرة فوضعتها في مكان ما، ولكني اكتشفت أنني فقدتها ولم أعطِ للأمر اهتماماً أو قيمة، ولكن المفاجأة الغريبة أنه بعد ستة أشهر وجدت تلك "السنة" موجودة في موضعها السابق نفسه وكأني لم أفقدها، وأيضاً أصبحت لفترة من الوقت أرى زجاج شباك غرفتي ليلاً عبارة عن مرايات، وفي الصباح أجده على حاله الطبيعي زجاجاً عادياً، وأيضاً أضع الأشياء في أماكن وتختفي وبعد أشهر كثيرة أجدها بالأماكن نفسها، وأحياناً أكون جالسة في سريري بحجرة نومي فأجد أطيافاً وخيالات تمر من أمامي فأظن أن خادمتي هي التي مرت وعندما أسألها تنفي دخولها حجرتي



من الأساس، على رغم أن تلك الأحداث وغيرها تدعو للخوف إلا أنني لم أكن أشعر بها. وعندما قصصت تلك الروايات المثيرة والغريبة على "ابنة أختي نرمين برادة" كانت تؤكد لي أن مثل هذا وأكثر يحدث معها، فهي أيضاً تشاهد غرفة نومها مليئة ليلاً بالأطياف، وأن هذه الأشياء ما هي إلا أشباح الوحدة، ولم يشعرني حديث نرمين بالخوف لأني دائماً أؤمن بالله، والقرآن لا يفارق غرفتي، "صمتت ماجدة فجأة للحظات غارقة في بحار التفكير"، ثم قالت: ربما أكون الآن أعيش مع أشباح ولكني سعيدة بها لأنها تؤنس وحدتي، (وهنا سألتها عن حال ذاكرتها)، قالت، إن ذاكرتي قوية جداً على المدى البعيد، فأستطيع حتى الآن أن أخزن بها مئات الأرقام الخاصة بهواتف الأهل والأقارب والأصدقاء وغيرها، ولكنها ضعيفة بعض الشيء على المدى القريب فأضطر لأن أكتب ورقة بشيء أفعله وأضعها أمامي حتى تذكرني به ولا أنساه...

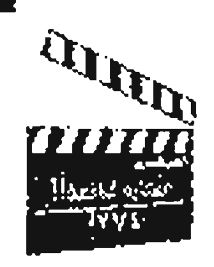
(ثم ابتسمت ماجدة وهي تقول): لقد كنت على مدار حياتي وعمري كله ومازلت أخشى الله في أعمالي، فلا أقدم على شيء إلا بعد صلاة الاستخارة، وكنت دائماً أعتبر أن شهر رمضان فرصة عظيمة لأن تدخل نفسي في خلوة روحية تشف فيها وتزداد قرباً من الله، ودائماً أقضي يومي فيه صائمة عن متاع الجسد من طعام وشراب حتى إذا أقبل الليل انطلقت ألتمس أسباب التسلية البريئة، وأقضي سهرات جميلة مع ابنتي، وأختتمها بالعبادة وقراءة القرآن، ولكن في الماضي ما أكثر ما كان يسهم الفن في ليالي رمضان بما يمتع القلب والروح، لقد كان للفن في رمضان دور كبير أقوى في الزمن الماضي، وكانت ليالي رمضان مهرجانات فنية قبل أن تُصاب الدنيا بالجنون وتسيطر عليها المادية التي باعدت بينها وبين شئون القلب والروح، وكانت لي في رمضان تقاليد طيبة تفيض بالخير والبر والجمال. وكنت أرى الأغنياء من أهل القاهرة يفتحون بيوتهم كل مساء للسهر والسمر، ويتنافسون في جلب مشاهير القراء والمنشدين، ويقبل عليهم أهل



الأحياء، فتدور أكواب المرطبات وأطباق الحلوى، ويسهر الجميع حتى السحور في حديث وسمر واستماع إلى القرآن والقصائد الدينية وألوان الفن الأخرى. وكانت ترى الشوارع والأزقة قبل السحور موكب المسحراتي، فنان رمضان الشعبي، يحيط به الأطفال بفوانيسهم الملونة وهو يطوف بالبيوت ويلقي أناشيده ويرتجل أهازيجه على دقات الطبلة التقليدية، وإلى جانب هذا كله كانت المسارح والملاهي تحشد لهذا، كما كانت تتكون فرق جديدة في أحياء مختلفة خصيصاً لإحياء هذا الشهر ثم تنفض بعد انتهائه، ولكنني فوجئت الآن بتبدل المجتمع فاختفت البقية الباقية من هذه التقاليد الطيبة، التي أرجو أن تعود مرة أخرى، لقد كانت وزارة الداخلية قديماً تكتب إلى المديرين والمحافظين تطلب إليهم العمل على إحياء ليالي رمضان في الأقاليم، ونشر الدعوة كذلك بين الأغنياء والأعيان والقادرين، وكانت وزارة الإرشاد القومي سابقاً، "وزارة الثقافة حالياً"، تتجه في هذا الشهر من كل عام نحو إحياء ليالي رمضان في الأحياء المختلفة بإقامة ندوات أدبية وفنية ودينية، وتعمل على إحياء الفنون الشعبية التي اختفت الآن من حياتنا التي كان يتمثل فيها طابع الشعب وروحه..

ولقد كنت دائماً أحافظ فيه على أداء واجبي كمسلمة من "زكاة وصلاة"، وتلك الأخيرة التي لم أنقطع عن أدائها والالتزام بها منذ أن كنت طفلة صغيرة وحتى الآن، وأتذكر ذلك اليوم الحار في نهار رمضان وأنا عائدة من تصوير مشاهد أحد أفلامي مرهقة، وما أن وجدت أعلى المائدة طبق كبير تملأه ثمار العنب المبشور بالثلج حتى التهمته وفتحت المذياع وأنا في حالة عالية جداً من النشوة حتى وقع على مسامعي صوت القارئ يقوم بتلاوة قرآن الإفطار حتى انتبهت وحزنت على أني أفسدت صيامي الذي كنت نسيته، ولكن أمي طمأنتني بأن ما حدث لي أجازة الله ولم يبطل صيامي...

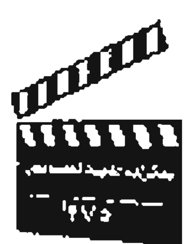
■■■■



وفي النهاية كل ما يمكن أن أختم به مذكراتي، التي وجدت أن هذا هو الوقت الأنسب لكي تشاهد النور.. تلك الكلمات التي أخرج فيها كل ما في قلبي الآن من مشاعر وأحاسيس..

فإن الله يعطينا الحياة جميلة، ويتيح لنا الفرص كي نسعد ونتسبب في إسعاد الآخرين، ولكن هناك بعض البشر بغبائهم يضلون الطريق بأنانيتهم الشديدة فيفسدون ما رزقهم الله من جمال داخلي وصفاء روحي خلقنا جميعا عليه.. فإن الحياة بالنسبة لي ما هي إلا فيلم يصرف نظري عن نواحي الجمال الفنية، وأيضاً تؤصل في وجداني مشاعر الأسى الذي يختتم حياتي.. فاليوم المادة فقط تتسبب في كل الكوارث وتسيطر على العالم وتتحكم في الإنسان، وكلما فكرت في ذلك أجد أن ذلك شيء يخيفني كثيراً..

(سألتها هل تخشين المادة؟ فأجابت بنعم أخشاها، فهي تتسبب في شقاء البشر الآن، وتجعل الجميع يأكلون بعضهم البعض، وقالت أيضاً إن كثيراً ما تشغل بالها وتؤلها مشكلة تسيطر على تفكرها حتى عندما تدخل إلى فراشها لتنام فيظل فكرها مشغولاً وتظل قلقة وحزينة).. حيث قالت، لقد قرأت كثيراً عمن يموتون بالسكتة القلبية وهم نائمون في وحدتهم، وأناقش الأمر مع نفسي حتى أصل إلى شرح لتلك المشكلة فأواجه المتاعب خلال يومي الذي يبدأ يعاقبني بعقله وحكمته، ويقاومني في يقظتي بذكائه بمحاولاته للتغلب عليّ فإذا ذهبت لأنام، ينام معي العقل الواعي، ولكن يبقى يقظاً العقل الباطن، وهو عقل كنت أسيطر عليه دائماً حتى أستطيع توجهه في أيام شيخوختي وضعف صحتي "التي أعانيها أيامي الحالية"، أحاول جاهده أن أنسى الأسى حتى أصبحت هذه عادة لدي، فلا أحمل في قلبي حقداً ولا ضغينة لأي إنسان، فهي صفات تضر الإنسان قبل أن ينعكس ضررها على غيره، فهذه الصفات تقود الإنسان إلى كارثة محققة، إنما الحب يبني كل شيء جميل ويجعل الحياة تبدو شهية

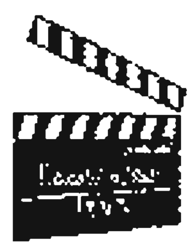


يتمتع الإنسان بوجوده فيها، إيماني بالجمال كان ولا يزال ينعكس في الأعمال الفنية التي قدمتها وينعكس في آمالي وأحلامي.. وآخر ما أتمنى هو أن أرى وطني الحبيب دائماً لقلبي "مصر" أجمل من أوروبا التي كنت أراها في كل رحلة إليها نقلت حضارتنا، بينما ظللنا نحن نحتفظ بها داخل الكتب. فالمسألة مسألة تنظيم، ولو أن كل فرد منا شعر بمسئوليته نحو نفسه ومجتمعه، ولو كل فرد منا نظم أعماله وماله وما عليه لإصلاح حال حياتنا. فلا يكفي أن يحاول المسئولون ذلك، ولا يكفي أن تحاول الحكومة ذلك، لابد على الأفراد أنفسهم أن يرغبوا في ذلك..

إن الإيمان كان دائماً يقف خلف تصرفاتي جميعاً، ودائماً وأبداً كنت أسأل نفسي وأراجعها قبل أن اتخذ أي قرار أو موقف معين "،هل ذلك الموقف يرضي الله؟"، فإذا اقتنعت بتلك الحقيقة فلا أتردد ولا أتوانى في تنفيذها، وما يمكن أن أقوله في الختام إنني كنت أشعر دائماً بالسعادة لأني لم أشتر نفوس من غمروني بحبهم ووقفوا بجانبي، ولكني الآن في وحدتي التي لم أشعر بها إلا بعد أن تزوجت ابنتي، أني لا أشعر بالسعادة نفسها التي كانت تغمرني في الماضي، إن سعادتي الآن ينقصها الكثير عما مضى، فلا أستطيع أن أقول غير أنها سعادة الوحدة الموحشة والحوار الذي لم يعد إلا من طرف واحد..

تلك هي السعادة الناقصة!!

لقد وجدت دموعي تتساقط من دون أن أشعر وأنا أتلقى تلك الكلمات الأخيرة من جميلة المصرية والخمرية، فاتنة الشاشة العربية وسيدة السينما العربية "ماجدة الصباحي"، ولم أستطع أن أمسك بالقلم وأسطر كلمة واحدة بعد ذلك. ولكن وجدت أنه جدير بالذكر أن أختتم بما كتبته عنها الشاعرة فاطمة الزهراء محمد في كتابها، الذي صدر منذ سنوات، بعنوان "هن في قلب مصر"، حيث قالت عنها في جزء خاص بها حمل عنوان "حبيبة القلوب"..



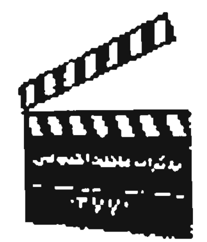
ماجدة يا بصمة فوق جدار الزمن

صامدة يا حرة رغم كل المحن

رائدة زي ما قالوا وفي قلب، قلب الوطن

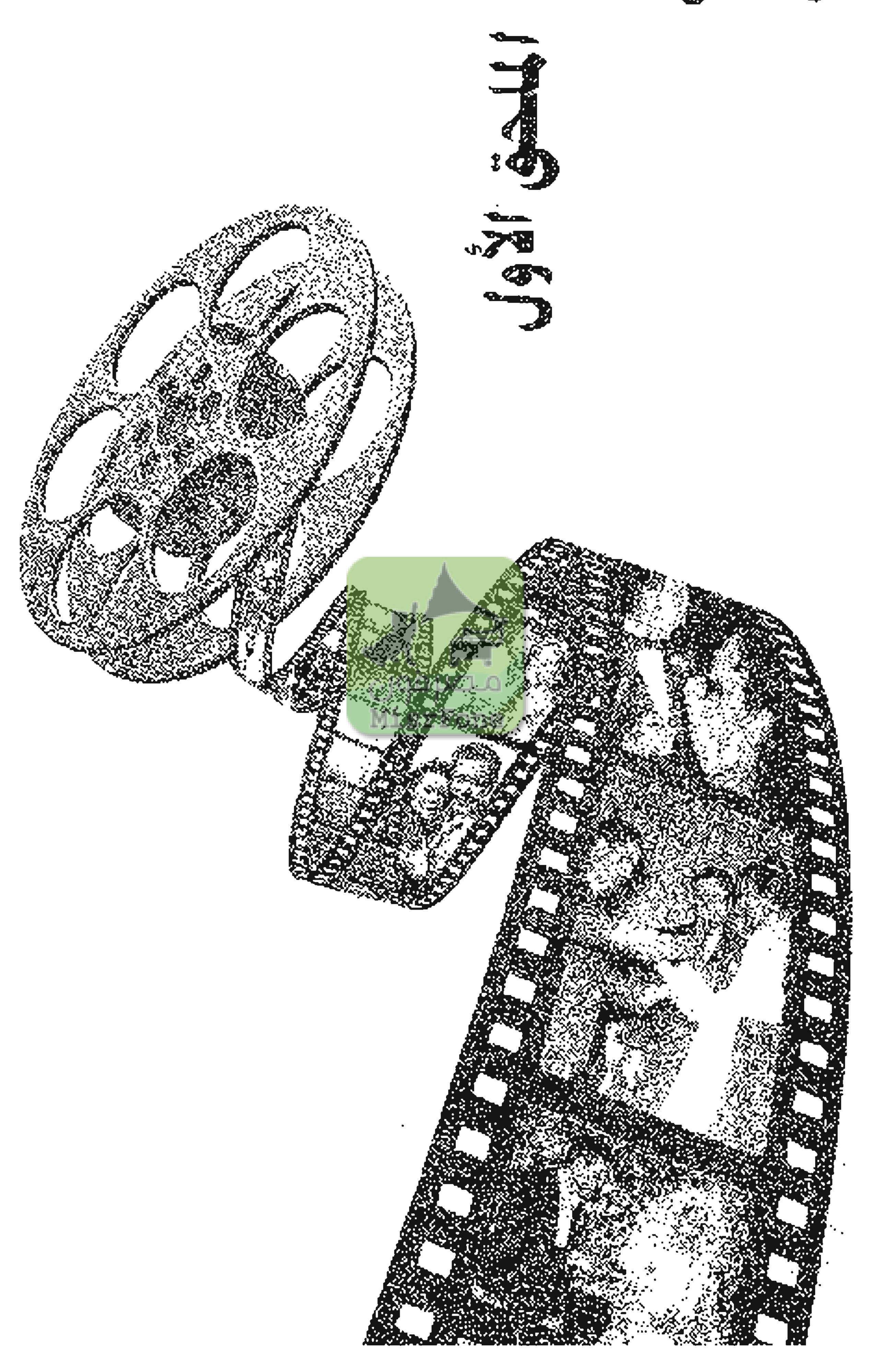
أديت لمصر عمرك.. ولا قلت كام الثمن

(انتهت المذكرات)



الملاحق

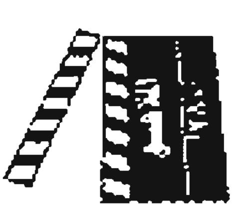
الجزء الأول



(جدول يضم أسماء الأعمال السينمائية الكاملة للفنانة ماجدة)

م	الفيلم	م	الفيلم	م	الفيلم
١	الناصر	٢٠	دعوني أعيش	٣٩	قيس وليلى
٢	القافلة تسير	٢١	الميعاد	٤٠	بين أيديك
٣	أنا بنت ناس	٢٢	أين عمري	٤١	هذا الرجل أحبه
٤	ليلة الدخلة	٢٣	دهب	٤٢	ثورة اليمن
٥	الجريمة والعقاب	٢٤	طريق السعادة	٤٣	شاطئ الأسرار
٦	حبايبي كتير	٢٥	أمني العمر	٤٤	بياعة الجرايد
٧	فلفل	٢٦	أرضنا الخضراء	٤٥	حواء على الطريق
٨	طيش الشباب	٢٧	في سبيل الحب	٤٦	هجرة الرسول
٩	البيت السعيد	٢٨	من أجل حبي	٤٧	الرجل الذي فقد ظله
١٠	بائعة الخبز	٢٩	بنات اليوم	٤٨	المراهقات
١١	في شرع مين	٣٠	الآنسة حنفي	٤٩	قصة ممنوعة
١٢	أنا وحدي	٣١	الله معنا	٥٠	زوجة لخمس رجال
١٣	سيبوني أغني	٣٢	عشاق الليل	٥١	مع الأيام
١٤	ماليش حد	٣٣	الغريب	٥٢	السراب
١٥	انتصار الإسلام	٣٤	نهاية الحب	٥٣	النداهة
١٦	مصطفى كامل	٣٥	إجازة نصف السنة	٥٤	العمر لحظة
١٧	لحن الخلود	٣٦	القبلة الأخيرة	٥٥	أنف وثلاث عيون
١٨	بلال	٣٧	جميلة	٥٦	جنس ناعم
١٩	الظلم حرام	٣٨	دنيا البنات	٥٧	ونسيت أني امرأة
				٥٨	عندما يتكلم الصمت





(جدول يضم أسماء إنتاج ماجدة من الأفلام)

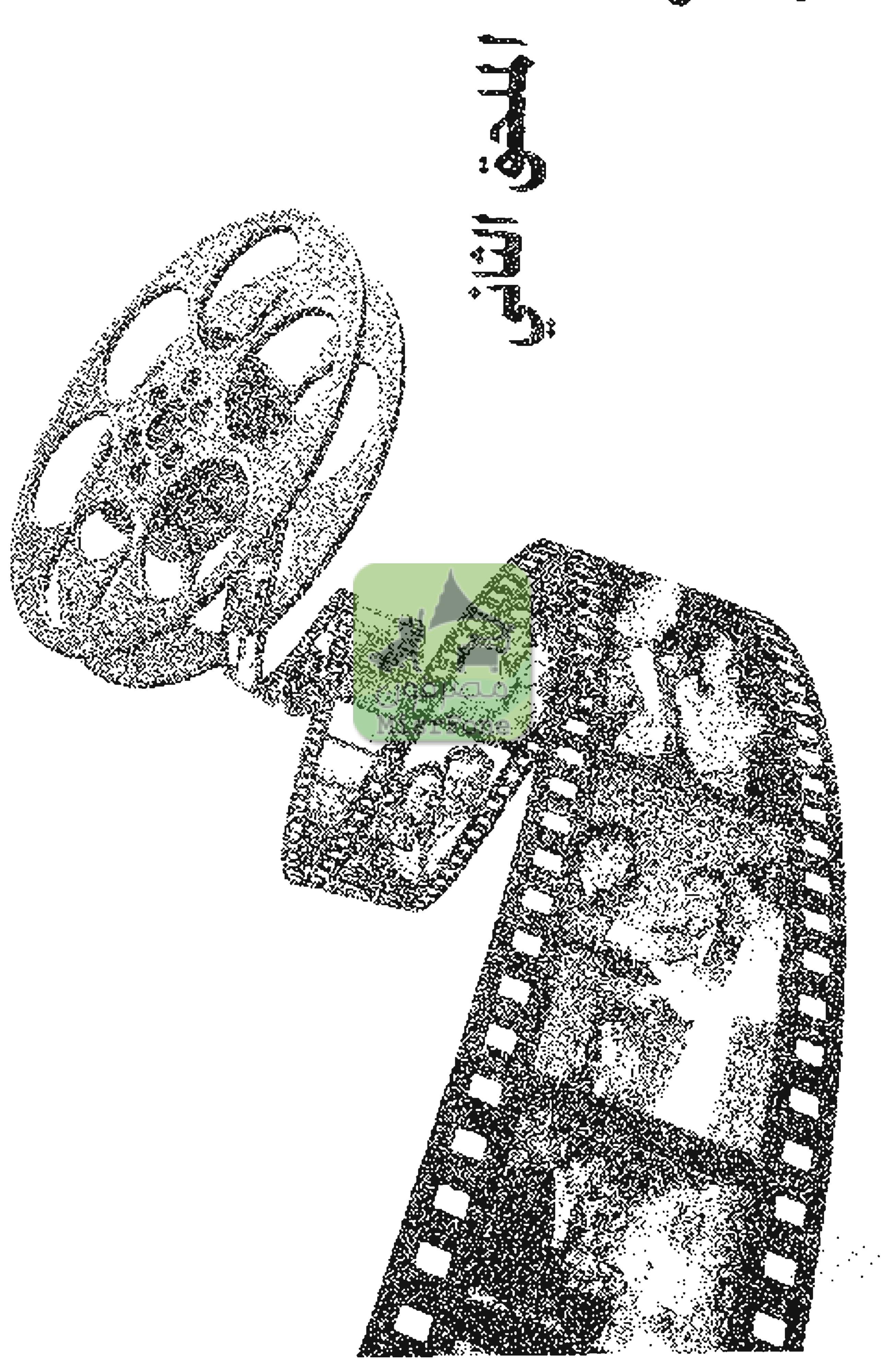
م	الفيلم	نوعه	تمثيل	إخراج
١	أين عمري	أبيض وأسود	ماجدة ـ يحيى شاهين ـ زكي رستم ـ أمينة رزق ـ أحمد رمزي	أحمد ضياء الدين
٢	المراهقات	أبيض وأسود	ماجدة ـ رشدي أباظة ـ دولت أبيض ـ زيزي مصطفى	أحمد ضياء الدين
٣	جميلة بوحريد	أبيض وأسود	ماجدة ـ أحمد مظهر ـ رشدي اباظة ـ صلاح ذو الفقار	يوسف شاهين
٤	بين أيديك	أبيض وأسود	ماجدة ـ شكري سرحان ـ علوية جميل	يوسف شاهين
٥	الجريمة والعقاب	أبيض وأسود	ماجدة ـ شكري سرحان ـ محمود المليجي	إبراهيم عمارة
٦	حديث المدينة	أبيض وأسود	سميرة أحمد ـ شويكار ـ محمد العزبي ـ مع أبطال الكرة	كمال عطية
٧	الناس اللي تحت	أبيض وأسود	يوسف وهبي ـ ماري منيب	كمال التلمساني
٨	قبلني في الظلام	أبيض وأسود	هند رستم ـ شكري سرحان ـ حسن فايق	محمد عبدالجواد
٩	طريق بلا نهاية	أبيض وأسود	إيهاب نافع ـ أوزيجان تيكول	سيف الدين شوكت
١٠	هذا الرجل أحبه	أبيض وأسود	ماجدة ـ صباح ـ يحيى شاهين	حسين المهندس
١١	قبلة ممنوعة	أبيض وأسود	ماجدة ـ شكري سرحان ـ محمود المليجي	طلبة رضوان

١٢	المجانين في نعيم	أبيض وأسود	إسماعيل يس ـ رشدي أباظة ـ شويكار	حسن الصيفي
١٣	المغامرة الكبرى	أبيض وأسود	فريد شوقي ـ حسن يوسف ـ عماد حمدي	محمود فريد
١٤	مع الناس	أبيض وأسود	سميرة أحمد ـ حسن يوسف ـ عماد حمدي	كمال عطية
١٥	عظماء الإسلام	أبيض وأسود	نخبة كبيرة من نجوم السينما	نيازي مصطفى
١٦	الحقيقة العارية	ألوان	ماجدة ـ ميرفت أمين ـ شكري سرحان ـ إيهاب نافع	عاطف سالم
١٧	هجرة الرسول	ألوان	ماجدة ـ إيهاب نافع	نيازي مصطفى
١٨	النداهة	ألوان	ماجدة ـ ميرفت أمين ـ شكري سرحان ـ إيهاب نافع	حسين كمال
١٩	جنس ناعم	ألوان	ماجدة ـ عادل إمام ـ سمير صبري ـ سمير غانم	محمد عبد العزيز
٢٠	العمر لحظة	ألوان	ماجدة ـ نبيلة عبيد ـ أحمد زكي ـ أحمد مظهر ـ ناهد شريف	محمد راضي
٢١	أنف وثلاث عيون	ألوان	ماجدة ـ محمود ياسين ـ نجلاء فتحي ـ ميرفت أمين	حسين كمال
٢٢	من أحب	أبيض وأسود	ماجدة ـ إيهاب نافع ـ أحمد مظهر	ماجدة
٢٣	زوجة لخمسة رجال	أبيض وأسود	ماجدة ـ رشدي أباظة ـ عماد حمدي	سيف الدين شوكت
٢٤	نوع من النساء	ألوان	سمير غانم ـ ناهد شريف ـ صفية العمري	حسن الصيفي



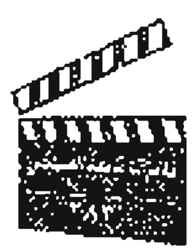
الملاحق

الجزء الثاني



(نماذج من وثائق تلغرافات العزاء في عبدالرحمن بك الصباحي)





TELEGRAM

EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS — مصلحة التلغرافات المصرية

To: السيدة/ نجمه الصباحي

بلوك قورنيا

بالمحطه

مكتب التصدير: البرلمان مصر

اعزيكم في مصابكم

عبد الواحد الوكيل

TELEGRAM

EGYPTIAN STATE TELEGRAPHS — مصلحة التلغرافات المصرية

محمد الصباحي

قورنيا المحطه

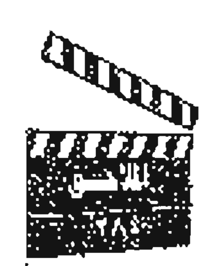
مكتب التصدير: الخديوي اسماعيل مصر

اعزيكم في مصابكم ابتهل الى الله ان يسكنه

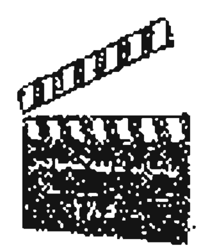
[illegible] العهد [illegible]

[illegible]

محمود النقراشي

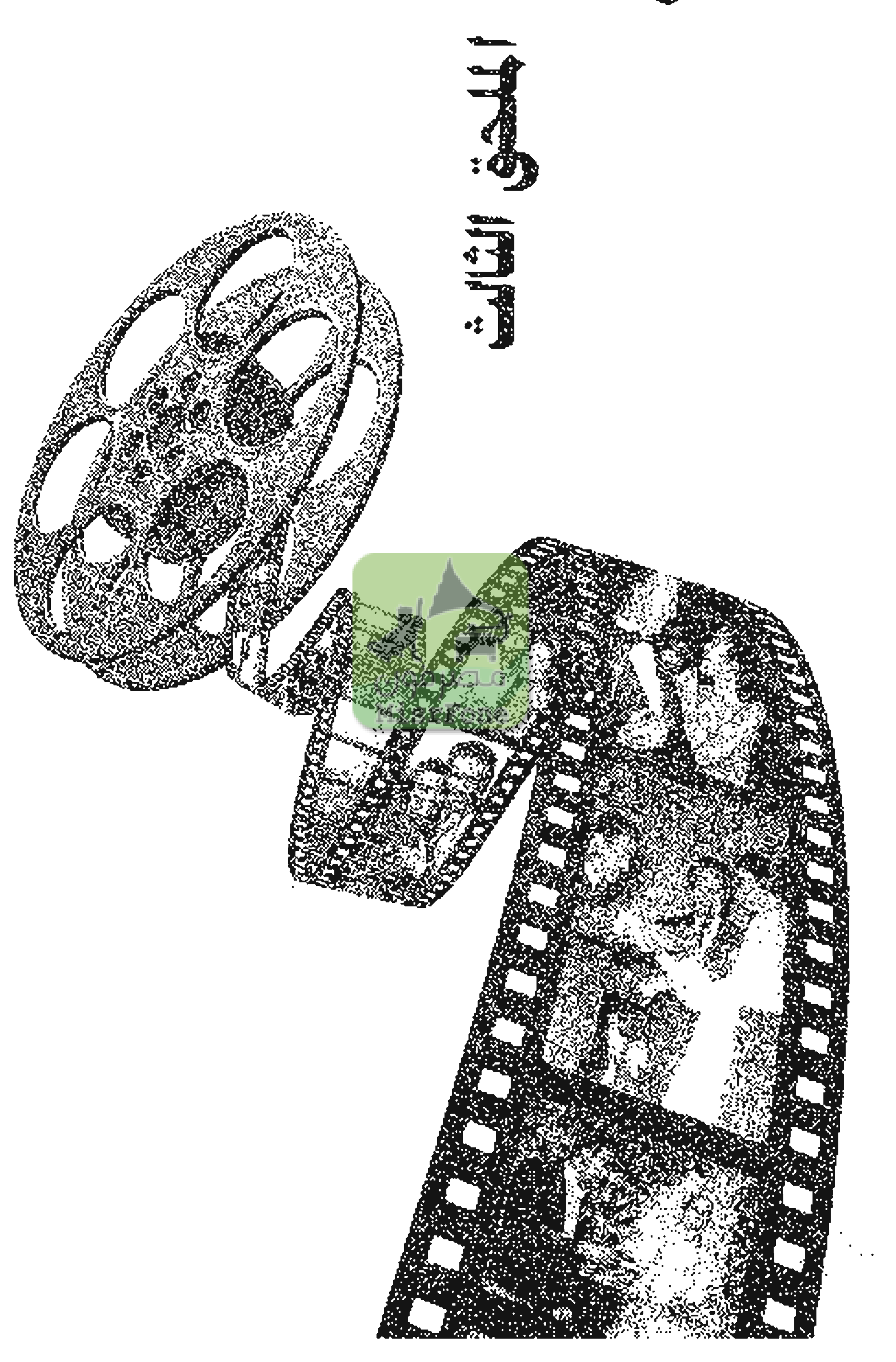


(صور الكاتب السيد الحراني مع ماجدة أثناء تسجيل المذكرات)



الملاحق

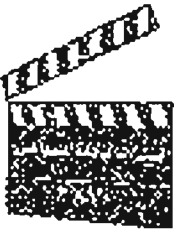
الملحق الثالث



(صــور لماجدة عائلية نادرة)

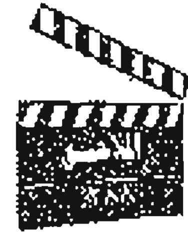
علي كامل الصباحي
والد ماجدة

جلفدن هانم الصباحي
أحد كبار مؤسسي
عائلة الصباحي



ناهد الصباحي والدة ماجدة
وهي في صباها

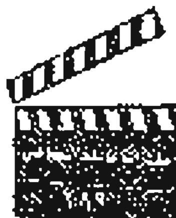
عمي كامل وناهد الصباحي
والد ووالدة ماجدة



والدة ماجدة تحملها
وهي طفلة

ماجدة تقبل والدتها

العائلة مع عبد الوهاب



ماجدة مع شقيقتها
الكبرى فوزية

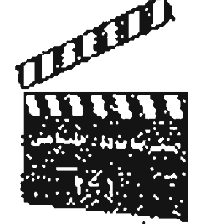
صورة أهداها مبارك مزيك
بتوقيعه إلى إيهاب نافع
بمناسبة زواجه





مع غادة طفلة

غادة تتوسط والديها



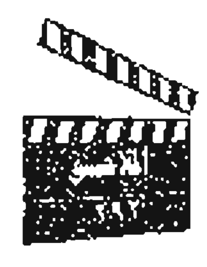


مع غادة طفلة



ماجدة مع غادة

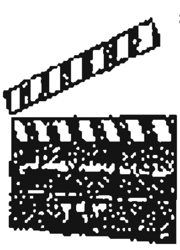
غادة عروسة بين
والدها ايهاب نافع
ووالدتها ماجدة



(صور لماجدة مع شخصيات عامة مصرية وعالمية)

مع عبد الناصر

مع بن بيلا في اول زيارة له في مصر بعد تحرير الجزائر





صورة لماجدة مع
بن بيلا قبل رحيله

جائزة الممثلة و المنتجة الأولى
فى مصر سنة 1961

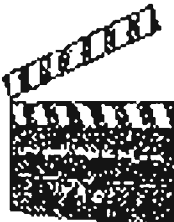
جارى كوبر مع ماجدة

تسليم جائزة العالمية
بمهرجان اسيا وافريقية
والجائزة الأولى

مع المخرج أحمد ضياء الدين

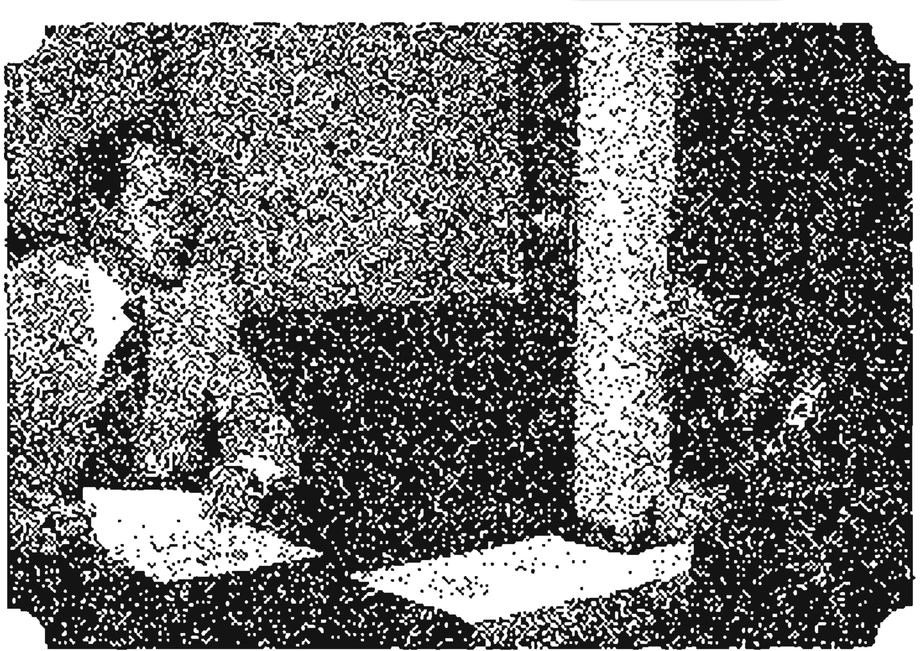
ماجدة مع أحمد مظهر
وناهد شريف

مع سميحة أيوب وزوجها
المخرج سعد الدين وهبة



مع جاجارين اول رائد فضاء

مع شارلتون هيوستن في مهرجان
برلين عن فيلم المراهقات



ماجدة مع نجيب ساويرس
توقع عقد بنانة السينما
داخل مجمع ماجدة

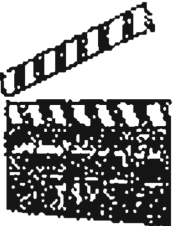


مع تحية كاريوكا

في حفل تكريمها الاخير
بمهرجان دمشق بسوريا

مع دكتور انطونيان مدير اعمالها

مع عطية عويس مدير اعمالها

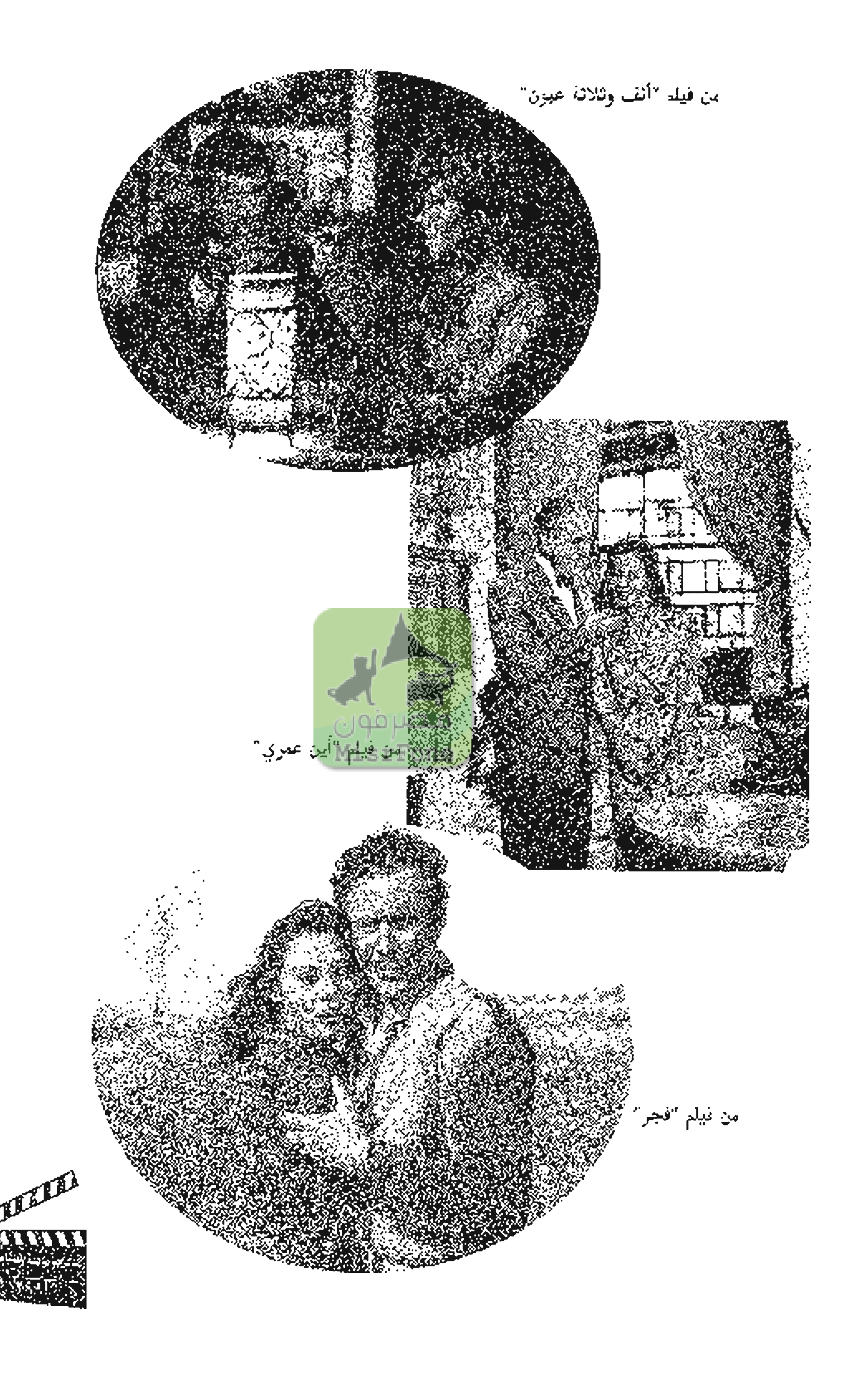


(صور لماجدة من أفلامها المختلفة)

من كواليس فيلم "العمر لحظة"

من كواليس فيلم "المراهقات"





من فيلم "أنف وثلاثة عيون"

من فيلم "أين عمري"

من فيلم "فجر"



ماجدة
ويوسف شاهين مع
الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام
لاستلام جائزة عن فيلم "جميلة بوحريد"

ماجدة الصباحي ويوسف شاهين أثناء
عرض فيلم "جميلة بوحريد" في روسيا

من فيلم "قيس وليلى"



من كواليس فيلم "مصطفى كامل"

من فيلم
"هجرة الرسول"

التعريف بالكاتب

السيد جمال الحراني (مواليد ٢٠ أكتوبر ١٩٨٦ بالمنوفية)، مصري الجنسية، مسلم الديانة، كاتب صحفي، وباحث سياسي، ورئيس قسم الأخبار بجريدة "المطرقة" الالكترونية، قدم برنامجاً تلفزيونياً حمل اسم (مسافر بين الشك واليقين).

عن الكاتب

مواليد ١٩٨٦، بدأ عمله الصحفي في عام ٢٠٠٨، وتم اعتقاله في ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨ اثناء تغطيته للمظاهرات الرافضة للقصف الاسرائيلي لقطاع غزة، وفي يناير ٢٠١٢ سافر الى إيران ممثلاً لمصر في المؤتمر العالمي لشباب الصحوة الإسلامية، الذي عقد بالعاصمة طهران، وفي ٣٠ يونيو ٢٠١٣ أسس حركة "شباب حماية" التي أسهمت في إسقاط حكم الإخوان وعزل محمد مرسي، واهتم بصناعة الكتب والنشر في مصر والعالم العربي، تلك الكتب التي تناولت المشاكل الاجتماعية والسياسية والفكرية المهمة التي يعاني منها مجتمعنا المصري ومجتمعاتنا العربية وتقديم حلول لها، وأول من اهتم بكتابة وتوثيق مذكرات المشاهير والشخصيات المثيرة للجدل بتصور مختلف في شكل قصة صحفية مسلسلة، ثم تحويلها الى كتاب، ثم برنامج وثائقي طويل، ثم مسلسل درامي، أو فيلم سينمائي، وتم ذلك في مذكرات الدكتور مصطفى محمود، التي نُشرت في "المصري اليوم"، وأصدرتها دار الكتب في كتاب وتم تحويلها لبرنامج وثائقي، وأخرج البرنامج المخرج عمرو منصور، ويتم الآن تحويل الكتاب لمسلسل درامي، وكان أول من سجل مذكرات رجل الأعمال المصري الراحل أحمد الريان بعد خروجه من السجن.



الصحف التي عمل بها:

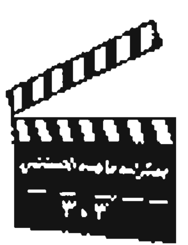
- أخبار العرب الدولية (٢٠٠٨)
- الحياة المصرية (٢٠٠٨)
- الطريق (٢٠٠٨)
- الحاضر (٢٠٠٨)
- جيل الغد (٢٠٠٩)
- الفجر (٢٠٠٩)
- الأهرام (٢٠١٠)
- المصري اليوم (٢٠٠٩)
- مجلة سبعة أيام (٢٠١٣)

وتولي رئاسة بعض الأقسام في الصحف الآتية:

- الصباح "رئيس قسم الإسلام السياسي" (٢٠١٢)
- المطرقة الإلكترونية "رئيس قسم الأخبار" من عام (٢٠١٢) وحتى الآن
- البديل "كتب مقالاً يومياً" (٢٠١١)

.... وأيضاً عمل في بعض وكالات الأنباء، وتعامل مع بعض الوكالات الخاصة بإنتاج البرامج، سواء في الخارج أو الداخل، ومن بينها "وكالة الأهرام للإعلان".

.... وعمل لفترة من الوقت معد برامج بالتلفزيون المصري وبعض القنوات الفضائية ومن بينها قناة "دريم" الفضائية.



- اهتم بالتخصص في العمل الصحفي والإعلامي بملف خاص جداً وهو القصة الصحفية "المذكرات الشخصية والسيرة الذاتية" الخاصة بمشاهير الفن والسياسة والأدب والصحافة في شكلها الصحفي والأدبي "حلقات صحفية وكتاب"، والتلفزيوني "برنامج وفيلم سينمائي ومسلسل درامي".

- حقق العديد من الخبطات الصحفية والإعلامية، وكان أشهرها تسجيل وكتابة مذكرات المفكر الكبير، الذي كثيراً ما أثير الجدل حوله، الدكتور مصطفى محمود، وتم نشرها في شكل حلقات مسلسلة على صفحات جريدة "المصري اليوم" على مدار ثلاثة أشهر، وحققت تلك المذكرات نجاحاً مشتركاً بين الكاتب والجريدة في زيادة توزيعها، وقام بالتعاقد مع المصري اليوم على طبع تلك المذكرات في شكلها الأدبي "كتاب".. وتلا ذلك قيامه في نهاية عام ٢٠١٠ بإعداد وتقديم مذكرات مصطفى محمود في برنامج تلفزيوني حمل اسم "مسافر بين الشك واليقين"، كان عبارة عن ثلاثين حلقة تلفزيونية تعرض حياة المفكر الراحل وتجيب عن كل ما أثير حوله من اتهامات، وسجل حوارات تتعلق بهذا العمل مع ما يقرب من مائة وخمسين شخصية من العاملين في المجالات المختلفة "الفن والأدب والسياسة والصحافة.. إلخ"، وكان البرنامج من إنتاج وكالة الأهرام للإعلان، وتوافق مع إنتاج البرنامج أن نُشر للكاتب ما عثر عليه من بعض مقتنيات المفكر الراحل من كتاباته الأخيرة التي تتعلق بالنواحي الروحانية الدينية على صفحات جريدة "الأهرام" طوال شهر رمضان ٢٠١٠.

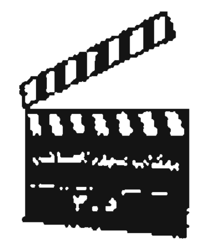


مؤلفات الكاتب:

- بنات القاهرة ـ قصص واقعية
- مذكرات مصطفى محمود
- الجماعات الإسلامية من تاني
- موافي والسندريلا ـ انحرافات صفوت الشريف
- الفيلسوف المشاغب
- ويكيليكس ـ حرب الوثائق وكشف الأنظمة العربية والعالمية
- مصر واللي فيها ـ من هند رستم الى عبود الزمر
- الإخوان القطبيون
- اسرار الكهنة
- التاريخ الدموي للإخوان المسلمين
- فلسفة الموت
- بخلاء يجعلونك تضحك
- مذكرات جمال البنا
- مذكرات ماجدة الصباحي
- إمبراطورية الريان (سيناريو وحوار)
- خفايا القصور

.... كما أنه قام بكتابة أفلام حملت أسماء:

- صيد الثعالب
- إمبراطورية الريان





للتواصل مع الكاتب

sayedalharany@yahoo.com

https://www.facebook.com/alsyd.alhrany



رقم الإيداع ٢٢٧٥١ / ٢٠١٤

ISBN 978- 977 - 320- 212- 5

Inv:49/A/2015

Date:9/4/2015



مطابع [illegible] التجارية - قليوب - مصر


مصرفون
MisrFone

مذكرات ماجدة الصباحي

ليست قيمة ماجدة في أنها ممثلة عظيمة فإن الشرق كان دائمًا أرضًا خصبة للمواهب ومنه خرجت في القرن العشرين أعظم العبقريات التمثيلية، وليست شهرة ماجدة قائمة على أنها ممثلة مثيرة دافئة جميلة، بل لأنها مناضلة حاملة رسالة.

أهم ما في ماجدة بطلة الكتاب وراويته الوحيدة، أنها كانت من أوائل الشرقيات اللاتي حطمنا أسوار التقاليد؛ فقد خرجت إلى الدنيا تعمل وتكافح وتبني مجدها بيديها الناعمتين كلمس الحرير، ولم تستند في مشوار كفاحها الطويل إلا إلى كتف رجل أو ذراع زوج!

تقدم ماجدة هذه المذكرات ليست فقط لرصد نهضة السينما التي عاصرتها ولكن لرصد التاريخ السياسي والعسكري التي كانت أحد الشهود عليه وقدمته عبر إنتاجها. ذلك الإنتاج الذي تسبب في إشهار إفلاسها وتعرضها لمحاولات اغتيالات في بيروت.

وهذا الكتاب يضع بين القارئ والباحث حياة ماجدة والوجه الآخر لها. ويصور أن حكايتها ليست حكاية ممثلة فقط بل إن صفحاته تروي أكثر من هذا بكثير تروي قصة احدي العصاميات والمناضلات في هذا العصر.



السيد الحراني

كاتب صحفي وباحث سياسي عمل بالعديد من الصحف المصرية من بينها "الفجر والمصري اليوم" وحاليًا مدير المركز الوطني للبحوث والدراسات السياسية والاستراتيجية تحت التأسيس، وقام بكتابة مذكرات "الدكتور مصطفى محمود، والدكتور سعد الدين ابراهيم، ورجل الاعمال أحمد الريان، والمفكر جمال البنا، والفنانة ماجدة الصباحي". وأيضا قام بتقديم برنامج تليفزيوني باسم "مسافر بين الشك واليقين
العديد من المؤلفات
"بنات القاهرة ، والـ
الإسلامية من تاني ، وا
المشاغب ، ومواقفي وا
ومصر والتي في



